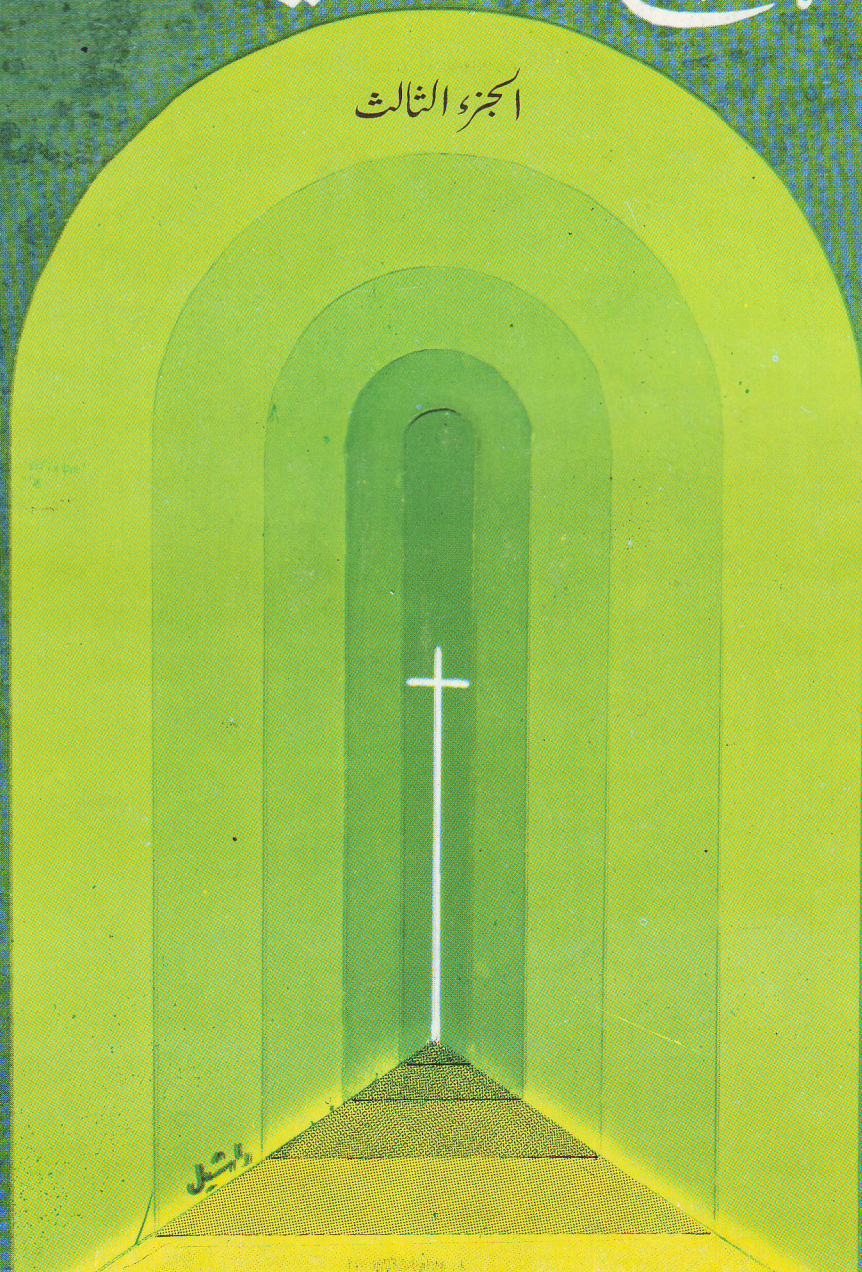


# فاتيح الكنيسة

الجزء الثالث



بشمل



## تاريخ الكنيسة

إن كلمة تاريخ هنا لا تعني  
الماضي فحسب ، وإنما تعني قصة كفاح  
وصمود في مواجهة مخاطر واضطهادات  
تمس كيان الكنيسة والإنسان ، وبدع  
وهرطقات هدامة للتعليم والإيمان.

عندما تفرغ يا عزيزي القارئ  
من قراءة المجلد الثالث الذي بين يديك  
تكون قد عرفت كيف وصل إلينا الإيمان  
وما انعقد من مجامع كان لها تأثيرها  
القوي علي الكنيسة ، وغيرها من  
الأحداث التي وقعت فيما بين القرنين  
الرابع والخامس .



# تاريخ الكنيسة

الجزء الثالث

چون لوريمر



دار الثقافة

## طبعة أولي

صدر عن دار الثقافة ص . ب . ١٢٩٨ - القاهرة

كتب باللغة الإنجليزية بعنوان : The Church History

جميع حقوق الطبع محفوظة للدار ( فلا يجوز أن يستخدم إقتباس أو إعادة نشر أو  
طبع بالرونيتو للكتاب أو أي جزء منه بدون إذن الناشر ، وللناشر وحده حق إعادة  
الطبع

١٠ / ٤٦١ ط ١ ك ٣ ( أت ) / ٥ - ٥ / ٨٨

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٣٧٨ / ٨٨

طبع بمطبعة دار الجيل للطباعة

## تمهيد

في هذا المجلد الثالث من تاريخ الكنيسة المسيحية ، نتناول أحداث القرنين الرابع والخامس وأجزاء من القرن السادس . وقد تميز القرن الرابع بالمساجلة الأريوسية وبأول مجمع مسكوني ، وبالعلاقة السلمية الجديدة بين الكنيسة والإمبراطورية . كما تظهر فيه بعض الشخصيات من أعظم آباء الكنيسة في الشرق والغرب ، ثم نتناول بعد ذلك القرن الخامس وهو فترة الجدل حول عقيدة ألوهية المسيح وعمله والإنقسام المتزايد بين المجتمعات الشرقية والغربية .

يوجد في آخر كل فصل من هذا المجلد - كما في المجلدين السابقين جدول باللغة الإنجليزية يشتمل علي المراجع المختارة لمعاونة كل طالب يختار بذل الجهد والتعمق في أحد الموضوعات . ويمكن العثور علي كل المراجع المشار إليها - ماعدا القليل منها - في مكتبة كلية اللاهوت بالقاهرة .

المؤلف

## محتويات الكتاب

### ١ - قسطنطين والكنيسة

قسطنطين يقوي مركزه - ليسينيوس يضطهد المسيحيين - قسطنطين يهزم ليسينيوس -  
قسطنطين الحاكم الأوحـد - قسطنطين كان مهياً لقبول المسيحية - هيلانة أم قسطنطين  
- سمات المسيحية عند قسطنطين - قسطنطين يحسب نفسه مسيحياً - عماد قسطنطين  
وموته - التسامح مع الأديان الأخرى - ممثل الله على الأرض - المسيحية  
والإمبراطورية - مشكلة الوحدة في الإمبراطورية - المحبة المسيحية تخدم  
الإمبراطورية - إهتمام قسطنطين بالكنيسة - اصلاحات قسطنطين - إمتيازات  
للكنيسة - حفظ يوم الأحد ، نسخ أسفار الكتاب المقدس ، بناء الكنائس - الكنيسة  
تصبح غنية - أضرار تلحق بالكنيسة - " الدهماء " ينضمون للكنيسة - ازدياد  
الهرطقات - الحد من الممارسات الوثنية - العقلية الوثنية تستمر - تأثير الوثنية على  
التقويم - نقطة تحول تاريخي .

### ٢ - الأريوسية ومجمع نيقية

#### أ - أريوس

عصر جديد في الفكر اللاهوتي - أريوس - أريوسيون قبل أريوس - الفكر اللاهوتي  
لدي أريوس - نظرية أريوس عن المسيح ككائن وسط - أريوس يستعين بالنصوص  
الكتابية - عزل أريوس وذهابه الي قيصريّة - معركة المكاتبات - المعركة تصبح عامة  
- قسطنطين يكتب لأريوس واسكندر - هوسيوس يقنع الإمبراطور .

## ب - نيقية

مجمع في أنطاكية - دعوات من الإمبراطور - مندوبون الي نيقية - نيقية أول مجمع مسكوني - قسطنطين يحضر الجلسة الافتتاحية - الفرق الثلاث في نيقية - قانون الإيمان ليوسابيوس - هومو أوسيو ( من ذات الجوهر ) - قانون الإيمان الأخير مع الأناثيما - الأناثيما أي الجرم - القانون النيقوي لمجمع القسطنطينية - التوقيع علي القانون مع بعض التحفظات - انقسامات أساسية في نيقية - كراهية قسطنطين لأريوس - أهمية نيقية - قرارات حول المنشقين وتاريخ عيد القيامة - قرارات حول إدارة الكنيسة - الجلسة الختامية - الكنيسة والدولة معا .

## ٣ - الجدال الأريوسي بعد نيقية ودور أثناسيوس

### أ - من نيقية (٣٢٥ م ) حتي وفاة قسطنطين (٣٣٧ م)

تحفظات حول نيقية - الأريوسيون يهاجمون يوستاثيوس - أريوس يكسب عطف الإمبراطور - أثناسيوس يخلف اسكندر - الأريوسيون والميليتيون ضد أثناسيوس في مجمع صور - الاتهامات ضد أثناسيوس وعزله - نفى أثناسيوس الي بلاد الغال - انتقال المجمع الي أورشليم - عزل مرسيللوس أسقف أنقره - الإبقاء علي قانون نيقية - موت قسطنطين - قسطنطين في الميزان .

## ب - الفكر اللاهوتي لدي أثناسيوس

تفنيد أثناسيوس للأريوسية - لاهوت المسيح وناسوته معا في الثالوث - الخلاص كامل - الروح القدس - هومو أوسيون - هومويوسيون - أنامويوسيون .



ج - من موت قسطنطين (٣٣٧م) حتي اعتلاء يوليانوس  
للعرش (٣٦١م)

### إستمرار الصراع مع الأريوسية

أبناء قسطنطين - سياسة قسطنطيوس ضد الوثنية - فيرميكوس يشجع الحملة ضد  
الوثنية - قوانين ضد الوثنية - قسطنطيوس يرعي رجال الدين المسيحيين -  
قسطنطيوس يريد الوحدة في الكنيسة - أثناسيوس يهرب الي روما - حملات  
أثناسيوس دفاعا عن قرارات نيقية - يوليوس يساند أثناسيوس - يوسابيوس يهاجم  
أثناسيوس في أنطاكية - الفروق بين الشرق والغرب - قسطنز الحاكم الأوحـد في  
الغرب - مجمع سارديكا - الإمبراطوران يفرضان حلا وسطا - مشاكل جديدة مع  
الدوناتيين - قسطنز- قسطنطيوس الإمبراطور الأوحـد - قسطنطيوس يجبر الكنيسة  
علي عزل أثناسيوس - سلطة قسطنطيوس علي الكنيسة - الهجوم علي أثناسيوس في  
الإسكندرية - قسطنطيوس يعين جورج في مكان أثناسيوس- أصدقاء أثناسيوس  
يحمونه - أثناسيوس يكتب وهو في المنفى - خدمة أثناسيوس الرعوية -  
أنصاراللامشابهة في الجوهر ( الأنومويوسون ) جماعة أريوسية متطرفة - مجمع  
سيرميوم - مجمع أرمينوم ومجمع سلوقيا وال " هومويوس " - قبول هومويوس من  
الأريوسيين - التقارب بين النيقويين وأنصاف الأريوسيين - استخدام أثناسيوس لصيغة  
هوموأوسيوس - أثناسيوس وباسيليوس .

د - يوليانوس المرتد ( ٣٦١ - ٣٦٣ م )

يوليانوس وإنتعاش الوثنية - حياة يوليانوس المبكرة وتربيته - غريغوريوس يصف  
يوليانوس - قيادة يوليانوس للجيش الغربي - يوليانوس يصبح الإمبراطور الأوحـد



عند موت قسطنطيوس - يوليانوس يكشف عن معتقداته الوثنية - اصلاحات  
يوليانوس في الحكومة - يوليانوس يحاول إحياء الديانة الوثنية - يوليانوس يضيق  
الحناق علي المسيحية - إجراءات عنيفة ضد المسيحيين - إحتقار يوليانوس للمسيحيين  
- يوليانوس ينتقد المسيحية - يوليانوس يهزأ بالمسيحية - يوليانوس يحاول إعادة  
بناء الهيكل في أورشليم - يوليانوس يفشل في إحياء الوثنية - موت يوليانوس .

#### ٤ - من جوفيان الي ثيودوسيوس ومجمع القسطنطينية ( ٣٦٣ - ٣٨٢ م )

الإمبراطور جوفيان - العمل نحو الإتفاق - فالنتينيان وفالينز - السنة الأخيرة  
لأثناسيوس - أثناسيوس وقانونية الأسفار الكتابية - بطرس يخلف أثناسيوس.

#### أ - الآباء الكابادوكيون من آسيا الصغرى ١ - باسيليوس أسقف قيصرية :

تربيته الأولى - باسيليوس وحياة الرهبنة - تحفظات باسيليوس حول حياة الرهبنة -  
إنتخاب باسيليوس أسقفا لقيصرية - باسيليوس يخدم الفقراء - باسيليوس يجيب علي  
فالينز - فالينز يحترم باسيليوس - باسيليوس يحاول الحصول علي مساعدة روما -  
أعداء الروح القدس - تعليم أبولينارس .

#### ٢ - غريغوريوس النازي :

إشتهار غريغوريوس في القسطنطينية - غريغوريوس يصبح أسقفا للقسطنطينية.

### ٣ - غريغوريوس النيسي :

إنتشار علم اللاهوت - الكابادوكيون وقانون الإيمان النيقوي - الكابادوكيون يتأملون الطبيعة .

### ب - ثيودوسيوس ومجمع القسطنطينية

المسيحية الديانة الوحيدة للإمبراطورية - مرسوم ثيودوسيوس - قوانين لحماية المسيحية - مجمع القسطنطينية المسكوني - "فيلوك" - قانون إيمان نيقية الحالي .

### ٥ - الكنيسة المسيحية والامبراطورية في نهاية القرن الرابع الميلادي

قرن حرج للكنيسة - الفرق بين الشرق والغرب - المسيحيون يزدادون عدداً.

### أ - إدارة الكنيسة

النظام الإداري للكنيسة - القوة المتزايدة للمطارنة ولروما - العلمانيون والإكليروس في القرن الثاني - الإكليروس يتولون أعمال العلمانيين في القرن الثالث - انفصال العلمانيين عن الإكليروس بعد مرسوم ميلان - قيام العلمانيين بالأسرار المقدسة بشروط معينة - العلمانيون ينتخبون الأساقفة- شيوخ علمانيون للكنيسة - محامون علمانيون للتعاون مع الأساقفة - التقويم المسيحي .

## ب - الأسرار المقدسة وحياة التكريس

تطور الأفخارستيا - المعمودية - التوبة - صحة الأسرار المقدسة وقداسة الكنيسة الحقيقية - حياة التكريس السرية - تكريم القديسين والشهداء - زيارة الأماكن المقدسة .

## ج - الأخلاق المسيحية

المسيحية تهذب الأخلاق في الإمبراطورية - العطف المسيحي علي المرضى والجياع .

## د - الكنيسة والبريسكليانيون

تصرف الكنيسة مع البريسكليانيين - عدم التسامح مع الهرطقة .

## هـ - الكنيسة واليهود

التسامح المبكر مع اليهود - قسطنطين يحتقر اليهود - قوانين ثيودوسيوس لصالح اليهود - التعصب المسيحي ضد اليهود - المسيحيون يتبعون العادات اليهودية .

## و - الكنيسة والوثنية

جراتيان يرفض الرموز الوثنية - المسيحيون يتخذون خطوات ضد الوثنية - تحويل المعابد الي كنائس - مهاجمة المسيحيين في الإسكندرية للسرابيوم - شكوي ليبانوس الي ثيودوسيوس - الوثنية تتشبت بالبقاء .



## ز - الثقافة والتurf في الكنيسة

البابا داماسوس والثقافة المسيحية الجديدة - سيادة بابا روما - التبذير والتurf في الكنيسة - رسامة الأثرياء بسهولة - نقد الكتّاب الوثنيون للمسيحية - نقد غريغوريوس للتurf في الكنيسة .

## ح - الكنيسة والإمبراطورية

الإمبراطورية المقدسة والإمبراطور المقدس - الإمبراطورية " المسيحية " - أفول نجم الإمبراطورية - سقوط روما نهائيا .

## ٦ - القبائل البربرية والكنيسة المسيحية

القبائل البربرية علي حدود الإمبراطورية - علاقات سلمية مع القوطيين - التأثير المسيحي علي القوطيين .

## أ - أولفيلاس ( Ulfilas )

حياة أولفيلاس المبكرة - إرسالية أولفيلاس الي القوط - الكتاب المقدس بلغة القوطيين .

## ب - سقوط الإمبراطورية أمام القبائل

الجيش القوطية تغزو الإمبراطورية الغربية - سقوط الإمبراطورية الرومانية -علاقات طيبة بين الكنيسة والقبائل - الكنيسة تدعي لنفسها القيادة السياسية وتتولاها .

## ٧ - آباء الكنيسة في القرنين الرابع والخامس

أ- أمبروسيوس أسقف ميلانو (٣٣٩ - ٣٩٧ م) Ambrose

أسرة أمبروسيوس المسيحية - تعيين أمبروسيوس حاكما - نزاع حول اختيار أسقف ميلانو - أمبروسيوس يصبح اسقفا لميلانو - أمبروسيوس يعتني بالفقراء ويهتم بهم - دراسات أمبروسيوس - أمبروسيوس و جراتيان - المسيحية الديانة الوحيدة للامبراطورية - أمبروسيوس يعارض جوستينا - أمبروسيوس يكرم رفات الشهداء - معارضة جمع الرفات والذخائر - موت فالنتينيان الثاني - أمبروسيوس وأغسطينوس - أمبروسيوس وثيودوسيوس - أمبروسيوس يأمر ثيودوسيوس بتغيير امر اصداره - ثيودوسيوس ومقتل سبعة الاف في تسالونيكي - امبروسيوس يدين ثيودوسيوس - ثيودوسيوس يجب ان يتوب - أمبروسيوس يطرد ثيودوسيوس من الكنيسة - توبة ثيودوسيوس - موت ثيودوسيوس - موت أمبروسيوس - الدولة لا تتدخل في شئون الكنيسة - الكنيسة فوق الدولة - مؤلفات أمبروسيوس - أمبروسيوس يحول الكنيسة إلى اللاتينية كما فعل داماسوس.

ب- جيروم ( ٣٤٢ ؟ - ٤١٩ م ) (Jerome)

حياته المبكرة - جيروم يختار حياة الرهبنة - ارتياحه لحياة الرهبنة - انقطاعه عن الكتاب الوثنيين - جيروم كاهنا واستمراره في الدراسة ، اختياره سكرتيرا للبابا - انتقاد جيروم لارستقراطية روما - جيروم يهاجم كل العلاقات الجنسية - جيروم والسيدة بولا - جيروم ينتقل الي بيت لحم - حياة الرهبنة في بيت لحم - الحجاج الي بيت لحم - موت بولا - جيروم يناضل الاخرين - جيروم ليس عالما لاهوتيا - جيروم يتحدث عن نشأة الاسقفية - جيروم يؤيد سيادة البابوية في روما - جيروم يترجم

الفولجاتا - جيروم يترجم من العبرية - شخصية جيروم.

### ج - ثلاثة آباء شرقيون

- ١ - كيرلس أسقف أورشليم ( ٣١٠ - ٣٨٦ م )
- ٢ - أبيفانيوس أسقف قبرص ( ٣١٥ - ٤٠٣ م )
- ٣ - أفرايم أسقف سورية ( ٣٠٦ - ٣٧٣ م )

### د - يوحنا فم الذهب Chrysostom ( ٣٤٥ - ٤٠٧ م )

كريسوستوم فم الذهب ، حياته العائلية - فم الذهب الطالب - فم الذهب في الدير - فم الذهب في انطاكية - فم الذهب واعظا - فم الذهب رئيس أساقفة القسطنطينية - توجيه النقد الي يوحنا ذهبي الفم - عزل فم الذهب في مجمع البلوط - عزل فم الذهب ونفيه وموته - الفرق بين الكنيستين الشرقية والغربية - فم الذهب نيقوي في الفكر اللاهوتي.

### هـ - أغسطينوس أسقف هيبو ( ٣٥٤ - ٤٣٠ م ) (Augustine)

### ١ - حياة أغسطينوس

شهرة أغسطينوس - اعترافات أغسطينوس - سنوات عمره الاولى - الصراع الذهني والاخلاقي - أغسطينوس والمانوية - أغسطينوس وأمبروسيو - صراع أغسطينوس الروحي - " خذ واقرأ " - الله يجد أغسطينوس - أغسطينوس أسقف علي هيبو - زعامة أغسطينوس في هيبو.



## ٢ - أغسطينوس ضد الدوناتيين

مشكلة الدوناتية - الدوناتية تهدد وحدة الكنيسة - أغسطينوس يهاجم الدوناتية  
الدوناتيون يجبرون علي العودة إلي الكنيسة - أغسطينوس واستخدام القوة.

## ٣ - اللاهوت عند أغسطينوس

تقدير عقيدة أغسطينوس اللاهوتية - العلاقة الشخصية مع الله - بحث الانسان عن  
الله - الاتحاد مع الله - الشخصية الانسانية والله - الثالوث - التعاليم المتعلقة  
بلاهوت المسيح - الخطية والخلص - التعيين السابق - تأليه المسيحي - تأثير  
أغسطينوس علي الآخرين - التعليم المتعلق بالكنيسة - لا خلاص خارج الكنيسة -  
مدينة الله - نظرة أغسطينوس الي التاريخ.

## ٤ - النزاع مع بلاجيوس ( Pelagius )

بلاجيوس وحرية الانسان - أغسطينوس يهاجم بلاجيوس - الحكم علي البلاجيوسية  
- كاسيانوس والبلاجيوسية - استمرار الحوار - التأثير المستمر لأغسطينوس.

## ٨ - المنازعات حول العقيدة في المسيح

ناسوت المسيح ولاهوته

أ - أحداث وشخصيات لمجمع أفسس ٤٣١ م.

١ - أبوليناريوس ( Apollinarius )

٢ - المدرسة الأنطاكية

ديودورس الطرسوسي Diodorus - ثيودورس أسقف ميسوستيا Theodore of Mopsuestia - نسطورس Nestorius ثيوتوكس Theotokos .

### ٣ - كيرلس الأول أسقف الاسكندرية (Cyril of Alexandria) ( ٤٤٤ م - ؟ )

شهرة كيرلس - العقيدة في المسيح عند كيرلس - كيرلس ضد نسطورس

### ٤ - مجمع أفسس

مجمع مضطرب - إدانة نسطوريوس - الإمبراطور يدين الحزبين ، لكن كيرلس ينتصر أخيرا - إتفاق كيرلس والأنطاكيين علي صيغة جديدة بعد أفسس - نسطور والكنيسة النسطورية - التاريخ اللاحق للنسطوريين .

### ب - أحداث وشخصيات مجمع خلقيدون ٤٥١ م

إستمرار الحوار حول العقيدة في المسيح - عقيدة أوطاخي في المسيح - مجمع ثان في أفسس - البابا ليو الأول وكتاب " طومس " - ديوسقورس في مجمع أفسس الثاني - الموقف يتغير لصالح ليو - الحكم علي ديوسقورس في خلقيدون - العقيدة الخلقيدونية في المسيح - قانون الإيمان الخلقيدوني - تأثير خلقيدون علي قانون الإيمان المشيخي الوستمنستري - الكنائس غير الخلقيدونية - بيان الأنبا غريغوريوس - طبيعة واحدة - الألوهية والناسوت متحدتان في المسيح - ليست عقيدة أوطاخي - اتحاد حقيقي لكن من غير إمتزاج - مثل إتحاد الروح والجسد - الإختلاف حول خلقيدون إختلاف طفيف - الكنائس الأرثوذكسية الشرقية ترفض عقيدة خلقيدون -

الحاجة الي الإتفاق والإتحاد .

## ج - نتائج مجمع خلقيدون

إستمرار النزاع حول العقيدة في المسيح - الإضطهاد البيزنطي في مصر - زينو Zeno والهنوتيكون Henoticon - إحترام غير الخلقيدونيين - ساويرس الأنطاكي - انقسامات أصحاب الطبيعة الواحدة Monophysite - الإمبراطور جوستنيان - الفصول الثلاثة ومجمع القسطنطينية الثاني - يعقوب بارادايوس ( يعقوب البرادعي ) - هرقليوس وعقيدة الإرادة الواحدة ( المشيئة ) - كورش ( المقوقس ) الملكاني ، بطيركا - اليونان الأرثوذكس - الأقباط الأرثوذكس .

## ٩ - التطورات داخل الكنيسة في القرون الرابع

### والخامس والسادس

#### أ - الإدارة والنظام

مركز وحياة الأساقفة - إستبعاد الأثرياء من الإكليروس - تأثير العلمانيين - تدهور وضعف تأثير العلمانية .

#### ب - العبادة

تطورات في العبادة - معني عشاء الرب في الشرق والغرب .



## ج - الرفات - الذخائر والقديسون والملائكة

تكريم القديسين - العذراء مريم - الملائكة - نهاية عصر .

# **١ - قسطنطين والكنيسة**

## قسطنطين يقوي مركزه :

في سنة ٣١٣ م كان الإمبراطور قسطنطين الذي اتسمت شخصيته بالطموح والإعتقاد بأن السماء قد اختارته لهذا الدور . كان وقتئذ في بداية مسيرة حياته كواحد من أعظم أباطرة الرومان . ففي أعقاب هزيمة مكسنتيوس Maxantius عند جسر ميلفيان، وإتفاق قسطنطين و ليسينيوس Licinius في ميلان . أتيحت له فرص جديدة لإحكام قبضته علي الإمبراطورية . وكان مكسيمينيوس Maximinus حاكم الشرق الذي اختلف مع سياسة ليسينيوس وقسطنطين قد هدد بالهجوم بجيش قوي . فتصدي ليسينيوس بموافقة قسطنطين لمكسيمينيوس وهزمه بسهولة ( أنظر المجلد الثاني ) . وترتبا علي ذلك أصبحت الإمبراطورية مقسمة الآن بين اثنين ، قسطنطين في الغرب و ليسينيوس في القسم الشرقي ( اليونان وآسيا الصغرى ) .

## ليسينيوس يضطهد المسيحيين :

إستمر السلام لمدة سبع سنوات بين قسطنطين و ليسينيوس رغم أن ليسينيوس كان مصيبا في شكه من جهة أطماع قسطنطين في الإنفراد بالحكم . أضف الي ذلك أن ليسينيوس لم يكن مثل قسطنطين في تعاطفه نحو المسيحيين . ولعدة أسباب بدأ ليسينيوس عمليات القمع ضدهم . فطردهم من العمل في القصور الإمبراطورية ، ومن الجيش ، ومن الوظائف الحكومية . وحظر علي الأساقفة عقد مجامع رسمية كما حرم علي الرجال والنساء الإجتماع معا للعبادة بل كان يجب أن تقام كل الخدمات في الهواء الطلق ولم يكن مسموحا للمسيحيين بزيارة السجون . ووصل الأمر في بعض المناطق الي أن يهدم الحاكم الكنائس ويقتل الأساقفة .



## قسطنطين يهزم ليسينيوس :

لكن هذه الإجراءات التي اتخذها ليسينيوس ، لم تساعد علي تقوية مركزه ، بل بالحري أعطت قسطنطين المبرر الذي كان ينتظره لغزو القسم الشرقي ، فاجتاحه وأحرز بعد عدة معارك نصرا حاسما . وبعد أن إستسلم ليسينيوس ، ترك حيا بعض الوقت ، لكنه قتل أخيرا في سنة ٣٢٤ م ربما بأمر من قسطنطين .

## قسطنطين الحاكم الأوحـد :

وهكذا أصبح قسطنطين الحاكم الأوحـد للإمبراطورية الرومانية دون منازع . وقد نقش علي القصر الذي شيده لنفسه بعد ست سنوات ، في مدينة القسطنطينية الجديدة السطور التالية : " إن المسيح أعانه لأنه إحترم " الإلهي " وقد أحمـد المسيح نار الطاغية ومنح قسطنطين السلطة علي العالم بأسره " .

## قسطنطين كان مهياً لقبول المسيحية :

يمكن تقدير موقف قسطنطين تجاه المسيحيين والكنيسة . عندما نذكر أنه ربما كانت هناك بعض التأثيرات المسيحية في وقت مبكر من حياته . فمع أن أباه قسطنطيوس ( Constantius ) كان رجلا وثنيا ، لكنه كان متسامحا مع المسيحيين وكانت لقسطنطين أخت تحمل إسمـا مسيحيا فريدا هو أناستاسيا ومعناه ( القيامة ) . بعبارة أخرى كان عقله وقلبه مهياين لقبول الرؤيا السماوية التي رآها قبل المعركة عند جسر ميلفيان ، كما كان معدا لتفسيرها تفسيراً مسيحيا . فلما حاز النصر في اليوم التالي للرؤيا ، صار اقتناعه بهذا الإيمان راسخا . لقد حققت له السماء كل مطامحه السياسية .

## هيلانة أم قسطنطين :

كما ينبغي أن نذكر أيضا أم قسطنطين "هيلانة" التي صارت مسيحية بتأثيره وقد اشتهرت بالأعمال الخيرية وزياراتها للأراضي المقدسة . وإرتبط إسم هيلانة بعدد من الكنائس المشيدة هناك . كما يوجد تقليد بأنها إكتشفت الصليب تحت كنيسة القبر المقدس . وتحتفل الكنيسة القبطية يوم ٢٤ مايو بتذكارها كقديسة.

## سمات المسيحية عند قسطنطين :

لكن إلي أي مدى كان مسيحيا ؟ هل فهم فعلا طبيعة هذا الإيمان الجديد ؟ لقد تناول الكثيرون من المؤرخين هذا الموضوع في دراسة مستفيضة وجاءت النتائج متضاربة . إن قسطنطين لم يتخل عن عبادته لإله الشمس محتفظا برموز هذا الإله علي العملات النقدية جنبا الي جنب مع شعار المسيحية وهو " الحرفان الأولان من كلمة " خرستوس " أي المسيح في اليونانية " ، مما يبين أنه في الواقع لم يفهم تفرد يسوع المسيح بإعتباره ابن الله ورئيس الإيمان المسيحي ، وهناك تمثال في روما لقسطنطين وهو يحمل رمحا عليه صليب منقوش عليه أنه " حرر المدينة من الطغاة بفضل علامة الخلاص هذه". وثمة تمثال آخر له في القسطنطينية وهالة إله الشمس تحيط برأسه ، ثم أن قوس قسطنطين الشهير الذي مازال قائما في روما عليه نقوش لإله الشمس . ومع ذلك يكتب لأسقف قرطاجنة عن " الكنيسة الكاثوليكية القانونية المقدسة " وإستنادا الي مثل هذه الأدلة يلخص الكاتب " كوكران \* " Cockrane رأيه بالقول : إن الإيمان الغامض بالله عند قسطنطين يجمع بمهارة بين متناقضات عبادة الشمس والمسيحية . كما يقتبس كوكران أيضا عن كيومونت ( Cumont ) الكاتب الفرنسي هذه العبارة "

---

\* Cochrane , Charles Norris , Christianity and Classical Culture , Oxford 1940 P. 216

إنها محصلة غريبة للولع بالفن اللاهوتي المبني علي أساس من " الحلولية " ( إلهية الكون ) مع الإستعانة ببعض المصطلحات المسيحية أكثر من استعانتة بالأفكار المسيحية .

### قسطنطين يحسب نفسه مسيحيا :

علي أنه لا جدال في أن قسطنطين كان يعتبر نفسه مسيحيا . فالكثير من أقواله يعكس هذا . فقد كتب إلي موظف رسمي يدعي أبلابيوس (Ablabius) في سنة ٣١٤م يقول : " الله . . . . . قد إئتمني . . علي حكم العالم كله . . حتي يتسني لي مراقبته ، وهو يندرننا بكارثة إذا نحن أغضبناه . نعم ، لن أكون آمنا ومطمئنا فعليا تماما وقادرا علي الثقة في احسانات الله القدير ، التي تمنح مجانا السعادة والخلاص ، حتي يقدم جميع الناس العبادة في وفاق وأخوة إلي الله كلي القداسة حسب طقوس الكنيسة الكاثوليكية آمين . ويقتبس ليتزمان LEITZMAN في كتابه " تاريخ الكنيسة الأولى " ( A History of the Early Church Vol 111. P.P157,158 ) من أقوال الإمبراطور وأحاديثه المختلفة ما يلي : " إنبثقت مساويء الأمراء والشر لكل العالم من خطأ تعدد الآلهة . لكن مجيء المسيح جلب العدل والسلام علي الأرض حينما أسس الكنيسة كهيكل لأسمي الفضائل . لكن العالم ثار ضدها حتي اندلعت حرب أهلية وقام إضطهاد للمسيحيين " . وأخيرا تلقى قسطنطين " تكليفا إلهيا لتنفيذ عدالة الله - بتحرير الشعوب من عبودية الشيطان ، والعمل علي توحيدهم في عبادة إله المسيحيين ، وهكذا يشفي العالم كله من الجراح القاسية التي عاني منها الناس من قبل " .

### عماد قسطنطين وموته :

لم يعتمد قسطنطين إلا وهو علي فراش الموت في سنة ٣٣٧ م - إلا أن ممارسة

العماد علي فراش الموت لم تكن بدعة في زمانه ، إذ كان الشعب يعتقد أن العماد في نهاية العمر يضمن التطهير من أكبر عدد من الخطايا . وقد دفن قسطنطين في الكنيسة في القسطنطينية وسط إثني عشر تمثالا تحمل تذكارات الإثني عشر رسولا وكان هذا دليلا علي أن الآخرين كانوا يعتبرونه مسيحيا .

### التسامح مع الأديان الأخرى :

من ناحية أخرى حافظ قسطنطين جددا علي مبدأ التسامح مع الديانات الأخرى وكان هذا واضحا في مرسوم ميلان سنة ٣١٣م ( أنظر المجلد الثاني ) وأعيد تسجيله في المنشور الذي أرسل إلي كل الأقاليم بعد هزيمة ليسينيوس . وبهذه المناسبة يصف قسطنطين تطوره الديني ، ويعترف بأنه مسيحي ، ويمتدح هذا الإيمان للجميع ، لكنه متشدد جدا في القول " لا إجبار لأحد ، فكل إنسان يمكنه أن يعيش بدون حَجَرٍ أو كبت ، طبقاً لمعتقداته الشخصية .

### ممثل الله علي الأرض :

وما استلقت النظر هو أن قسطنطين لم يعتبر نفسه إلها حسب عادة الأباطرة الرومان بل اعتبر نفسه نائبا عن الله في حكم الإمبراطورية. ويوضح يوسابيوس (EUSEBUIUS) في كتابه " حياة قسطنطين " هذه الفكرة : " إله الكل " ، الحاكم الأسمى لكل الكون عين بإرادته قسطنطين . . . ليكون رئيسا وسلطانا ، فبينما يرتفع آخرون الي هذه المرتبة بإختيار أنصارهم ، فإنه الإنسان الوحيد الذي لا يمكن لبشر أن يفاخر بأنه كان له يد في رفعته .

## المسيحية والإمبراطورية

لقد كان الدين دائما في العقلية الرومانية في خدمة الدولة ( فلأني سبب آخر كان الإمبراطور يعبد كإله ؟ ) والآن أصبح هذا الأمر أكثر وضوحاً فإن قسطنطين بعد إنتصاراته الشهيرة ، أصبح يعتبر وعد الإنجيل وعدا للإمبراطورية بل ولعائلته ، ويبدو أن قسطنطين رأي المسيحية كطلسم أو تعويذة تضمن الدولة بفضلها النجاح الذي فشلت الوثنية في تحقيقه . ويظهر هذا في العبارة الختامية لمرسوم ميلان " إن الفضل الإلهي الذي اختبره عند هذا المنعطف الفاصل في حياته سيستمر الي الأبد يطر المنافع والفوائد علي خلفائه ، وفي نفس الوقت يضمن السعادة للإمبراطورية .

## مشكلة الوحدة في الإمبراطورية

لقد كان موضوع الوحدة السياسية دائما مشكلة كبرى في الإمبراطورية الرومانية. فمنذ عصر يوليوس قيصر ( ١٠٢ - ٤٤ ق. م ) وسَّعت الإمبراطورية تخومها فإحتلت المزيد من المناطق حول البحر الأبيض المتوسط ، من بريطانيا الي فلسطين ، ومن آسيا الصغرى الي شمال أفريقيا . وقد ضمت هذه الرقعة الواسعة العديد من الحضارات واللغات والديانات . وقد جاهد القياصرة والأباطرة الواحد تلو الآخر بالجيوش البرية والأساطيل البحرية ، وطرق المواصلات الشهيرة ، أن يسيطروا علي التوترات السياسية التي كانت تنشأ طبيعيا . هكذا كانت هذه المشاكل تشغل بال قسطنطين كما أقلقت من سبقوه .

## المحبة المسيحية تخدم الإمبراطورية :

كان من عبقرية قسطنطين أنه اكتشف في الإيمان المسيحي وسيلة جديدة للوحدة



السياسية . فإن كان هناك ما يمكن أن يحقق السلام في الإمبراطورية ، فهو روح الشمولية والوحدة والمحبة ، وهي الصفات البارزة بوضوح في الكنيسة . ومع أن محبة الإنسان لجاره لم تكن مقصورة علي المسيحيين ، ولكن يبدو انهم مارسوها في ذلك العهد بطريقة أكثر فاعلية من أي جماعة أخرى . ويعتبر هارنك Harnak في كتابه انتشار المسيحية ( 11 , 145 ) Expansion of Christianity إن فضيلة المحبة المسيحية هي أقوى الأسباب في انتشار المسيحية . ولقد قدّر قسطنطين هذه الصفة الفريدة وراح يعمل جاهدا لإستخدامها في خدمة الإمبراطورية .

### إهتمام قسطنطين بالكنيسة :

وكان من أقرب المستشارين لقسطنطين " يوسابيوس " ( Eusebius ) القيصري أسقف قيصرية المؤرخ المسيحي ، و"هوسيوس " ( Hosius ) أسقف قرطبة ولاكتانتوس ( Lactantius ) الفيلسوف الروماني ذو الميول المسيحية . وواضح أيضا أن قسطنطين إهتم بمعرفة شئون الكنيسة ، وكثيرا ما تقابل مع قادتها . وقد حرص علي أن يقول في إحدى المناسبات موجهها كلامه الي جماعة من الأساقفة أنتم عينتم أساقفة لشئون الكنيسة الداخلية ، وقد تعينت أنا أسقفا من الله لشئونها الخارجية " . أما كيف كان يحافظ بدقة علي هذا الوضع ، فمسألة تستحق النظر . لكنه بالتأكيد إهتم بالكنيسة - كما يبدو - بقدر ما إهتم بالإمبراطورية . وشرع في خلق مجتمع ملائم لأن يعيش المسيحيون فيه \* .

---

\* جدير بالذكر أن الإمبراطور قسطنطين يتمتع بإحترام عظيم من الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية . وتحتفل كنيسة الأقباط الأرثوذكس بذكراه كإمبراطور في ٢٨ برمهات ( ٦ ابريل ) من كل عام .

## إصلاحات قسطنطين :

ولتحقيق هذا الهدف أصدر قسطنطين قوانين تحرم بعض الممارسات الوثنية والبربرية فمنعت المصارعات الدموية في الملاعب (ولو انها لم تستأصل تماما إلا بعد ذلك بسنوات كثيرة ) وحظر ممارسة السحر وتقديم القرابين الوثنية في البيوت . ولم يعد الأطفال غير المرغوب فيهم يتركون في الصحراء ليموتوا في العراء . كان العبيد في الأزمنة السابقة يوسمون بالكي علي جباههم وقد أصبح هذا الأمر محظورا احتراما لصورة الله . ومع أن الرق ظل قائما لعدة قرون عديدة بعد ذلك إلا أن الشفقة والتقدير أصبحا مفروضين بقوة القانون للعبيد وللحيوانات . وأصبحت قدسية الزواج مصونة . وتعززت حقوق الزوجات تجاه أزواجهن . لكن هذه الإصلاحات لم تنفذ كلها علي الوجه الأكمل ويجب أن يقال أن الإصلاح في مجمله إنصب علي الناحية الإنسانية أكثر مما علي الناحية المسيحية لكن الأولويات تغيرت ، وصارت هناك توجهات جديدة.

## امتيازات للكنيسة :

وكان التغيير الجذري هو ما مس حياة المسيحيين . فبعد ان كانوا "معتبرين أعداء الجنس البشري" ، و" ملحدين " ارتقوا الي مستوى الاحترام فوق كل الآخرين وأصبح المسيحيون يختارون للمراكز الحكومية المرموقة. ومنح رجال الدين مراكز اجتماعية متميزة. ولم يعفوا من الضرائب فحسب بل تلقوا أيضا إعانات مالية من الحكومة . \* كان في امكان الأساقفة ان يتدخلوا في القضايا المدنية وينقلوها إلي المجالس القضائية الكنسية ( مثل المجلس الملي ) . وكان من حقهم إعتاق العبيد.وأعلنت الكنائس حرما يحتمي به الفارون من العدالة . وقد جذبت هذه

---

\* كما اعفوا من الخدمة في مجلس الشيوخ

الامتيازات العديد من المحتقرين والمزدرين الذين ليسوا اهلا للاعتراف بهذا الايمان .لقد صارت الامتيازات مصدرا خطيرا للفساد لدرجة ان الامبراطور نفسه أصدر قوانين تمنع فئات معينة من الشعب من الالتحاق بالخدمة الدينية .

### حفظ يوم الاحد - نسخ الأسفار المقدسة - بناء الكنائس :

مع مرور الوقت ظهرت إمتيازات أخرى للمسيحيين وللكنيسة . فقد أعلن في سنة ٣٢١م أن يوم الاحد هو يوم العطلة الرسمية . وشجعت الحكومة عملية نسخ الأسفار المقدسة (مع أنه أثناء الإضطهادات صودرت الكتب المقدسة لإضعاف الكنيسة). ونتيجة لذلك تتمتع الكنيسة اليوم بكنوز من أثمن مخطوطات الكتاب المقدس مثل المخطوطة الفاتيكانية (محفوظة في الفاتيكان) والمخطوطة السينائية (في المتحف البريطاني) \*التي نسخت باللغة اليونانية في القرن الرابع. كما تميزت نفس الفترة الزمنية بنشاط عظيم في بناء كنائس جديدة علي حساب الحكومة فأعيد بناء كاتدرائية نيكوميديا (Nicomedia) التي كانت قد (تهدمت من قبل في ثورات ضد الكنيسة )كما اعيد بناء الكنيسة الذهبية في أنطاكية .وشيدت كنيسة القبر المقدس وكنيسة بيت لحم \* اما كنيسة القديس بطرس العظيمة وكنيسة القديس بولس الكبيرة فقد تم تشييدهما في روما مع وقف آلاف الجنيهات عليهما ، وكنيسة القديس بولس الواقعة خارج روما اطلق عليها اسم بطريرك الاسكندرية.

---

\* وجدت المخطوطة السينائية في دير سانت كاترين علي جبل سيناء .

\*\* كلمة كنيسة هنا هي في اليونانية Bassilica ومعناها " ملك " . وكانت في الأصل قاعة الملك مما يدل علي أن فن عمارة هذه الكنائس الأولي كان يصمم علي مثال البلاط الملكي .

## الكنيسة تصبح غنية :

تدفقت الأموال علي خزينة الكنيسة بكميات متزايدة ، ليس من الحكومة فحسب، بل أيضا من خاصة الأفراد الذين كانوا مستعدين أن يتنازلوا عن نصف ممتلكاتهم ضمانا لحصولهم علي الخلاص وصارت الممتلكات الثمينة مصادر للدخل المستمر المتزايد عبر القرون . و كما يقول و.ه.س.فريند " ان ما تجمع من الأموال الطائلة لكنيسة العصور الوسطي إنما كانت بدايته في القرن الذي تلا اهتداء قسطنطين. ( The Laymen in Christian History ) وقد قدمت هذه الأموال للكنيسة أساسا لتستخدم في سد حاجات المعوزين وقد قال غريغوريوس النازيانزي " يجب أن نتقاسم ثروتنا مع المسيح ، حتي تتقدس ويصبح للفقراء فيها نصيب ". ولكن للأسف لم يكن هذا هو الوضع دائما . فهناك روايات عديدة عن العز والترف اللذين تمتع بهما رجال الدين . فكان الأساقفة يقيمون ولائم وحفلات نافست ولائم الإمبراطور نفسه .

## أضرار تلحق بالكنيسة :

يعتقد بعض المؤرخين بأن الخسائر التي لحقت بالكنيسة في عهد قسطنطين أعظم من المكاسب .وكما يقول أحد الكتاب : " ما كادت الكنيسة تتحرر من ظلم مضطهديها حتي وجدت نفسها في مواجهة تجربة أقسى من مواجهة الأعداء ، وهي حماية الدولة المرهقة والمزعجة ( Palanque, J.R. The Church in the Christian Roman Empire, p.69 ومع وجود الكنيسة في حضن الامبراطور وبالرغم من نواياه الطيبة ، ومع تدفق الثروة الطائلة ، والمكانة السامية للكنيسة ، الحرية غير المحدودة كان حتما أن تفقد المجتمعات المسيحية الكثير من بساطتها الأولي وطهارتها الأصلية ولم يكن عدد كبير من القديسين علي مستوي القداسة بدرجة كافية لمقاومة التجارب التي

## " الدهماء " ينضمون للكنيسة :

وقد ظهرت مشاكل أخرى فقد نمت الكنيسة بسرعة، وأصبح الإنضمام إلى الكنيسة مسايرة للموضة . ووجد رجال الدين استحالة في تقديم المعرفة الكافية والمناسبة لهذه الأعداد المتزايدة . وهكذا تدافع جمهور من أتباع الديانات الوثنية كي يتعمدوا وهم لا يعرفون من المبادئ المسيحية إلا القشور . وصار الغوغاء من مواطني روما وأنطاكية والإسكندرية مسيحيين بالإسم وليس أكثر . وكانت أعمالهم في بعض المواقف تدل علي العناد والتمرد مثلما كانوا قبل المسيحية .

## إزدياد الهرطقات :

كانت الكنيسة منقسمة بالفعل بسبب الهرطقات المختلفة . الا أن المذاهب والشيع تضاعفت بسرعة في الجو الأكثر إنفتاحا في عصر قسطنطين . وقد تحدثنا في المجلد الثاني عن " الانفصاليين والقوميين والدوناتيين في شمال افريقيا The Schismatic and Nationalistic Donatists of North Africa " لكن علي امتداد الإمبراطورية ترعرعت أفكار قديمة وجديدة حسب الطلب ويقال إنه في مدينة واحدة في آسيا الصغرى تواجد المونتانيون Montanist والنوفاتيون Novationists والانكراتيون Encratites والأبوتاكتيون Apotactites جنبا الي جنب ، وكل منها يدعي أنه الكنيسة الحقيقية . وقد اشتمل الكثير من هذه الفرق علي عدد قليل جدا من المتحمسين Enthusiasts ، بعضهم شبه مجانيين أو حتي مجرمين . لكنهم كانوا من عناصر مشاغبة ومعارضة لسلطان الكنيسة وسلطة الدولة . في نهاية هذا القرن صنف كاتب اسمه فيلاستريوس Filastrius قائمة من ١٥٦ فئة من الهرطقة علي امتداد الإمبراطورية .



## الحدُّ من الممارسات الوثنية :

مع أن الإمبراطور أعلن عن الحرية لجميع الفئات الدينية ، إلا أنه صار الأمر أصعب عليه أن يتسامح مع الكثير من الممارسات الوثنية المتطرفة . فعندما سمع عن الفساد العلني في معبد بعلبك في فينيقية ( لبنان ) أمر بهدمه . كما أن هناك معابد أخرى مثل دلفي Delphi في اليونان انتزع منها التماثيل البرونزية والمرمرية والكنوز الفنية الأخرى . وقد خاطب قسطنطين الوثنيين قائلا " ليحتفظ المنعزلون عنا بمعابدهم لو أرادوا" ويقال إن هناك من يدعون أن استخدام المعابد ممنوع عليهم . وإن هذه هي رغبتني للإضرار بالصالح العام . وما يزال هناك مثل هذا الخطأ المؤسف لدى بعض الأشخاص ."

## العقلية الوثنية تستمر :

ومع ذلك وبطرق عديدة عاشت الممارسات الوثنية والعقلية الوثنية ولم تمت . وكما أن قسطنطين لم يتحرر تماما من تبجيل إله الشمس ، وهكذا خلط كثير من الشعب علي إمتداد الإمبراطورية - عن وعي أو دون وعي - القديم بالجديد . ولابد أن هذا الأمر ما بدا غريبا . ولأنهم اعتادوا علي تعدد الآلهة حيث يمكن أن يتعبدوا لآلهة كثيرة في وقت واحد ، لذلك لم تكن الوصية المسيحية " لا يكن لك آلهة أخرى أمامي " مفهومة دائما وقلما أطاعوها \* .

---

\* حتي في القرن الخامس قيل أن البابا ليو Leo الخامس زجر العابدين في كنيسة القديس بطرس لما لاحظ أنهم يصعدون درجات السلم ببطء ليقدّموا لإحترام لإله الشمس قبل دخولهم الكنيسة ليعبدوا المسيح الله .

## تأثير الوثنية علي التقويم :

في الحقيقة إن البقية الضئيلة الباقية من تأثيرالأوثان الرومانية موجودة في التقويم الغربي المستخدم اليوم في اللغات الأوروبية ، وبصفة خاصة في اللغة الفرنسية فقد دعت أيام الأسبوع بأسماء الشمس والقمر والكواكب التي كان الوثنيون يعبدونها:

أسماء النجوم في العربية	أسماء النجوم في الإنجليزية	أسماء الأيام في الفرنسية	أسماء الأيام في الإنجليزية	ملاحظات
الشمس	Sun	Dimanche	Sunday	
القمر	Moon	Lundi	Monday	
المريخ	Mars	Mardi	Tuesday	إله سكسوني Twi
عطارد	Mercury	Mercredi	Wednesday	Woden " "
المشتري	Jupiter	Jeudi	Thursday	Thor " "
الزهرة	Venus	Vendredi	Friday	Frigg " "
زحل	Saturn	Samedi	Saturday	

كذلك ترجع أسماء بعض الشهور الي الآلهة الوثنية والأباطرة والقيصرة الرومان \*

يناير . . . . . من الإله يانوس Janus

مارس . . . . . من إله الحرب مارس

يوليو . . . . . من يوليوس قيصر

أغسطس . . . . . من أغسطس قيصر

\* أسماء شهور سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر وديسمبر هي في الأصل الأعداد السابع والثامن والتاسع والعاشر من التقويم الروماني .

## نقطة تحول تاريخي

وقد كان لنقطة التحول التاريخي العظيم هذه عدة جوانب بالنسبة للكنيسة والإمبراطورية . وكانت فترة للتغيير المعقد ، لم يتفهمها تماما من شاركوا فيها . فقد ظلت الآثار البعيدة المدى لهذا التغيير الصالح والشرير ، محسوسة لعدة قرون تالية . إن العالم الذي نعيش فيه اليوم في الحقيقة يشعر بنتائج رسالة السماء التي ظهرت لقسطنطين . بهذه العلامة تنتصر \*

---

\* تحتفل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بذكرى إغلاق الهياكل الوثنية وفتح الكنائس يوم ٤ بؤونه الموافق ١٧ يونيه . وكان بطاركة الإسكندرية في تلك الفترة هما الكسندروس الأول ( ٣١١ - ٣٢٨ م ) ثم أثناسيوس ( ٣٢٨ - ٣٧٣ م )

### **Recommended English Readings**

- 1 - Bruce , F.F.**The Spreading Flame** , Paternoster Press England.1978 , pp . 293 - 301 .
- 2 - Chadwick , Henry -**The Early Church** , Penguin Books , 1976, pp .125-132
- 3 - Danielou , J. and Marrou , H .**The First Six Hundred Years of The Christian Centuries**) Vol I, Mc Graw - Hill , New York 1964 , pp. 225 - 243 .
- 4 - Duchesne , Louis -**The Early History of the Christian Church** . Vol 11. John Murray , London , 1922 . 45 - 71 .
- 5 - Jackson , F . J . Foakes -**The History of the Christian Church to A.D. 461** , George Allen , London , 1957 , pp. 279 - 288 .
- 6 - Leitzmann , Hans -**A History of the Early Church** , Vol .111 , Lutterworth , London , 1967 , pp . 137 - 162 .

## ٢ - الأريوسية ومجمع نيقية



## أ - أريوس

### عصر جديد في الفكر اللاهوتي

ندخل الآن إلى حقبة من أخطر الحقب في تاريخ الكنيسة . فعلى مدى القرنين الرابع والخامس حسمت قضايا لاهوتية أساسية . وكانت القضية التي ركّز عليها القرن الرابع هي العلاقة بين الله الآب والمسيح الإبن ، واختص القرن الخامس بلاهوت وناسوت الإبن . وقد حسمت أيضا قضية مكان الروح القدس ولو انها كانت قضية فرعية ثانوية في تلك الفترة . ولم تكن هذه القضايا جديدة تماما . فقد أثارها من قبل بصيغة أو أخرى لاهوتيون أمثال ترتليان Tertullian من شمال أفريقيا وأوريجانوس من الإسكندرية ، لكن هذه الموضوعات الأساسية الرئيسية لم يتم بحثها ومناقشتها وتوضيحها وتصفيتها حتى حلول القرن الرابع . وليت هذا أمكن إنجازه بلا خصام وانقسام ، لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن . فالواقع أن أريوس Arius ( قس أعلن فيما بعد أنه هرطوقي مضلّ ) هو الذي بدأ الجدل الذي أدّى إلى انعقاد مجمع نيقية المسكوني في سنة ٣٢٥ م .

### أريوس

سيم أريوس قسا في الأسكندرية ( في سنة ٣١٠ م أو ٣١١ م ) وأوكلت إليه مسئولية الكنيسة في بوكاليس Baucalis . يقال إنه كان إنسانا متقشفا ، بسيطاً في معيشتة رقيقاً، لبقاً في حديثه ، وكان شخصية محترمة جدا . رسم علي يد ميليتيوس Melitius قائد جماعة المنشقين Schismatic الذين - مثل الدوناتيين من شمال أفريقيا - إرتابوا في تعيين من تنازل عن الكتب المقدسة . حوالي سنة ٣١٨ بدأ

أريوس يعلم مبدأ قاومه اسكندر بطريرك الإسكندرية التاسع عشر

## أريوسيون قبل أريوس

هناك خلفية لنشاط أريوس تعود الي وقت أوريجانوس ( ١٨٥ - ٢٥٤ م ) فقد أثار السابليانيون مسألة علاقة المسيح بالآب فيما يعرف بالفكر اللاهوتي الملكي . فقد علم السابليانيون Sabellius ( روما ، القرن الثالث ) بأن المسيح كان شكلا أو ظهورا لله الآب. وردا علي موقف السابليين فإن أحد تلاميذ أوريجانوس ويدعي ديونسيوس وهو البطريرك الرابع عشر للإسكندرية (٢٤٦ - ٢٦٤ م) إتخذ موقفا متطرفا قائلا " لم يكن ابن الله واحدا مع الآب بل كائنا آخر مختلفا عن الآب كاختلاف الكرمة عن الكرام والقارب عن صانع القوارب . الإبن قد " خلق " . ومع أن ديونسيوس عدل عن موقفه فيما بعد ، الا أن تأثيره علي أريوس لا ينكر. وهناك معلم آخر اسمه لوشيان Lucian من أنطاكية كان له تأثير مباشر أقوى علي أريوس . وكان ينادي بأن المسيح مع أنه كان له وجود سابق إلا أن وجوده لم يكن من قبل كل الأزل . ويقول البعض إن لوشيان هو الأب الروحي للأريوسية .

## الفكر اللاهوتي لدي أريوس

من الواضح أن الدافع لأريوس هو الحفاظ علي كمال الله الآب وسرمديته وألوهيته. وفي نفس الوقت نسب دور هام للمسيح الإبن ، يفرزه عن الآخرين. علي أن أريوس لم يستطع أن يقبل وجود تغيير أو انقسام في الله الآب الذي كان الجوهر النهائي ، وهو في ذاته غير مدرك . هذا التفسير الأفلاطوني الحديث للذات الإلهية جعل الله بعيدا لا يمسه شيء زمني أو جسداني . ولذلك فطبقا لرأي أريوس فإن : " الكلمة " Logos (المسيح) ، مهما سما فوق باقي الخليقة فهو كائن مخلوق أوجده الله ولذلك له بداية " وفي وقت ما لم يكن له وجود " . ولذلك أيضا كان الإبن من جوهر آخر غير جوهر الآب . إن وجود اللوغوس الكلمة ليس وجودا حتميا ، لكنه نتيجة

لفعل اختياري حر من الآب خالق الكلمة " اللوغوس " . وكمخلوق زمني كان الكلمة " اللوغوس " خاضعا للتغيير. كان إلها لكن ليس في نفسه ومن نفسه . فهو يستمد ألوهيته من الآب . فإن كان اللوغوس حائزا لحكمة الآب وقوته ، فالأمر ببساطة أن الآب منح هذه الصفات . لذلك قد يكون للإبن صفات إلهية لكن بدون مشاركة كاملة في اللاهوت الجوهرية ذاته . وعلي حسب قول أريوس ما كان " الكلمة " في حاجة إلي أن يكون ذا جوهر إلهي لكي يملأ العالم بمعرفة حقيقية عن الله وينقل معرفة صحيحة للفضيلة .

### نظرية أريوس عن المسيح ككائن وسط

وقد بدا طبقا لرأي أريوس ، أن المسيح لابد إذاً أن يكون كائنا وسيط tertium quid أعظم من الإنسان وأقل من الله . ومن خلال المسيح خلق الله بقية الكائنات ، وهذا يعني أيضا أن الله الآب قد أصبح أكثر بعدا ولا يدني منه . وقد أدرك رأي أريوس - أن المسيح كائن وسيط - إلي إنكار الغاية الحاسمة في استعمال " الكلمة " في شخص المسيح . وفي عبارة صاغها أريوس بنفسه يقول " كلمات كثيرة نطق بها الله ، فأبي من هذه الكلمات نسميها الإبن الوحيد ؟ " ونتيجة لذلك فتح الباب مرة أخرى لتعدد الآلهة بكل كائناتها الوسطي " - آلهة - أنصاف آلهة - جان - وشياطين.

### أريوس يستعين بالنصوص الكتابية

وكما يحدث في كل جدل لاهوتي تمكن أريوس من دعم موقفه بهذه الآيات من الكتاب المقدس :

"الرب قناني أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم"

( أم ٨: ٢٢ )

" فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربا ومسيحا " .

( أع ٢: ٣٦ )

" الذي هو صورة الله غير المنظور ، بكر كل خليفة . فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما علي الأرض ، ما يري وما لا يري ، سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خلق

( كولوسي ١: ١٥ و ١٦ )

" بعدما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي ، صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث إسما أفضل منهم " .

( عب ١ : ٣ و ٤ )

" لاحظوا رسول إعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع حال كونه أميننا للذي أقامه "

( عب ٣ : ١ و ٢ )

## عزل أريوس وذهابه إلي قيصرية

لما نشر أريوس تعليمه حول الإسكندرية وجذب إليه أتباعا من داخل الكنيسة، إتخذ إسكندر أسقف الإسكندرية خطوات للحد من هذه الحركة . فدعا مجمع الإسكندرية للإتعداد في محاولة لتسوية المشكلة بهدوء . إلا أن هذا أدي لمزيد من الخلاف . فقد جمع أريوس رفاقه وأتباعه وتحدي سلطة اسكندر . وعندما إتسع الجدل نجح الأسقف اسكندر يسانده مائة من قادة الكنيسة ، في عزل أريوس وكثيرين من أتباعه . وبرغم أن أريوس لم يكن منفيا ، الا أنه سافر الي قيصرية حيث استغل مساعدة يوسابيوس أسقف نيقوميدية الذي تعاطف مع الأريوسية وكان ذا نفوذ عظيم في الكنيسة في الشرق .

## سجل المراسلات

عندئذ بدأت حملة مكاتبات علي نطاق واسع حث فيها الأسقف يوسابيوس جميع أصدقائه أن يعيدوا النظر في قرار كنيسة الإسكندرية . فرد الأسقف اسكندر بنفس الكيفية واصفا تعليم أريوس بأنه شيء منفر وأكثر ضررا من هرطقات الماضي ، وأنه يمهّد الطريق الي المسيح الدجال - ضد المسيح - وأقنع أساقفة آخرين بالتوقيع معه علي الرسالة .

## المعركة تصبح عامة

وبمساعدة الأسقف يوسابيوس انعقد مجمع في بيشينية بآسيا الصغرى للموافقة علي وجهة نظر أريوس ، ومطالبة الأسقف إسكندر بأن يعدل عن موقفه . حينئذ رجع أريوس للإسكندرية ليشرع في حملة جديدة بنفسه . وتم توزيع النشرات ووضع الأغاني العامة لتعليم الشعب (سواء أدركوا المعني اللاهوتي أم لا). وقد كتب أريوس قصيدة شعرية طويلة ، اسمها تاليا Thalia ، يمتدح فيها أفكاره . ويقال إن المعركة أصبحت حديث الساعة في شوارع الإسكندرية . وأن النكات كانت تطلق عليها في المسارح والملاهي الوثنية .

## قسطنطين يكتب لأريوس واسكندر

كان الإمبراطور قسطنطين قد انتصر حديثا علي " ليسينيوس " آخر منافس له في الإمبراطورية . وإغتمّ عندما علم بوجود خلافات في الكنيسة . فكتب خطابا مشتركا عاما لأريوس واسكندر وأرسله بيد " هوسيوس " Hosius أسقف قرطبة Cordova وهو واحد من أقرب مشيريه في شئون الكنيسة . ولما كان الإمبراطور غير



مقدر تماما لخطورة الموضوع ، حاول أن يهون من شأنه فكتب قائلا " إنه بعد أن تقصي بعناية ودقة أصل وأساس هذه الخلافات " وجد " أن السبب في الحقيقة شيء تافه ولا يستحق مثل هذا النزاع الشرس " وأضاف أن المناقشة يجب أن يقصد بها مجرد رياضة عقلية وألا تعرض بتسرع في الاجتماعات الشعبية والعامة وألا يعهد بها إلي أذن المجتمع بدون تعقل .

### هوسيوس يقنع الإمبراطور

علي أن هوسيوس سرعان ما أدرك أن الموقف أخطر بكثير مما ظن الإمبراطور . ولما رجع إلي نيكوميديا حيث كان قسطنطين مقيماً أقنع الإمبراطور بأن الموقف يستدعي خطوات أكثر حسماً من مجرد كتابة الرسائل والمساجلات المكتوبة .

### ب - نيقية

### مجمع في أنطاكية

عند عودة الأسقف هوسيوس من الإسكندرية دعا إلي عقد مجمع في أنطاكية والقليلون الذين حضروا الاجتماع كانوا من المقتنعين برأي أريوس ، ولم يحضر أحد من مصر . لذلك كان من السهل الوصول إلي رأي يدين الأريوسية . فقد أعلنوا أنه ما دام المسيح كان " مولودا " ( وليس مخلوقا ) ، لذلك فإنه من نفس طبيعة الآب .

### دعوات من الإمبراطور

في هذه الأثناء ، كان قسطنطين قد قرر الدعوة إلي مجمع يضم كل الكنيسة ، فأرسلت الدعوات علي نطاق واسع . ودفعت مصاريف الانتقال من خزينة الدولة ، وتم

حجز عربات البريد الملكية لسفر أعضاء المجمع . وتختلف التقارير حول عدد الحاضرين فهو علي أقل تقدير ٢٥ . وربما كان ٣١٨ عضو وقد تم تسجيل أسماء ٢٢. عضواً في الواقع لو بلغ العدد ٣٠٠ لأصبح سدس مجموع أساقفة العالم كله البالغ عددهم ١٨٠٠ أسقف في كل الكنائس في ذلك الوقت ) . وقد جاء معظم المندوبين من آسيا الصغرى وسورية وفينيقية وفلسطين . وكان هناك وفد قوي من مصر مكون من عشرين عضواً وعلي رأسهم البطريك اسكندر. وحضر ضمن المندوبين القديس بافنوتي Paphnuti والقديس بوتامون Potamon والشماس أثناسيوس ولم يزد عدد القادمين من روما علي ستة أعضاء .

### مندوبون إلي نيقية

من الأسماء الشهيرة كان هناك : هوسيوس Hosius أسقف قرطبة ، وسبيريدون Spiridion راعي الأغنام - أسقف قبرص ، ويوستاثيوس Eustathius أسقف أنطاكية ، وأسقف مبشر من القوط " The Goths " وقد جاء بعضهم حاملاً آثار الإضطهادات الحديثة . فبولس أسقف قيصرية الجديدة فقد كُلتا يديه بسبب التعذيب . كما فقد أسقفان من مصر البصر . أما بفنوتيوس Paphnutius وهو راهب وتلميذ للقديس أنطونيوس ففقأوا إحدى عينيه وأصابوا قدميه فأصبح أعرج ، وذلك أثناء الإضطهاد الأخير علي يد مكسيمين Maximin . ويخبرنا يوسابيوس المؤرخ أن الإمبراطور قسطنطين كان يحرص علي إحتضان بافنوتيوس وتقبيله في مكان عينه المفقودة . \*

---

\* بفنوتيوس مشهور بدفاعه عن حق رجال الدين في الزواج مع أنه هو نفسه كراهب عاش طول حياته أعزب ففي رأيه أن الزواج المسيحي للإكليروس لا يتعارض مع عهد العفة الذي يتخذه الآخرون . واحتج بأن فرض الأمر علي كل رجال الإكليروس يؤدي إلي الإنحراف ويعود بالضرر علي الكنيسة .

## نيقية ، أول مجمع مسكوني

لقد إنعقد العديد من المجمع والمؤتمرات والسنودسات قبل نيقية. لكن مجمع نيقية كان أول مجمع موسّع للكنيسة أي أنه أول مجمع مسكوني . كانت هيبة الإمبراطور هي السبب في عقد المجمع كما أن حضوره كحاكم صاحب سلطة أدي للوصول إلي القرارات التي صار لها حينئذ صلاحية في نطاق الدولة كما في داخل الكنيسة . ومن أجل الإمبراطورية إهتم قسطنطين بالسلام والوحدة داخل الكنيسة . فقد أراد للكنيسة أن تكون ترجمة مثالية للإمبراطورية . فالكنيسة ، عند قسطنطين يجب أن تعكس وضع الإمبراطورية علي أحسن صورة - في الإنسجام ، والهدوء والصفاء ، والنمو في الوحدة. ومن ثم فقد أراد أن يتحكم في سياسة الكنيسة فيما يختص بصحة المعتقد والهرطقة. ومع أنه نفسه لم يدعي أنه علي دراية متميزة وفريدة في الأمور اللاهوتية - وأذعن لحكم الأساقفة إلا أن نفوذ قسطنطين هو الذي حسم القرار الأخير

## قسطنطين يحضر الجلسة الافتتاحية

يقول يوسابيوس القيصري في كتابه " حياة قسطنطين " ٣ : ١٠ - ١٤ " Life of Constantine في وصفه لجلسة الافتتاح في نيقية يوم ٢٠ مايو سنة ٣٢٥ م في القاعة الكبرى للقصر جلس الأساقفة عن اليمين وعن اليسار. ودخل الإمبراطور مصحوبا فقط بمجموعة ضباط مسيحيين وكان يرتدي عباءة أرجوانية فاخرة مرصعة بالذهب والجواهر " متألقا براقا كأحد ملائكة الله في السماء ". ووقف أمام كرسيه ولم يجلس حتي أشار اليه الأساقفة بالجلوس ، وبعد كلمة ترحيب من يوسابيوس أسقف نيقوميدية أجاب الإمبراطور بكلمة باللغة اللاتينية ( ترجمت بعدئذ إلي اليونانية ) .

وقال إنه لم يرغب في شيء أفضل من أن يوجد في وسطهم وأنه يتألم إذ يري انقساماً وخصاماً داخل الكنيسة ، فهذا شر أردأ من الحرب ، وتمني أن النجاح الذي تم بالنصر الحربي علي الطفاة ، يتبعه الآن النصر للكنيسة ، وأن تبلغ الكنيسة الوحدة وتصبح قلباً واحداً وروحاً واحداً وتهب العالم كله السلام والوثام والإنسجام ، ثم أخذ قسطنطين حزمة من الخطابات التي كتبها له كثيرون من الأساقفة وأحرقها أمام أعينهم .

### الفرق الثلاث في نيقية

ليس لدينا سجل عما جرى في جلسات مجمع نيقية . فقد دارت المساجلات لعدة أيام ، بين أريوس ويوسابيوس أسقف نيقوميديّة وأتباعه من طرف ، واسكندر أسقف الإسكندرية ورفاقه من الطرف الآخر . وظهر فريق ثالث بقيادة يوسابيوس القيصري أسقف قيصرية ومؤرخ الكنيسة ، وجاء بصيغة حاول بها أن يحل المشكلة لكنه فشل في تقدير الموضوع الرئيسي .

### قانون الإيمان ليوسابيوس

" نؤمن بإله واحد الآب القادر علي كل شيء ، ضابط الكل ، خالق كل الأشياء ، ما يري وما لا يري . " و" يرب واحد يسوع المسيح ، كلمة الله ، إله من إله ، نور من نور ، حياة من حياة ، الإبن الوحيد - المولود - بكر كل الخليقة ، مولود من الله الآب قبل كل الدهور ، الذي به خلقت كل الأشياء ، الذي تجسد لأجل خلاصنا ، وعاش بين الناس وتألم ودفن وقام في اليوم الثالث ، حسب الكتب المقدسة ، وصعد إلي السماء جالسا عن يمين الآب ويأتي ثانية في مجد ، ليدين الأحياء والأموات ، الذي ليس لملكه نهاية . " ونؤمن أيضا بالروح القدس الواحد . "

## هوموأوسىوس Homousios ( من ذات الجوهر )

كان هذا القانون صحيحا تماما ويمكن قبول الأريوسيين له ، الأمر الذي بالطبع لم يرض الأسقف اسكندر وفريقه . وعند هذه النقطة تم اقتراح عبارة "هوموأوسىوس " هذا الاقتراح من الإمبراطور نفسه حسب كلام يوسابيوس المؤرخ ومعناها " من نفس الجوهر أو الطبيعة " وبذلك صارت العبارة ضد تعليم أريوس بوضوح .

## قانون الإيمان الأخير مع الأناتيميا

" نؤمن بإله واحد الله الآب كلي القدرة ، خالق كل الأشياء ، ما يري وما لا يري ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ، ابن الله ، المولود من الآب ، إله من إله ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود ، غير مخلوق ، من ذات الجوهر مثل الآب ، به خلق الكل ، ما في السموات وما علي الأرض ، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وعاش بين الناس ، الذي تألم وفي اليوم الثالث قام ، وصعد الي السموات ، ويأتي ليدين الأحياء والأموات . " ونؤمن بالروح القدس " .

## الأناتيميا أي الحرم

ثم جاءت بعد ذلك كلمات الأناتيميا كالآتي :  
" أما أولئك الذين يقولون ، انه ( المسيح ) في وقت من الأوقات لم يكن موجودا ، وأنه قبل أن يولد لم يكن موجودا ، وأنه جاء إلي الوجود من العدم ، أو الذين يتمسكون بأن ابن الله من جوهر آخر ، أو أنه مخلوق ، أو أنه قابل للتغيير أو أنه خاضع للتغيير والتبديل - أولئك ، تعلن الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية أنهم ملعونون محرومون " .



## القانون النيقوي لمجمع القسطنطينية

لم يستمر القانون السابق في الكنيسة طويلا . وقد صيغ قانون الإيمان النيقوي المستخدم حاليا في الكنيسة - في وقت إنعقاد مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م وأحيانا ينسب قانون نيقية الرسمي بطريق الخطأ الي مجمع القسطنطينية المنعقد في سنة ٣٨١م. لكنه اليوم مقبول في كل أفرع الكنيسة - الأرثوذكس ، والكاثوليك والبروتستانت. وجدير بالذكر أن الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية تحتفل بذكرى مجمع نيقية يوم الأحد السابق علي عيد العنصرة . الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تذكر قانون نيقية يومي الجمعة والأحد من كل أسبوع في خدمة القداس وفي كل خدمة ليتورجيا ( القداس ) .

## التوقيع علي القانون مع بعض التحفظات

بعد أن أقر الأساقفة المجتمعون نص قانون الإيمان الجديد طلب الإمبراطور منهم أن يوقعوا عليه . وقد وقع عليه معظمهم لكن مع بعض التحفظات . وقد أرسل يوسابيوس القيصري إلي كنيسته في قيصرية يبرر فيه الخطوة التي إتخذها في خطاب دفاعي قوي ومع أنه لم يكن سعيدا تماما بذلك إلا أنه وقع عليه من باب الإحترام للإمبراطور ولأجل السلام داخل الكنيسة . أما يوسابيوس أسقف نيقوميديه وشخص آخر فرفضوا التوقيع علي الأناثيما في ذيل القانون وأما أريوس واثنان من أخلص مؤيديه وهما سيكوندس Sacundus من بتوليمائس Ptolemais ، وثيوناس Theonas من مارماريكا Marmarika فقد تم طردهم من مصر ونفيهم منها . واتخذوا بعد ذلك من بيشينية في آسيا الصغري ملجأ لهم .

## انقسامات أساسية فى نيقية

مع أن نيقية أسفرت عن صورة للوحدة ، إلا أنه كان هناك الكثير من سوء الفهم والمرارة والكثيرون لم يدركوا بالحقيقة الموضوعات اللاهوتية . وحسب وصف سقراط المؤرخ Socrates قال " إن ما حدث يشبه معركة في الظلام ، لا أحد يعرف إذا كان أصاب صديقا أم عدوا ، ولم تشعر المجموعة الرئيسية الكبرى بزعامة يوسابيوس بالإرتياح واشتهروا أخيرا بأنهم شبه أريوسيين . أما الأريوسيون المتطرفون المتمسكون في اقتناعهم التام بموقفهم قد عرفوا بأنهم Exukontians من الكلمة اليونانية التي تعني " من فراغ أو من اللاشيء " .

## كراهية قسطنطين لأريوس

مع أن قسطنطين الذي لم تكن المسائل اللاهوتية واضحة أمامه مطلقا قد إقتنع برأي يوسابيوس أسقف نيكوميديا حول إعادة النظر في أفكار أريوس ، إلا أنه لم يهتم بأريوس مطلقا حتي سنة ٣٣٢م كان يكتب هكذا " إذا اكتشفت رسالة كاتبها أريوس فليكن مصيرها النار .. حتي لا يترك أي ذكرى له مهما كانت ..... وإذا قبض علي أي شخص يخفي كتابا لأريوس ولا يظهره ويحرقه علي الفور ، فعقابه الموت ، وتنفذ فيه العقوبة فور ثبوت الجريمة " .

## أهمية نيقية

لقد تأسي الكثيرون وحزنوا علي مجمع نيقية بسبب المرارة والانقسام الذي حدث في الكنيسة . فهل كان يلزم أن تناضل الكنيسة بهذه الشراسة حول حرفين في كلمة " هوموأوسيون " Homoousion ؟ ومع ذلك يجب ألا نتجاهل أن الموضوع محل النقاش لم يكن تافها ولكنه بالحري قضية لاهوتية أساسية لمستقبل الكنيسة . فلو أن

الأريوسية كسبت المعركة يومئذ ، لصارت المسيحية شيئا مختلفا تماما عما هي عليه اليوم . لكن كم تمنى المرء نهاية للصراع أبسط وأكثر سلاما وتتناسب مع قول الرب لفيلبس : " أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفني يافيلبس ؟ الذي رأيي فقد رأي الآب " ( يوحنا ١٤ : ٩ ) .

## قرارات حول المنشقين Schismatics وتاريخ عيد القيامة

لقد تم في نيقية تقنين أمور أخرى كثيرة أقل إثارة للجدل وتشريعها بإصدار عشرين قانونا كتابيا . فالميليتيون The Meletians ، مثل الدوناتيين The Donatists إنشقوا لأنهم رفضوا الإعتراف برسامة الأساقفة الذين إستسلموا أثناء الإضطهادات . وقد سمح للميليتيين بالعودة إلى الإسكندرية بشرط أن يخضعوا للأسقف اسكندر وقد احتفظ ميليتيوس نفسه Meletiu بلقب أسقف لكن لم يعد في إمكانه القيام بتعيين آخرين . وأصبح لجماعة النوفاتيين The Novationists إمتياز مشابه . وقد وافقت الكنيسة في الغرب في آرلز Arles علي وضع تاريخ عيد القيامة . وقد قبلت القرار أيضا الكنيسة في الشرق ( الفرق الحالي بين الشرق والغرب مرتبط بالفرق بين التقويمين الجوستينياني والجريجوري ( أنظر المجلد الأول صفحة ٩٢ ) .

## قرارات حول إدارة الكنيسة

لقد تقرر قواعد هامة تختص بإدارة الكنيسة . فقد اتفق علي وجوب تكوين هيئة سنودسية واضحة المعالم تحت رئاسة أسقف المدينة العاصمة - أي المطران . وعلي السنودس أن ينعقد بانتظام مرتين في السنة وفي قضايا التأديب بقطع العضوية ينبغي الوصول إلي الحكم فيها بواسطة محكمة . يتم إنتخاب الأساقفة وتنصيبهم بمعرفة كل أساقفة الإقليم بعد أخذ أصوات الرعية وموافقة المطرانية . الكهنة

والأساقفة ممنوع عليهم التنقل من أبرشية إلى أخرى بمقتضى مبادراتهم الشخصية . وقد وضعت معايير صارمة للحياة اليومية لكل الإكليروس . وقد لاحظ المؤرخون أن النظام الدستوري للكنيسة اتجه إلى الأخذ من دستور الدولة الرومانية . يضاف إلى ذلك أن قرارات نيقية لها قوتها في الدولة مثلما لها قوتها في الكنيسة .

## الجلسة الختامية

أسفر مجمع نيقية عن إصدار عدة رسائل بالإضافة إلى قانون الإيمان وعشرين قانونا ولائحة كنسية تم توقيعها كلها رسميا يوم ١٩ يونيه سنة ٣٢٥ م . وفي الجلسة الختامية جمع الإمبراطور الأساقفة وخاطبهم فحثهم على أن يحافظوا على سلام الكنيسة والإمبراطورية ، وأن يذكروه دائما في صلواتهم . وفي شهر يوليو من نفس العام اعد قسطنطين مأدبة كبرى لكل الأساقفة احتفالا بالعيد العشرين لحكمه ( نودي به امبراطورا في سنة ٣٠٦ في يورك بالانجلترا ) \*

## الكنيسة والدولة معا

هكذا في سنوات قليلة قصيرة ( حوالي ١٥ سنة ) تقدمت الكنيسة المسيحية من وضعها كهيئة دينية محتقرة ومضطهدة وملحدة ( في نظر الآخرين ) إلى أن صارت لصيقة بالإمبراطور الروماني نفسه .

---

\* تحتفل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بذكرى مجمع نيقية يوم ٩ هاتور ( ١٨ نوفمبر )

## **Recommended English Readings**

1. Boer, Harry R. -**A Short History of the Early Church**, Eerdmans, Grand Rapids, Mich, 1976, pp. 106-111
2. Bruce, F.F. -**The Spreading Flame**, pp. 302 - 308.
3. Danielou, J.-**The First Six Hundred Years**, (Vol.1) and Marrou, H. of the Christian Centuries, pp. 249-253
4. Frend, W.H.C. -**The Early Church**, Hodder and Stoughton, London, 1971, pp. 147-155.
5. Jackson, F.J. -**The History of the Christian Church**, to Foakes A.D. 461, pp. 297-316.
6. Latourette, K.S. -**A History of Christianity**, Harper, N.Y. 1953, pp. 153-157.
7. Leitzmann, Hans -**A History of the Early Church**, Vol. III, pp. 94-122.
8. Schaff, Philip -**A History of the Christian Church**, Eerdmans' (republishing of Scribner's 1910 edition, Vol. III, pp. 618-632.
9. Seeberg, Reinhold -**Textbook of the History of Doctrines**, Baker, Grand Rapids, Mich. Vol. I, pp. 201-206, 216-218.
10. Walker, Williston -**A History of the Christian Church**, Scribner's, N.Y. - 1970, pp. 106-111.



## **٣ - الجدول الأريوسي بعد نيقية ودور أثناسيوس**

## أ - من نيقية (٣٢٥م) حتى وفاة قسطنطين (٣٣٧م) تحفظات حول نيقية

مع أن مجمع نيقية يعتبر أحد المعالم الخطيرة في تاريخ الكنيسة إلا أن قراراته لم تحسم الخلافات حسما نهائيا . وكما رأينا ، فحتي الذين وقعوا علي القرارات واللوائح كانوا ذوي اتجاهين فكريين . وواضح جدا أن يوسابيوس أسقف نيكوميديا ، ولو أنه وقّع علي القانون ، لكنه كان في الواقع مقتنعا بالرأي الأريوسي ، وكذلك لم يكن يوسابيوس أسقف قيصرية - وهو شبه أريوسي - لم يكن مستريحا للرأي الأرثوذكسي علي النقيض الآخر . وكان يوسابيوس أسقف نيكوميديا هو الذي نجح أكثر من أي شخص آخر في إقناع الإمبراطور بإعادة النظر في الفكر الأريوسي مرة ثانية.

### الأريوسيون يهاجمون يوستاثيوس

لقد هاجم يوسابيوس في البدء يوستاثيوس Eustathios أسقف أنطاكية الأرثوذكسي ( المؤيد لنيقية ) والذي كان ينتقد الأريوسيين بشدة ، وقد انتقد يوستاثيوس من قبل الفكر اللاهوتي لدي أوريجانوس . علاوة علي ذلك كانت أفكاره عن علاقة الله الآب بالمسيح الابن قريبة جدا من أفكار بولس اسقف سامسطة Samosta حيث كان يعتقد أن اللوغوس " الكلمة " خاضع للآب وأقل مرتبة منه . لكن أخطر الاتهامات الموجهة ضد يوستاثيوس انهم زعموا انه علي علاقة بامرأة ساقطة وأنه أهان هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين أثناء زيارتها للأراضي المقدسة سنة ٣٢٦م . فاجتمع مجمع لخلعه ، وقام الإمبراطور بنفيه الي تراكية Thrace وبهذه الطريقة تمت إزاحة واحد من أقوى مناهضي الأريوسية نفوذا.

## أريوس يكسب عطف الإمبراطور

بعد هذه الحادثة سرعان ما ناشد أريوس وأتباعه الإمبراطور العطف والصفح. ويقال إن قسطنطيا Constantia أخت الإمبراطور كانت تسانداهم . ولما كان الإمبراطور مقتنعا بوجوب إعادة النظر في القرار ، دعا إلى انعقاد مجمع ثان في نيقية سنة ٣٢٧ م . وكان معظم من حضروه من الأريوسيين أو أنصاف الأريوسيين . وأعد أريوس قانون إيمان مشابها لقانون إيمان نيقية ، لكنه حذف الكثير من التعبيرات المتنازع عليها . كما أكد لقسطنطين أنه قد قبل قانون إيمان نيقية . فأعيد إلى مركزه الأول مع زميله . وكتب الإمبراطور للأسقف اسكندر في مصر عن أريوس ، يوصي بأن يقبله ثانية في المنصب الإكليريكي الكهنوتي ، وأوصي أيضا بقبول جماعة الميليتيين The Meletians أما كيف كان رد الفعل من الأسقف اسكندر علي هذه القرارات ، فلا علم لنا به . ويحتمل أنه لم يقرأ خطاب الإمبراطور علي الاطلاق لأنه مات في ابريل سنة ٣٢٨ م.

## أثناسيوس يخلف الكسندر

كان أثناسيوس سكرتيرا لإسكندر وخليفة له ، وهو بالتأكيد الشخصية البارزة من الأكليروس في القرن الرابع . وكان أثناسيوس قد رافق اسكندر الي نيقية وكان المتحدث الرسمي البليغ المدافع عن الرأي الأرثوذكسي . وقد اختير أثناسيوس للأسقفية في يونية سنة ٣٢٩ م بسبب شعبيته بين الناس أكثر من كونه محبوبا جدا من الأساقفة الآخرين وقد قيل أن جمهور الشعب كانوا يهتفون "إنه انسان فاضل ومستقيم، زاهد وأسقف بمعنى الكلمة " وعن قدراته ومهارته لا تسأل ، فقد وقف شامخا متفوقا علي كل رجال الكنيسة في زمانه في فهم جوهر الموضوعات اللاهوتية وفي الدفاع عن الفكر النيقوي ضد أعدائه كما كان له نصيب كبير في الحد من تطرفات حركة الرهينة والحفاظ عليها في نطاق الكنيسة . لكنه لم يستطع أن يري الإقلال أبعد من استقامة قضيته . فقد كان صعبا ومدققا في معاملاته داخل الكنيسة ولم يكن متسامحا مع معارضيهِ وسنناقش فيما بعد كتاباته الهامة التي هاجم فيها

الأريوسية مدافعا عن القانون النيقوي . \*

## الأريوسيون والميليتيون ضد أثناسيوس في مجمع صور

من اول الاجراءات التي اتخذها اثناسيوس أنه رفض طلب الإمبراطور إعادة أريوس والميليتيين إلي مراكزهم الأولى . وفي إجتماع خاص مع قسطنطين ، أثر أثناسيوس عليه حتي أن قسطنطين لم يصر علي إذعان أثناسيوس له . لكن سرعان ما بدأ الأريوسيون والميليتيون - بعد تحالفهم معا - التآمر علي اثناسيوس . وكان أثناسيوس قد تعامل مع الميليتيين بعنف وشدة ، وكتب أيضا بإسلوب جاف عن أريوس واذ سعي الإمبراطور لإيجاد سبيل بين الطرفين حفاظا علي السلام ، دعا إلي التثام مجمع في مدينة صور في سنة ٣٣٤م ومع أن أثناسيوس حضر ومعه ثمانية وأربعون من أساقفة مصر ، لكن الأريوسيين سيطروا علي الجلسات التي رأسها يوسابيوس أسقف قيصرية ويوسابيوس أسقف نيكوميديا .

## الانتهاكات ضد أثناسيوس وعزله

وجهت إلي أثناسيوس إتهامات مختلفة بعضها قديم وهي أنه حاول فرض ضريبة علي المصريين ليمدوا رجال الأكليروس بثياب الكهنوت ، وأنه حاول أن يرشو أحد موظفي الحكومة ، وأن إنتخابه أسقفا تم بطريقة غير نظامية ، وأنه أمر بتدنيس المذبح في كنيسة للميليتيين ، وأنه قتل الأسقف الميليتيني أرسانيوس Arsinius وقد ثبت أن معظم هذه الانتهاكات باطلة وزائفة . فقد تم إثبات أن الأسقف القتيل كان حيا وذلك بإحضاره إلي المجمع . لكنه كان قد عومل معاملة قاسية بأمر أثناسيوس . وكان هناك

---

\* لا نعرف عن حياة أثناسيوس في سنواته الأولى سوى القليل ، وقد كان أبواه من الأثرياء . كان مصري المولد يوناني الثقافة . تعلم في مدرسة الإسكندرية الجدلية الشهيرة .

بعض الحق في الاتهامات الأخرى ، خصوصا الإتهام بخشونة معاملته للميليتيين . فأرسل المجمع إلي مصر وفدا مواليا للأريوسيين لتقصي الحقائق ، وكما كان متوقعا عاد الوفد بتقرير ضد أثناسيوس . عندئذ أعلن المجمع عزل أثناسيوس علي أساس تدنيس المقدسات وخلل أسلوب انتخابه أسقفا . والجدير بالملاحظة أن القضية ضد أثناسيوس ارتكزت علي أمور غير لاهوتية .

### نفي أثناسيوس إلى بلاد الغال ( فرنسا )

قدم أثناسيوس إلتماسا شخصيا يائسا إلي قسطنطين الذي كان قد انتقل إلي القسطنطينية . وكان الإمبراطور ، كسابق عهده ، ميالا إلي التعاطف معه . لكن يوسابيوس أسقف نيكوميديا ، الذي توقع مثل هذه المحاولة ، وجه إلي أثناسيوس تهمة أخيرة مذهلة ، أنه سعي لمنع شحن القمح من الاسكندرية إلي القسطنطينية العاصمة \* . وهذا ما لم يحتمله الإمبراطور الذي نفي أثناسيوس علي الفور إلي الشمال إلي تريير Triar في بلاد الغال ( فرنسا ) . وذلك يوم ٧ نوفمبر سنة ٣٣٥ م .

### إنتقال المجمع إلى أورشليم

في هذه الأثناء كان المجمع قد إنتقل من صور إلي أورشليم لتكريس كنيسة "بازيليكا " Basilica جديدة - هي كنيسة القبر المقدس \* . واحتفالا بمرور ثلاثين سنة علي حكم قسطنطين . بناء علي ذلك أعيد أريوس إلي وظيفته في نفس المناسبة . وأرسل خطابا بهذا المعنى إلي الكنيسة المصرية .

---

\* في الواقع كان في نطاق سلطة بطريرك الإسكندرية أن ينفذ مثل هذا الأمر . فقد كانت القسطنطينية تعتمد تماما علي سفن القمح من مصر التي كانت تمدها بنحو ثمانين ألف أردب قمح يوميا .

\*\* هذه الكنيسة تعرف أيضا بكنيسة أنستاسيا أو كنيسة القيامة ، ويحتفل في الكنيسة القبطية بتذكارها يوم ١٦ توت الموافق ٢٦ سبتمبر



## عزل مرسيللوس أسقف أنقره

انتهز الأريوسيون فرصة مجمع " صور - أورشليم " ليقضوا علي مدافع آخر من المدافعين عن قانون الإيمان النيقوي هو مرسيللوس Marcellus أسقف أنقره في آسيا الصغرى . فقد انتقد مرسيللوس تعليم أوريجانوس الذي أكد علي الأقانيم الثلاثة. أما الفكر اللاهوتي لدي مارسيللوس ذاته فلم يكن متميزا عن السابليانية Sabellianism فقد وصف نشاط اللوجوس Logos " الكلمة " أنه نوع من التوسع أو امتداد للاهوت ، وأنه يعمل طالما أن العمل مطلوب وله ضرورة . يضاف إلي ذلك أنه انتقد الأريوسيين في نيقية ، وألف كتابا هاجم فيه الكثيرين ومنهم يوسابيوس أسقف قيصرية ويوسابيوس أسقف نيكوميديّة . ووصل هذا الكتاب إلي قسطنطين الذي أعطاه بدوره إلي الأساقفة لدراسته فاكتشفوا فيه بسهولة هرطقة سابيلوس . وزيادة في تعقيد الأمور رفض مارسيللوس الإنضمام إلي إدانة أثناسيوس أو إعادة أريوس إلي منصبه . كما تنحى أيضا عن الاشتراك في إحتفالات تكريس كنيسة القبر المقدس. فكان من السهل عزل مرسيللوس وإحاطة الكنيسة والإمبراطور بذلك .

## الإبقاء علي قانون نيقية

وهكذا ، فإنه بعزل يوستاثيوس ، وأثناسيوس ومرسيللوس ، أخرج من ساحة المعركة ثلاثة من أبطال قانون الإيمان الرئيسيين في نيقية ، ويعتبر إعادة أريوس إلي منصبه نصرا آخر له ، ولو أنه مات في القسطنطينية سنة ٣٣٦م قبل أن يحضر الإحتفال بإعادته إلي مركزه . ومع ذلك فإن القانون النيقوي لم يقدم لمراجعته مطلقا ، فبالرغم من كل المنافسات الشخصية المحيطة بهذا العمل ، فقد ظل النص كما تم التوقيع عليه في سنة ٣٢٥م كما هو بدون تغيير بل إن الإمبراطور نفسه اعتبر نيقية

إنجازا شخصيا من الدرجة الأولى . وكما كتب جيبون Gibbon المؤرخ في الفصل ٢١ من كتابه : " تدهور إمبراطورية روما وسقوطها The Decline and Fall of the Roman Empire " لقد قدم قسطنطين الحماية لأريوس واضطهد أثناسيوس ( لكنه ) مع ذلك اعتبر مجمع نيقية حصنا للإيمان المسيحي ، ومجدا وشرفا خاصا لحكمه شخصيا " .

## موت قسطنطين

لم يعد باقياً لقسطنطين من عمره إلا القليل . ففي اعقاب عيد القيامة سنة ٣٣٧ م مرض الإمبراطور ، ولما شعر بإقتراب ساعته طلب أن يعتمد . ولم يرقد علي فراشه بالعباءة الأرجوانية الملوكية بل في الثياب البيضاء التي يتوشح بها المنضم حديثاً . ومات قسطنطين يوم ٢٢ مايو سنة ٣٣٧ م ودفنه ابنه قسطنطيوس في كنيسة الرسل في القسطنطينية .

## قسطنطين في الميزان

من الواضح ان قسطنطين عند بنائه مدينة القسطنطينية لتكون روما الجديدة المدينة المسيحية ، آمن بأن المسيحية يجب أن تصبح الديانة الرسمية للإمبراطورية بل في الحقيقة ديانة كل العالم . ولقد كرس نفسه تماماً لقضية الوحدة في الكنيسة وفي الإمبراطورية .

وقد اعلنت الكنيسة اليونانية ان قسطنطين واحد من القديسين ، ناظراً اليه بنفس التوقير الذي تقدمه الكنيسة اللاتينية لشارلمان . وهو بالتأكيد يستحق لقب " العظيم " اعتقد يوسابيوس المؤرخ بوجوب اعتبار قسطنطين مساويا للرسل ، لكن هذا امر مفتوح للمناقشة .

يجب ان نقتبس هنا فكر المؤرخ ستانلي Stanley " هكذا رحل اول امبراطور مسيحي، اول مدافع عن الايمان ، اول نصير ملكي للكرسي البابوي ، وكل الكنيسة الشرقية ، اول من اسس الاماكن المقدسة ، وثني ومسيحي ، ارثوذكسي وهرطوقي، متحرر ومتعصب . ليس من يشابهه أو يعجب به، بل نذكره كثيرا وندرسه بعمق "

Stanley, A.D., Lectures on the History of the Eastern Church, p.320

### **Recommended English Readings**

- 1 . Chadwick , Henry - **The Early Church** , pp.133 - 136.
- 2 . Duchesne , Louis - **The Early History of the Christian Church** , vol.II , pp.125-152
- 3 . Frend , W.H.C. - **The Early Church** , pp . 157 \_ 161.
- 4 . Jackson ,F.J.F. - **The History of The Christian Church** , to A.D. 461 , pp . 316 -350.
- 5 . Latourette , K.S. - **A History of Christianity**, pp.157 - 161.
- 6 . Leitzmann , Hans - **A History of the Early Church** , vol . III,pp.122 - 136.
- 7 . Walker , Williston , - **A History of the Christian Church** , pp. 109 - 111.

## ب - الفكر اللاهوتي لدي اثناسيوس

لكي نقدّر تماما اهمية اثناسيوس يلزم ان نأخذ في الاعتبار مساهمته في الفكر اللاهوتي في الكنيسة فهو من ناحية كشف ضعف حجج أريوس ، ومن ناحية اخري ثبت بوضوح وبصورة مقنعة معقولة عقيدة مجمع نيقية .

### تفنيد اثناسيوس للأريوسية

هاجم اثناسيوس الاروسيين بمتابعة حججهم الي نتائجها المنطقية :

١ - لو كان أريوس علي صواب ، اذا فليس الله الثالث ازليا . فان الابن والروح القدس مخلوقين وزمنيين ومع هذا هما اقنومان من الاقانيم الثلاثة لله ، وهذا يمنع ان يكون الله سرمديا

٢ - هناك احتمال تعدد الآلهة في الفكر الاروسي . فلو كان المسيح كائنا مخلوقا ومع هذا يعبد المسيحيون ( كما هو الواجب ) فانهم اذاً لا يعبدون الله نفسه بل كائنا آخر \*.

٣ - وجهة النظر الأريوسية تقتل يقينية الخلاص . فلو كان اللوغوس " الكلمة " (المسيح ) خاضعا للتغيير، فكيف يمكن للإبن القابل للتغيير ان يؤكد ويضمن للمؤمن خلاص الآب ؟

٤ - ان فكرة وجود هذا الكائن الوسيط tertium quit فلا معني لها . الله لا يأنف من الاتصال المباشر بالناسوت من خلال الابن . ولا هو عاجز عن هذا الاتصال كما انه بالتجسد لا يفقد اي جانب من جلاله الالهي بل بالحري يزيد. ولو كان يلزمه استخدام كائن وسيط لاتمام الخلاص ، اذن لوجب أن يستخدم كائنات

---

\* قال باسيليوس Basil اسقف انقره في وقت لاحق " لديهم ( اي الاروسيين) إذا إله، وإله صغير".

وسيطرة في كل تعاملاته مع الخليقة علي الطريقة الغنوسية ، وحسب فكر الغنوسيين.

## لاهوت المسيح وناسوته معاً في الثالث

ويمكن توضيح الفكر اللاهوتي الايجابي لاثناسيوس كما يلي :

- ١ - ان سرمدية الابن المستقلة ، المتميزة والشخصية الذاتية مبدأ ثابت . فكما ان مجري الماء المنبثق من النبع ليس منفصلاً عنه ، مع ان هناك صورتين واسمين، فهكذا ليس الاب هو الابن ، ولا الابن هو الاب ، ان اللوغوس Logos صادر عن او متولد من طبيعة الاب . وهو من نفس طبيعته ، ومن نفس طبيعة ونفس جوهره واللوغوس الكلمة مولود لكن بمعنى اكثر اصالة جدا من ولادة الكائنات البشرية . لانه حالما يولد ولد ، فهو مختلف عن الأم والاب. وليس الامر كذلك بالنسبة للابن الوحيد لله الآب ، فاللوغوس الابن يبقى ابدياً من نفس جوهر الآب . هكذا " فان ابن الله هو نفسه لوغوس Logos الكلمة والحكمة ، وهو نفسه المشورة والقصد الحي ، وفيه ارادة الاب ، وهو نفسه حق الله الآب ونوره وقوته". ومع ذلك فهما اقنومان متميزان ، " فالآب ليس هو الابن ، والابن ليس هو الآب ، لكن طبيعتهما واحدة " .
- لقد عبرت العبارات السابقة تعبيراً حقيقياً عن كل فكر الكنيسة وتعليمها منذ أيام الرسل فيما يختص بعلاقة الآب والابن . وكان لاثناسيوس موهبة وضع هذه في صيغة بسيطة ثم إظهار كيف ارتبطت هذه الصيغة بتعليم الفداء .

## الخلاص كامل

- ٢ - يعتمد خلاص البشرية علي الناسوت التام واللاهوت الكامل للمسيح فقط ان كان المسيح هو الله ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة ، لدخل الله الي الناسوت عندئذ



فقط ينال البشر بالتأكيد حق الله والشركة مع الله ، وغفران الخطايا والخلود .  
الكلمة اللوغوس Logos صار جسدا وكان إلها حقا وانسانا حقا ، ومن ثم فإن  
غاية الطبيعة الإلهية وأعمالها قد تمت من خلال الله الإنسان يسوع المسيح وبه  
وحده . بهذا يتثبت أساس راسخ لخلاص الناس . وبما أن المسيح هو الله الحق  
فقد أمكنه تأليه الجسد الذي اتخذته لنفسه . وبما أن جسده كان حقا جسدا  
انسانيا ، فلقد تألهت الطبيعة الإنسانية . وهكذا صرنا وارثين للحياة  
الأبدية. وكان أثناسيوس حريصا علي تحاشي الوقوع في مبدأ الكمالين - أي  
أن البشر صاروا فعلا آلهة علي الأرض . لكنه يؤكد علي أن المسيح يسكن فينا  
وبقوة روحه يمنحنا حياة أبدية جديدة . وبموت المسيح كذبيحة كفارية عنا أعلن  
لنا عن إتحاده النهائي التام مع جنس البشر . وبما أننا أصبحنا جسدا واحدا مع  
المسيح صار موته موتا لنا ، وانتصاره انتصارا لنا .\*

## الروح القدس

٣ - لم يكن دور الروح القدس يشكل قضية للمناقشة في نيقية ، لكن أثناسيوس  
استخدم في وقت لاحق نفس الحجج في هذا الصدد ( قضية الروح القدس )  
فكل ما هو حق عن الإبن ويصدق عليه ، يجب أن يكون حقا عن الروح القدس  
ويصدق عليه . فالروح القدس من نفس طبيعة الإبن . وكما هو الحال مع  
الإبن، فإن الروح القدس يقدرنا ويمكننا من المشاركة في الطبيعة الإلهية .

---

\* هارنك Harnack يقدم هذه التحية لأثناسيوس : الصفة المميزة لأثناسيوس ، التي جعلت تعليمه  
قياسيا للمستقبل ، تكمن تماما في حقيقة أنه حافظ بدقة علي وحدانية الله ولكنه بدون تذبذب  
تمسك بالوهية المسيح علاوة علي تمسكه بالمسيح كما هو تاريخيا.

## هوموأوسيون Homoousion ( من ذات الجوهر )

يجب أن نذكر هنا الإصطلاحات اللاهوتية التي استخدمت أثناء هذه الفترة . ومن النقد الموجه لإستخدام كلمة هوموأوسيون (أي من نفس الجوهر) إنها تعبيراً غير كتابي\* (أي لم يرد في الكتاب المقدس) أيضاً كان يمكن تفسيرها بسهولة حسب مفهوم سابيلْيوس ، كما كان من الممكن أن يحورها بولس الساموسطي Samosata يحولها لتأخذ معنى نصف آريوسي. وقد استخدمها الغنوسيون بالفعل لخدمة أغراضهم الخاصة والغريبة.

## هومويوسيون - أنامويوسيون Homoiousion - Anamoiousion

كان طبيعياً جداً أن تظهر تعبيرات أخرى من نفس الأصل ، فيما كان اللاهوتيون يناضلون لتوضيح أفكارهم وآرائهم . فأنصاف الأريوسيين استخدموا كلمة هومويوسيون Homoiousion ومعناها أن المسيح من جوهر شبيه بجوهر الآب. أما المتطرفون من الأريوسيين فإستخدموا كلمة " أنامويوسيون Anamoiousion ومعناها أن الإبن لم يكن من نفس جوهر الآب . لكن الكلمة هوموأوسْيوس هي التي ظلت باقية في قانون الإيمان . ( المادة العلمية في القسم السابق مأخوذة في معظمها من كتاب

The Textbook of the History of doctrines by Reinhold Seeberg , Baker, Grand Rapids , 1961 , vol , 1 pp . 206 - 215

---

\* ذكر كاتب كاثوليكي أن إدخال المصطلحات غير الكتابية إلي قوانين الإيمان فتح الطريق أمام الكنيسة نحو مبادئ أخرى ليست بالضرورة مبنية علي نصوص الكتاب المقدس مثل الحبل بلادنس عصمة البابا من الخطأ صعود العذراء .. الخ

( Daniel , Marrou , The Christian Centuries , vol . 1. P. 252 )

ج - من موت قسطنطين (٣٣٧م) إلى إعتلاء يوليانوس  
للعرش (٣٦١م) واستمرار الصراع مع الأريوسية

### أبناء قسطنطين

خطط قسطنطين الكبير لاستمرار الحكم في أبنائه الثلاثة وأحد أبناء اخته. إلا أن الجيش رفض قبول أي شخص خلاف الأبناء الثلاثة وهم قسطنطين الثاني، وقسطانز Constans وقسطنطيوس الثاني Constantius II . وقد قتل كل الأقرباء الذكور (ما عدا ولدين صغيرين هما جالوس Gallus ويوليوس Julius وهما من أبناء اخوة قسطنطين غير الأشقاء. وقسمت الإمبراطورية بين الإخوة الثلاثة . فأخذ قسطنطيوس الثاني الشرق بما فيه مصر أما قسطنطين الثاني فأخذ الأقاليم الغربية بينما أخذ قسطانز المنطقة الوسطى لإيطاليا وشمال أفريقيا .

### سياسة قسطنطيوس ضد الوثنية

من بين الحكام الثلاثة أصبح قسطنطيوس الشخصية المسيطرة في الكنيسة والإمبراطورية . فقد كان أقدر الإخوة الثلاثة لكن لم يكن لديه إلا القليل من شخصية وأخلاق وحكمة أبيه . كتب أحد الكتاب يقول "إن قسطنطيوس تجاهل أفضل ما في سياسة أبيه وقدم أسوأ ما فيها ( Cochrane , Christianity and Classical Culture )

p.254

### فيرميكوس يشجع الحملة ضد الأوثان

يرجع الفضل إلى قسطنطيوس في عمل الكثير للحد من تأثير عبادة الأوثان. إلا أنه كان من العسير جدا استئصال الوثنية . وبالرغم من أنها صارت ضعيفة ، فقد ظلت

محتفظة بشعبيتها بين الناس . وكانت الكنيسة بجانب الإمبراطور - علي وعي تام بهذا الخطر. وقد كتب فرنيكوس وهو أحد أعظم الكتاب المسيحيين الرومان الموهوبين نبذة عن زيف " العبادات الوثنية " The Falsehood of the Prefane Religions يحرض فيه الأباطرة علي التصرف مع الأوثان " لأنه يجب أن نضع نهاية لها ، أيها الأباطرة القديسون يجب أن تقطعوا عليهم الطريق بالتشريع الصارم . فمن أجل هذه القضية منحكم الله الإمبراطورية ، وإقتادكم من نجاح إلي نجاح . إنزعوا إنزعوا بدون خوف الأوثان زينة المعبد . إرسلوا هذه الآلهة إلي مكان سك النقود ، واتخذوا لكم كل ممتلكاتها بوضع اليد " ( إقتباس دنشيزن Quoted by Duchesne, The Early History of the Church, Vol II, p. 253)

### قوانين ضد الوثنية

أصدر قسطنطيوس أول قانون هام ضد الأوثان يقول " يجب إبادة كل الخرافات والخزعبلات تماما " . وأمر أن تكون كل المعابد خارج أسوار المدينة وألا تستخدم إلا للألعاب والملاهي . وبحلول عام ٣٥٠ م أغلقت المعابد " حتي يحرم المستهترون من فرصة ارتكاب الخطية ، وكان من يقبض عليه وهو يقدم قرابين وذبائح للمعبد تتم إدانته بعقوبة الموت ومصادرة ممتلكاته . لقد اضطهد قسطنطيوس الوثنيين واليهود معاً بنفس القسوة تقريبا التي اضطهد بها المسيحيون في وقت سابق .

### قسطنطيوس يرعي رجال الدين المسيحيين

وفي نفس الوقت دُل قسطنطيوس رجال الدين المسيحيين وزاد من المزايا الممنوعة الممنوحة لهم من قسطنطين الأول . فقد أعفاهم من كل أنواع الضرائب والواجبات المدنية. كما سمح لهم أن يمارسوا التجارة . والأساقفة المتهمون في جرائم وجب أن يحاكموا فقط أمام أساقفة آخرين ، وليس في المحاكم المدنية . وأصبحت الكنيسة الآن - طبقا للملاحظة الوثنيين - أكثر خضوعا للإمبراطور وواقعة تحت إشرافه بسبب هذه الرعاية .

## قسطنطيوس يريد الوحدة في الكنيسة

أما من الناحية الدينية فكان قسطنطين يميل إلى الأريوسية وكان تحت تأثير يوسابيوس أسقف نيكوميديّة وقادة أريوسيين آخرين من الكنيسة الشرقية . لكن وحدة الكنيسة كانت تعني وحدة الإمبراطورية ، ولذلك - ومن أجل السلام والوحدة - حاول مثل أبيه أن يصل إلى أساس مشترك بين الطرفين . فعقد ما لا يقل عن ١٧ مجلساً منفصلاً خلال حكمه مستخدماً وسائل أكثر خشونة ليرغم الأطراف المتنازعة على الإتفاق وفي ذلك كتب جون نيومان ( كاردينال John N . Newman يقول عن الحاكم : " إن قسطنطيوس إذ كان متزناً في هذا المركز الغامض بين الصواب والخطأ ، نفي من كل فريق في النزاع بالتبادل ، ولم يستبق حتى اتباعه ( شبه الأريوسيين ) وكان بدوره يرجع بغرض الإنصاف إلى كل عقيدة وقانون ، ماعداً تلك التي تضم داخلها الحق يقينا ( أي قوانين نيقية ) " ( Newman , The Arians in the Fourth Century P. 297 )

## أثناسيوس يهرب إلى روما

تم السماح لأثناسيوس ومرسيللوس بالعودة ، كل منهما إلى كرسيهما إلى أبروشيتة في عام ٣٣٧ م . فعاد أثناسيوس إلى كنيسة القديس مرقس بالأسكندرية ومرسيللوس إلى أنقره ، لكن ليس لمدة طويلة . ذلك أن الأعداء الأريوسيين ذكروا الإمبراطور بأنهما أدينا من مجمع صور / أورشليم ( ٣٣٤ ، ٣٣٥ م ) فتم تعيين أسقف يدعي جريجوري غريغوريوس Gregory من آسيا الصغرى علي كرسي الإسكندرية ، ورغم عدم شعبيته بين الجمهور ، فقد أمكنه البقاء بسبب إعتماده علي جيش الإمبراطور وحمايته له . أما أثناسيوس فهرب إلى روما حيث التأييد لنيقية . وهناك رحب به كل من البابا يوليوس والإمبراطور قسطنز .



## حملات أثناسيوس دفاعا عن قرارات نيقية

كان علي أثناسيوس وكل مؤيدي مجمع نيقية أ يواجهوا الآن فترة من الشك كان الكثير منه نتيجة لسياسة قسطنطيوس . إن إنسا أ أقل من أثناسيوس ربما لم يكن في استطاعته الثبات . فبالرغم من كل الإهانات الشخصية ، فإنه استمر في حملته ضد الأريوسيين وفي الدفاع عن فكر مجمع نيقية . واستند إلي سلطن مجمع نيقية . كما استطاع أن يحشد دعم وتأيد أساقفة الغرب له مثل جوليان Hossius وهوسيوس أسقف قرطبة في أسبانيا Spain وهيلاري Hilary أسقف بورتيه Portiers في فرنسا . واستخدم الدعاية العامة الشعبية موجهها رسائل بتوقيعه كأسقف الإسكندرية . كما أرسل خطابات إلي الإمبراطور حمل بعضها دفاعا عن رأيه وبعضها الآخر استفسارا عن لياقة تدخل الإمبراطور في شئون الكنيسة . وكتب إلي قسطنطيوس قائلا : " متي كان حكم الكنيسة وقرارها يستمد صلاحيته من الإمبراطور؟ " ونلاحظ أيضا أن المكاتبات العامة التي كتبها أثناسيوس ويوسابيوس ، كل منهما ضد الآخر ، لم تكن تهتم بالفكر اللاهوتي بقدر ما كانت تبحث أي الأسقفين - أسقف الإسكندرية أم أسقف القسطنطينية - أحق وأولي بأن يصبح بابا الكنيسة الشرقية .

## يوليوس يساند أثناسيوس

أثبت يوليوس بابا " روما Rome أنه مؤيد قوي فعال لأثناسيوس وللفكر النيقوي . فبعد مجمع روما سنة ٣٤٤ م كتب يوليوس خطابا للمساءلة في حكم مجمع صور/ أورشليم معلنا براءة أثناسيوس ومرسيللوس ، وبطريقة ذات مغزي خطير تمسك بأن لروما الحق في أن تتصرف كمحكمة استئناف للأحكام الصادرة في أي كنيسة أخرى. وقد تضمن مثل هذا البيان بوضوح تام أن روما طالبت بأن تكون لها الرئاسة الأسقفية علي كل الأبرشيات الأخرى .

## يوسابيوس يهاجم أثناسيوس في أنطاكية

وفي عام ٣٤١ م دعا يوسابيوس أسقف نيكوميدية إلى عقد مجمع في أنطاكية بمناسبة تدشين كنيسة قسطنطين الذهبية في تلك المدينة . وحضره الإمبراطور قسطنطيوس وقد قبل هذا المجمع القرار المعروف بالقرار الأنطاكي الثاني . وأنكر الأساقفة أنهم أريوسيون وادعوا أنهم كانوا أوفياء لصيغة قانون نيقية . وهذه كلماتهم " كيف يمكن أن نكون - نحن الأساقفة - أتباعا لمجرد قس وهو ( أريوس ) وأيدت وثيقة المجمع قرار مجمع صور/ أورشليم ، وبذلك بقي أثناسيوس مدانا كما تم تخطيط معظم العبارات لتثبت أن مرسيللوس مذبذب باعتناقه مذهب سابيلوس \* . وبالإضافة إلى ذلك فلقد شككوا في أحقية روما أن تعمل كمحكمة استئناف للأحكام الصادرة من مجمع شرقي .

## الفروق بين الشرق والغرب

لعلنا نلاحظ الآن ظهور الفروق الأساسية بين الغرب اللاتيني والشرق اليوناني فقد استنكر الشرق إ دعاء روما بأن لها الرئاسة في السلطة القضائية . أما الغرب فارتاب في الشرق لإستخدامه لغة غامضة يمكن أن تحتل معان مختلفة ، خصوصا عند ترجمتها إلى اللاتينية . ومن الناحية الأخرى شك القادة الشرقيون بأن روما لم تقدّر تماما أخطار العقيدة السابليانية . ولم يستطع القادة الغربيون أبدا التصديق بأن الشرقيين ليسوا أريوسيين ، طالما أنهم تحت قيادة يوسابيوس ، وهكذا تطور الأمر إلى انقسام بسبب الاختلافات والفروق في المفهوم اللاهوتي وبسبب اللغة ، وكانت القضية أيضا هي قضية السلطة النهائية في الكنيسة .

---

\* في الواقع كان مرسيللوس قد أصبح سببا لإخراج مؤيدي نيقية ، وكان الفكر اللاهوتي لديه أقرب لفكر سابيلوس منه لفكر أثناسيوس.

## قسطانز الحاكم الأوحـد في الغرب

نحو هذا الوقت تغيرت الأحوال في الإمبراطورية . فقد قتل قسطنطين الثاني

في معركة ضد قسطانز ، تاركاً أخاه يسيطر وحده على المنطقة الغربية كلها. ومات يوسابيوس الذي كان أسقفاً على القسطنطينية تاركاً وراءه فراغاً في قيادة الكنيسة الشرقية. فلما مال ميزان القوة الآن لصالح الغرب ، استطاع قسطانز أن يقنع قسطنطيوس للدعوة إلى عقد مجمع يضم الشرق والغرب معا .

### مجمع سارديكا

إنعقد مجمع سارديكا في ٣٤٢ - ٣٤٣ م (مكانها حالياً صوفيا في بلغاريا) لكنه لم يسفر إلا عن المزيد من الإنقسام بين الشرق والغرب . فلما رأى قادة الشرق الدينيين أن أثناسيوس ومرسيللوس المعتبرين من الهرطقة ، حاضران في المجمع احتجوا وانسحبوا أخيراً إلى فيليبوبوليس Philippopolis أما الغربيون فأصدروا قوانين وقرارات مدعين بحق سلطان روما علي كراسي الأسقفيات الأخرى. كما أصدرُوا بياناً لاهوتياً لتبرير حضور مارسيللوس المشكوك في أنه سابلاني . ويقال إن أثناسيوس في وقت لاحق تأسف وحزن علي نشر هذا البيان وقد كرر قادة الكنيسة الشرقية من جهتهم أنهم لم يميلوا إلى الأريوسية ، وأصدروا مرة ثانية الحرم علي أثناسيوس ومرسيللوس. كما حرموا يوليوس أسقف روما. وردا علي ذلك قام الغرب بإصدار الحرم علي باسيليوس أسقف أنقرة ، وغريغوريوس أسقف الإسكندرية ، وهكذا اتسعت هوة الخلاف بين الشرق والغرب. ويقول سقراط مؤرخ الكنيسة عن ذلك في كتابه تاريخ الكنيسة ( Ecclesiastical History II , 22 ) " لذلك انفصلت الكنيسة الغربية ، من ذلك الحين ، عن الكنيسة الشرقية ، وكانت الحدود المشتركة بينهما هي جبل سوكيس Saucis الذي يفصل التراقيين Thracians عن الإيليريين Ilyrians وحسب قول ليتزمان Leitzmann قد سار خط مستقيم من سارديكا حتي الانفصال النهائي في عام ١٠٥٤ م

## الإمبراطوران يفرضان حلا وسطا

عقب مجمع سارديكا ضغط الإمبراطوران بشدة علي كلا الجانبين للوصول إلي حل وسط . فقبل الغرب بإسقاط مسألة مرسيللوس ، وسمح لأثناسيوس بالعودة إلي الإسكندرية . وكانت هناك أيضا بعثة سلام أرسلت من الكنيسة الشرقية إلي إيطاليا معلنة إخلاصها للقانون النيقوي . ولسبب ما عدل قسطنطيوس رأيه تجاه أثناسيوس ودعاه إلي البلاط الإمبراطوري . وبعد عدة مرات من التأجيل والتأخير توجه أثناسيوس أخيرا إلي أنطاكية في عام ٣٤٦ م ، ورحب به الإمبراطور بحرارة ، وسلمه وثيقة تضمن له العودة إلي الإسكندرية . وفي تلك الأثناء مات غريغوريوس أسقف الإسكندرية فاستقبل أهل الإسكندرية أثناسيوس استقبالا حماسيا ، حيث قدر له أن يمكث هناك في سلام نسبي لمدة عشر سنوات قبل أن تجبره الأزمة التالية علي قبول النفي .

## مشاكل جديدة مع الدوناتيين The Donatists

بدأ الدوناتيون من شمال أفريقيا ( أنظر المجلد الثاني ) \* في إقامة صعوبات جديدة خلال هذه الفترة . فقد طلب دوناتوس Donatus نفسه من الإمبراطور قسطنز الاعتراف به أسقفا لقرطاجنة . فأرسل قسطنز بعثة لبحث الموقف . لكن الدوناتيين اتهموا أعضاء البعثة بمحاولة أخذ رشوة . وبدأ الدوناتيون المتطرفون من نوميديا يثورون ، فكان علي الجيش الإمبراطوري أن يخمد الثورة . وحكم بالإعدام علي بعض

---

\* جدير بالذكر أن الدوناتيين هم الانفصاليون المنشقون Schismatics الذين رفضوا قبول رسامة الأساقفة الذين سبق أن استسلموا أثناء الإضطهاد .

قادة الدوناتيين ، وعين حاكم شمال أفريقيا " جراتوس Gratus أسقفا . وهو منافس لدوناتوس وذهب دوناتوس إلي المنفي في الغال ، حيث مات في عام ٣٥٥ م . ومع أنه بذلك تمت السيطرة علي الدوناتيين لبعض الوقت ، فقد ظلت تحظى بتأييد شعبي كبير في شمال أفريقيا ، لكي تنهض مرة أخرى في المستقبل كتهديد سياسي للكنيسة والإمبراطورية .

### **الإطاحة بقسطانز، وقسطنطيوس يصبح الإمبراطور الأوحـد**

في عام ٣٥٠ م أقبلت الإمبراطورية علي فترة من المتاعب. فقد تمت الإطاحة بقسطانز ، وقتله أحد قواد الجيش واسمه " ماجننتيوس Magnentius الذي سيطر حينئذ علي الإقليم الغربي لمدة ثلاث سنوات. وكان قسطنطيوس منشغلا آنذاك في محاربة الفرس في الشرق ، لكنه تنبه أخيرا إلي ماجننتيوس فهزمه أولا عند مورسا Mursa، ثم في السنتين التاليتين طرده الي الخلف عبر أوروبا. ولما أدرك ماجننتيوس أنه خسر المعركة ، إنتحر تاركا قسطنطيوس الآن حاكما منفردا علي كل الإمبراطورية. وكان فالينز Valens أسقف مورسا، الشبه أريوسي، أكبر معين في التشجيع والمشورة للإمبراطور أثناء هذه الأزمة. بهذه الطريقة نال الخطوة في البلاط ونجح في التأثير علي قسطنطيوس ضد أثناسيوس .

### **قسطنطيوس يجبر الكنيسة علي عزل أثناسيوس**

دعا قسطنطيوس بتحريض من فالنز إلي عقد مجمعين أحدهما في أرلز Arles في الغال في سنة ٣٥٣ م ، والآخر في ميلان بإيطاليا في سنة ٣٥٥ م في محاولة لإقناع القادة الغربيين بعزل أثناسيوس . فجاءوا يكيلون الإتهامات لأثناسيوس بأنه تباطأ بدون سبب مقبول في الإستجابة لدعوة الإمبراطور سنة ٣٤٦ م . والأسوأ من كل هذا إتهامه بمساندة ماجننتيوس ضد الإمبراطور . أما في الأمور اللاهوتية ، فكان القادة



الغريون أقل إماما بالموضوعات الجوهرية . وقال "هيلاري Hilary أسقف بواتيه Poitiers أنه لم يسمع أبدا عن " هومو أوسيون Homousion من قبل . كما جاء نقلا عن أحد ضباط الجيش قيل أنه إعتقد أن " هومو أوسيون " هو اسم أحد الأساقفة. وقد استخدم قسطنطيوس كل سلطة لفرض القرار ضد أثناسيوس وأصر علي الإجتماع بالأساقفة في الكواليس خفية في مجموعات صغيرة داخل القصر . كل من رفض التوقيع علي قرار الإدانة تم نفيه ، مثل هيلاري أسقف بواتيه ، وهوسيوس أسقف قرطبة Cordova وليبريوس Liberius أسقف روما ( الذي خلف يوليوس ) وآخرين كثيرين .

### سلطة قسطنطيوس علي الكنيسة

كنموذج من مفهوم قسطنطيوس لسلطته في الكنيسة نقتبس الفقرة التالية من كلمات الإمبراطور نفسه : " كمستودع إلهي للقوة الملوكية ، فإن سلطتي في الكنيسة هي السلطة الأعلى ، كما هي أيضا في الدولة " إرادتي ؟ يجب إعتبارها ملزمة " وأنا الذي أتهم أثناسيوس .. لتقم إرادتي مقام القانون كما هي مع الأساقفة السوريين " .

### الهجوم علي أثناسيوس في الإسكندرية

أثناء وجود أثناسيوس في الإسكندرية ، متمتعا بمساندة شعبية عظيمة، استمر في أداء واجباته كأسقف علي الرغم من قرار المجمع . أكثر من ذلك ، كان في حوزته خطابات تأييد رسمية تدعم موقفه سبق أن كتبها له قسطنطيوس . ولكن جاء مندوب امبراطوري إلي الإسكندرية ليثير المتاعب ضد أثناسيوس ، لكنه اكتشف أن الشعب لم يستجب لجهوده . كما فشلت محاولات أخرى لإقناع أثناسيوس بترك منصبه والرحيل. وفي محاولة أخيرة يائسة لطرده ، اقتحمت الجيوش الرومانية كنيسة " ثيونا س حيث كان أثناسيوس يصلي . فقتلت الكثيرين من أفراد الشعب وجرحت العديدين ، لكن

أثناسيوس إنسل بعيدا ، لم يصبه أذى ، وذهب يختبئ في أديرة الصحراء . فاحتج شعب الإسكندرية علي انتهاك حرمة الكنيسة أمام قائد الجيش الروماني لكن بلا فائدة. فقد أعد بالفعل ترجمة للقصة لإرسالها للإمبراطور يقول فيها : أن أثناسيوس قد حكم علي نفسه بمغادرة الإسكندرية بمحض إرادته .

### قسطنطيوس يعين جورج في مكان أثناسيوس

عندئذ أرسل الإمبراطور مندوبا إلي مصر ومعه أوراق تعلن أن أثناسيوس عدو للشعب، فيجب البحث عنه والعثور عليه بأي ثمن . أكثر من ذلك تم عزل كل رجال الإكليروس الذين عينهم أثناسيوس ، من كنائسهم وحل مكانهم أريوسيون . بل أن أثناسيوس نفسه حل مكانه " جورج " الكبادوكي أسقفا علي الإسكندرية Cappadocia كان معروفا عنه أنه إنسان قاس عديم الرحمة ، ومن محبي المال . فأدخل حكم الإرهاب ضد أي من كانت لهم علاقة بأثناسيوس . والذين رفضوا التحول ضده ، عذبوا أو قتلوا أو أبعدها إلي المنفي . لكن أخيرا قام الإسكندريون ضد جورج وأقصوه بعيدا. لكن الحاكم استمر ينفذ أساليبه القمعية ضد أصدقاء أثناسيوس .

### أصدقاء أثناسيوس يحمونه

استمرت مطاردة أثناسيوس لكن دون نجاح . فقد كان له أصدقاء كثيرون جدا خاصة من الرهبان علي استعداد لإيوائه بعيدا عن العيون . وهناك قصة تحكي أنه كان مسافرا بالليل في قارب علي النيل، حيث اقترب منه قارب من قوارب الحكومة ونادوا عليه يسألونه " هل رأيت أثناسيوس ؟ " فأجاب قائلا " أظن ذلك " فسألوه " هل هو بعيد عن هنا ؟ " وكان الجواب ، " لا إنه قريب منكم جدا ، أمامكم . جئوا بقوة". وهكذا أسرع القارب الحكومي بعيدا عنه في الليل ، واستدار أثناسيوس بقاربه راجعا في أمان إلي بيته .

## أثناسيوس يكتب وهو في المنفى

خلال الأعوام الستة التي قضاها أثناسيوس في المنفى ، انتهز الفرصة ليكتب الكثير . فكتب دفاعا مطولا للإمبراطور ، مدافعا عن فكره ومبرهنا علي أحقيته بكرسي أسقفية الإسكندرية . ومن المحتمل في الغالب أنه كتب أيضا أبحاثه الأربعة ضد الأريوسيين، كما كتب مؤلفه الشهير نجم الصحراء - حياة القديس أنطونيوس \*  
Star of the Desert The Life of St. Anthony

## خدمة أثناسيوس الرعوية

يحظي أثناسيوس حتي اليوم بالتبجيل من الكنيسة القبطية من أجل خدمته الرعوية للمسيحيين في مصر . ففي ثلاث مناسبات أثناء توليه البطريركية قام برحلات وصلت جنوبا الي أسوان ، متوقفا في الكنائس والأديرة علي طول الطريق. وكانت هذه الزيارات فرصا لإحتفالات شعبية عظيمة . إن دوره كراع للمقطيع كان مصدر التشجيع والوحدة داخل الكنيسة والأمة ( أنظر كتاب إيريس حبيب المصري ) قصة الكنيسة القبطية . ( The Story of the Copts , Paragraphs No. 144. 153 and No 183 )

\* ألف أثناسيوس كتبا ونبذا عديدة . من بين أهم مؤلفاته اللاهوتية الكتب الآتية :

- |                                |                          |
|--------------------------------|--------------------------|
| 1 - On the Incarnation         | " عن التجسد "            |
| 2 - On the Decrees ,           | " عن القوانين "          |
| 3 - Against the Pagans         | " ضد الوثنيين "          |
| 4 - On the Synods              | " حول المجامع "          |
| 5 - The Exposition of Faith    | " شرح الإيمان "          |
| 6 - Apology against the Arians | " الدفاع ضد الأريوسيين " |
| 7 - To the Egyptian Bishops    | " إلي أساقفة مصر "       |

## أنصار اللامشابهة في الجوهر " الأنوموياسون " جماعة أريوسية متطرفة

خلال هذه الفترة اتخذت الحركة الأريوسية حياة جديدة . بقيادة "يودوكسيوس Eudoxios أسقف أنطاكية ، يعاونه لاهوتيان زكيان قديران "أكتيوس Actios و "يونوميوس Eunomios" وحجتهم أن الإبن ليس من جوهر الآب ، وانه مخلوق من مرتبة المخلوقات وقد أطلق عليهم إسم "أنومويانز " بسبب التعبير الذي إستخدموه " أنومويوس Anomoios أي " غير المشابه في الجوهر " وبينما كسبت هذه الحجة الأريوسية المتطرفة أتباعا كثيرين لنفسها فإنها أيضا قسمت الحركة الأريوسية . فإن أشباه الأريوسيين الأكثر اعتدالا بقيادة باسيليوس أسقف أنقرة ، أرادوا الإحتفاظ بكلمة " هومويوسيوس Homoiousios " ( من جوهر مشابه ) علي أنها التفسير الصحيح لقانون نيقية .

### مجمع سيرميوم Sirmium

في هذه الأثناء كان الإمبراطور- تحت تأثير فالينز أسقف مورسا- قد دعا إلي عقد مجمع من الأساقفة الغربيين في سيرميوم بيوغسلافيا سنة ٣٥٧ م أسفر هذا المجمع عن قانون أريوسي قلل من مقام الإبن إلي مركز إله مساعد ثانوي . وقد دعا هيلاري أسقف بواتيه هذا القانون " تجديف سيرميوم " . وإستطاع باسيليوس أسقف أنقرة بمساعدة ليبريوس Liberius أسقف روما ، أن يقنع قسطنطيوس بإعادة النظر في قرار سيرميوم . وقد دعا الإمبراطور في عام ٣٥٩ م إلي عقد مجمعين ، أحدهما في أريمينيوم Ariminum ( حاليا ريميني بإيطاليا ) والآخر في سلوقيا Seleucia بآسيا الصغرى . وقد حضر نحو أربعمئة أسقف من الغرب ، وأكثر من مائة أسقف من الشرق .

## مجمع أريمينوم ومجمع سلوقيا وال "هومويوس" Homoios

كان باسيليوس يأمل في استرداد صيغة ال هومويوسيوس Homoiosios إلا أن "فالينز" كان له أتباع كثيرون في الغرب ، وكان يودوكسيوس وجورج من أقوياء الشرق. وكان كل ما يريده الإمبراطور هو صيغة ترضي أكبر عدد ممكن وتؤدي إلى إحلال السلام في الكنيسة . وقد تحدد أن موضوع " الجوهر" Ousios " هو أكبر مشكلة . لذلك حذفت كل التعبيرات التي أستخدمت فيها تعبير أوسيوس Ousios مثل Homoousios Homoiousios Anomoios واستقر رأيهم علي كلمة هومويوس Homoios التي تعني أن الإبن مشابه للآب - لكن ليس في الجوهر ولا في كل الأشياء . ورفضوا أن يقولوا كيف يكون الإبن مشابها للآب . معتقدين أن ذلك فوق قوة العقل البشري . ومع أن هذه الصيغة أبعدت جماعة " ال "أنوميانز" الأريوسيين المتطرفين ، فلقد ملأ الرعب كلا من النيقوميين مستقيمي الرأي وأنصاف الأريوسيين المحافظين . فقد رأوا بحق أن كلمة " هومويوس Homoious تركت الباب مفتوحا لكل أشكال التفسيرات الأريوسية لكن قسطنطيوس ، إعتقادا منه بأنه يستحيل علي الكنيسة أن تتحد حول قانون الإيمان النيقوي ، أراد صيغة واسعة ومبسطة ، يمكن أن تتفق عليها الغالبية العظمي . فإستخدم كل أنواع القسر ليرغم الأساقفة علي الموافقة. والذين رفضوا مثل باسيليوس أبعادوا إلي المنفي \* .

### قبول تعبير " هومويوس " من الأريوسيين

صارت الصيغة " هومويوس " Homoios تعبيراً كلاسيكياً لدي الأريوسية ، واكتسبت قبولا واسعا وسط الشعب القوطي وقبائل الأوثان الأوربية الأخرى لكنه كان

---

\* يبدو أن قسطنطيوس كان في عجلة من أمره ، فقد كانت سنة ٣٦٠م عيد إنفراده بالحكم . فأراد أن يحتفل بهذه المناسبة في نفس الوقت مع الإحتفال بقبوله القانون الجديد.



يوما مظلما للكنيسة وبتعبير " جيروم " يثن ويتأوه العالم كله مندهشا إذ يجد نفسه أريوسيا . ( Dialogue Against the Luciferians . 19 ) وفيما يلي ملاحظة ديتشزَن Duchesin إن قانون نيقية سنة ٣٢٥ م وقانون أرمينيوم سنة ٣٦٠ م وكلاهما متضادان وكل منهما يسقط الآخر The early History of the church ,Vol .2, P . 245

## التقارب بين النيقويين وأنصاف الأريوسيين

علي أي حال ، كانت هناك نتائج إيجابية من هذه المسألة . فالأريوسيون المتطرفون والمدعوون الأنومويانز أخرجوا من الساحة . أما حزب أثناسيوس النيقوي الأرثوذكسي المستقيم الرأي مع أشباه أنصاف الأريوسيين المحافظين التابعين للأسقف باسيلوس فإضطروا لإعادة النظر في أفكارهم ومواقفهم . وهنا اكتشفوا أنهم لم يكونوا متباعدين عن بعضهما بالدرجة التي كانوا يظنونها . فقد كان باسيلوس يقول دائما أنه نيقوي شرعي حقيقي وبدا علي أثناسيوس الآن أنه بعيد النظر في رأيه بالنسبة لأشباه الأريوسيين .

## استخدام أثناسيوس لصيغة " هوموأوسيو " Homoousio

يبدو أن الأرثوذكس المؤيدين لنيقية لم يستندوا الي صيغة " هوموأوسيو " كما قد يظن . ويقول المؤرخ ليتزمان في كتابه Leitzman The History of the Early Church ( vol.III. P . 197 ) ، أن جماعة المؤيدين لنيقية ، مع أنهم يشيرون دائما في كتاباتهم إلي قانون الإيمان ، الا أنهم كانوا يقتبسون فقط فقرات الحرم الأناثيما التي وردت ضد الأريوسية " لا أحد حتي يوليوس أو أثناسيوس استخدمها كإختبار لصحة العقيدة، ولا أحد إقتبس القانون النيقوي أو طلب من المعارضين أن يوافقوا عليه " . ويذكر ليتزمان أيضا أن أثناسيوس نفسه في كتاباته الأولى لا يشير الي

هوموأوسىوس أو إالى نىقىة . وفى مؤلفاته الرئىسىة ضد الأرىوسىىن ىذكر "الحرم" الأناثىما ضد أرىوس وىشىر مرّة إالى " هوموأوسىون" homoousion" الا أن الإبن ىوصف بأنه مشابه ( هوموىوس Homoios للآب أو مساو له من كل الوجوه ، أو شبىه فى الجوهر أو الطبىعة كل الكلمات الإستدلالية التى صنّفت فى تاریخ لاحق كاصطلاحات خاصة بالهرطقة الأرىوسىة ونصف الأرىوسىة ، ىستخدمها أثناسىوس فى هذه المؤلفات المبكرة ، بطرىقة راضىة ودىة " ( Leitzman P. 222 )صحىح أنه فى الكتابات التى وضعها بعد ذلك فى السنوات ما بىن ٣٥ - ٣٦ م خصوصا ضد الیوسابىىن ، ىبىن الفارق بىن صىغة هوموأوسىوس Homoousios وصىغة " هوموىوسىوس Homoiousios

### صداقّة أثناسىوس وباسىلىوس

بحلول عام ٣٦٠ م وقد بلغ أثناسىوس الرابعة والستىن من عمره ، أدرك أن بىنه وىن باسىلىوس والمحافظىن الآخرىن أشىاء كثيرة مشتركة . ففى كتابه De Synodis 41 كتب ىقول " إن من ىقبلون كل ما كتب فى نىقىة ، ولو أنهم ما زالوا ىستبقون الشك حول عبارة هوموأوسىوس Homoousios ، لا ىنبغى أن ىعاملوا كأعداء . وأنا لا أهاجمهم كأرىوسىىن مجانىن ، ولا كمقاومىن للآباء . إنى أناقش الأمور معهم كأخ مع إخوة ىفكرون كما نفكر وىختلفون فقط على كلمة واحدة . ومن ضمن هؤلاء باسىلىوس أسقف أنقرة الذى كتب عن الإىمان " .

مع أن الأرىوسىة عاشت لمدة أعوام عدىدة ، فإن عقد الستىنات فى القرن الرابع ( ٣٦٠ - ٣٧٠ م ) ىضع علامة إنحسار تأثیرها على قىادة الكنىسة كما كان للتغىىرات السىاسىة أىضا تأثیر عظیم .

## **Recommended English Readings**

- 1 - Chadwick , Henry -**The early Church** , pp . 136 - 145
- 2 - Frend , W. H. C .**The early Church** , pp. 161 - 168 .
- 3 - Jackson , F . J.F .**The History of the Christian Church**, to A.D. 46 ,  
pp . 328 - 350
- 4 - Latourette , K . S.**A History of Christianity** , pp . 158 - 160 .
- 5 - Walker , Illiston -**A History of the Christian Church** , p. III - 114 .
- 6 - Wand , J.W.C.**A History of the Early Church to A.D. 500** Methuen  
London , 1937 , pp. 159 - 166 .

Two texts give more detailed descriptions of this period :

Duchesene , Louis -**Early History of the Christian Church** , vol . II  
pp. 123 - 250 .

Leitzmann , Hans ,**A History of the Early Church** , vol . III , pp .181  
- 260 .

## د - يوليانوس المرتد ( ٣٦١ - ٣٦٣ م ) يوليانوس وانتعاش الوثنية

نأتي الآن إلى فاصل غريب لكل من الكنيسة والإمبراطورية . هذا الفاصل فترة حكم جوليانوس المرتد ، الذي حاول إنعاش الوثنية وإزاحة المسيحية . ومع أنه حكم أقل من سنتين ، كتب عنه وفرة من المؤلفات ، جزء كبير منها كتبه يوليانوس نفسه. ومن خلاله عرفنا لمحة توضيحية للعلاقات بين الكنيسة والدولة في الإمبراطورية الرومانية المتأخرة .

### حياة يوليانوس المبكرة وتربيته

كان يوليانوس وأخوه جالوس Gallus الوحيدين من ذوي القربي اللذين إستبقاهما قسطنطيوس عندما تخلص من كل الذين احتمل تعاقبهم علي وراثة العرش . تربي الأخوان تربية مسيحية تحت إرشاد يوسابيوس أسقف نيكوميديا كما تثقفا أيضا في العلوم الإغريقية التي أثرت علي يوليانوس لدرجة أنه صار شغوبا بالوثنية . وعندما شب، وكان تحت إرشاد معلم يدعي ليبانيوس Libanius تحول إلى إعتناق صورة سرية من ( الأفلاطونية الحديثة ) كان يكن الإحترام بصفة خاصة لإله الشمس هليوس مثلما فعل عمه قسطنطين الأول . علي أنه إستمر بعض الوقت يسلك ظاهريا كمسيحي .

### غريغوريوس يصف يوليانوس

من التعليقات المثيرة عن شخصية يوليانوس ، ما كتب عنه لما كان زميلا في الدراسات الكلاسيكية بأثينا لكل من غريغوريوس النازينزي Nazianzus وباسيليوس القيصري ( وهما إثنان من ثلاثة كبادوكيين Cappadocians سيأتي الكلام عنهم في الفصل التالي ) فقد وصف غريغوريوس يوليانوس في وقت لاحق قائلا : " كان يكتنفه

جو التوحش والتقلب ، له عينان زائغتان ومشيته مضطربة ، ونظرته عصبية ، كما كانت ضحكته بشعة ولا معني لها ، وكانت طريقته في الحديث فظة وغير منتظمة ، الأمر الذي يكشف عن عقل مريض مضطرب مع نفسه". ( Oratio V. 23 )

## قيادة يوليانوس للجيش الغربي

وفي هذا الوقت كان جالوس قد عين حاكماً لسوريه . لكن حكمه كان قاسياً وعنيفاً حتي أن قسطنطيوس عمل علي عزله وإعدامه . أما يوليانوس ، الذي كان دائماً يكره قسطنطيوس ، إزدادت كراهيته له الآن أكثر . وربما نجا هو نفسه من الموت بتدخل الإمبراطورة يوسابيا Eusebia قسطنطيوس ، وفي سنة ٣٥٥ م أثناء حروب قسطنطيوس في الشرق والغرب ، إستدعي يوليانوس وأشركه معه في الحكم كقيصر وزوجه من أخته هيلانه \* ثم أرسله إلي بلاد الغال ( فرنسا ) ليشرف علي قيادة الجيوش الرومانية هناك .

## يوليانوس يصبح الإمبراطور الأوحـد عند موت قسطنطيوس

وعلي غير المنتظر تماماً ، أثبت يوليانوس أنه قائد عسكري ممتاز. ففي خمس سنوات من الحرب أخضع نهائياً القبائل الجرمانية التي كانت تهدد الإمبراطورية من الشمال . حينئذ أمر قسطنطيوس أن ينقل نصف قوات يوليانوس إلي الشرق لمعاونته في محاربة الفرس . إلا أن جنود الجيش قردوا وتجمعوا حول يوليانوس وأعلنوه امبراطوراً عليهم . ولسنا نعرف كم كان تشجيع يوليانوس لهذه الثورة . إنه بالتأكيد لم يتردد في قبول لقب " أغسطس " الذي كان يمنح فقط للإمبراطور الحاكم . فإستشاط

---

\* كانت هذه عادة تتبع كثيراً وسط الأسرات الملكية للحفاظ علي المركز ، والقوة ، والثروة داخل الأسرة.



قسطنطيوس غضبا عند سماع الخبر . وأصبح التهديد بحرب أهلية وشيكا عندما تحرك يوليانوس شرقا وقسطنطيوس غربا . الا أن قسطنطيوس مات في نوفمبر سنة ٣٦١ م في آسيا الصغرى قبل أن يلتقيا ، لكن ليس قبل أن يعين يوليانوس خلفا له . الآن وصار يوليانوس بالفعل الإمبراطور ، مع أنه إدعى عدم رغبته في أن يكون الإمبراطور أو أن يحل محل قسطنطيوس . وكتب يقول : " لماذا جئت أنا إذن ؟ لأن الآلهة أمرتني صراحة ووعدتني بالخلاص إذا أنا أطعت ، وإنها لن تفعل أي شيء لو أنني بقيت . لقد كان في فكري أن أخيفه فقط ( قسطنطيوس ) وأن الأمور حينئذ ستتجه إلي المفاوضات المقبولة . لكن لو استلزم حسم الأمر القتال فإنني وقد وضعت كل شيء في يد القدر والآلهة ، عقدت العزم علي البقاء .

### يوليانوس يكشف عن معتقداته الوثنية

مع أن يوليانوس حضر جنازة قسطنطيوس ودفنه في كنيسة الرسل بالقسطنطينية، إلا أنه علي الفور كشف عن ولائه القديم للأوثان . وقد كان يعيش بالفعل حسب فلسفة الرواقين الصارمة - فكان يطلق شعر رأسه ولحيته ولا يقلم أظافره كما كان ينাম علي الأرض ، ورفض أكل الأطعمة الدسمة وإحتساء الخمر وإمتنع عن العلاقات الجنسية إلا خلال فترة زواجه القصير . ماتت زوجته سنة ٣٦٠ م . وكتب يقول : " لقد عبدنا الآلهة جهارا ، كما قدم معظم رجال الجيش الذين يرافقونني الإكرام لها... لقد أمرتني الآلهة أن أظهر كل شيء بقدر الإمكان ."

### إصلاحات يوليانوس في الحكومة

تمشيا مع اعتقاده بأن الإمبراطورية في حاجة إلي التطهير تحول أولا إلي البلاط الملكي . ففي أثناء حكم قسطنطيوس صار البلاط مكانا للترف والفساد . وكان هناك

فيض من كل شيء من الملابس والطعام والمال والناس خصوصا من يقومون بالخدمة في القصر الإمبراطوري . " كان هناك ألف من الطباخين ومثلهم من الحلاقين وربما أكثر من ذلك من الخدم وكان هناك حشود من السعاة والخصيان أكثر من الذباب حول البهائم في وقت الربيع ، وجمع غفير من " تنابلة السلطان " من كل نوع " ولقد خفّض يوليانوس من هذه البطانة تخفيضا كبيرا - من الخدم والجواسيس والسكرتاريين . كما وضع معلمي الأفلاطونية الحديثة في مكان الأساقفة الأريوسيين الذين أحاطوا بقسطنطينوس وأراد أن يصوغ حكمه علي طريقة " ماركوس أوريليوس " Marcus Aurelius " الملك - العالم ( ١٢١ - ١٨٠ م ) وكان المثل الأعلى والنموذج عند يوليانوس هو أمبراطورية يحكمها الفلاسفة الذين يعمل تحت إشرافهم المديرون وقادة الجيش علي نمط جمهورية أفلاطون .

### يوليانوس يحاول إحياء الديانة الوثنية

تأهب الإمبراطور الآن لتجديد وإحياء الديانة الوثنية . فأمر بإعادة بناء المعابد وبرد الأملاك السابق مصادرتها . وعبر عن إيمانه الشخصي بعبادة إله الشمس ، مقدماً القرايين علنا في كل مناسبة ، ومشجعا الآخرين أن يفعلوا بالمثل وحث الكهنة أن يعيشوا حياة التقشف ، مقدما فيما فعل القدوة الحسنة . وقد لاحظ يوليانوس فاعلية النظام الإداري للكنيسة المسيحية فحاول تنظيم الديانة الوثنية علي نفس الخطوط لكنه لم ينجح كثيرا . كما طالب الكهنة أن يطبقوا بعض الممارسات المسيحية : " ألا نلاحظ أن أعظم ما جدد نمو الإلحاد ( يقصد المسيحية ) هو العطف علي الغرباء ، والتفكير السابق فيما يختص بدفن الأموات ، وإصطناع الكرامة في حياة الفرد ؟ ففي رأيي أن كل واحدة من هذه السجايا يجب أن ننميها بإخلاص داخلنا " .

## يوليانوس يضيق الخناق علي المسيحية

أعلن يوليانوس التسامح مع كل الأديان ، وكان حريصا علي تحاشي سفك الدماء الذي تميزت به الإضطهادات الأولى القديمة . ونصح ضباطه قائلا " بحق الآلهة لست أريد أن يقتل الجليليون ( المسيحيون ) أو يضربوا ظلما بدون مبرر ، ولا أن يعانوا من أي سيئة أخرى . علي أنني أقرر أن خائفي الله ( يعني الوثنيين ) يجب أن يَفْضَلُوا عليهم". وقد دلت العبارة الأخيرة أنها مفتاح سياسته . ففي كل أمر كانت الأفضلية والأولوية لغير المسيحيين فألغي حق الإكليروس في الإعفاء من الخدمة المدنية ، ونقل آخرين كثيرين من الوظائف العامة. خُفِّضَ من عدد المسيحيين العاملين بالقانون . وحينما قتل الغوغاء جورج أسقف الإسكندرية وبخهم توبيخا خفيفا فقط قائلا " أنه كان من الواجب تقديم الأسقف للمحاكمة بدلا من قتله ". وطبقا لسياسة التسامح التي إتبعها فيبدو أنه اعتقد كما قال أحد من كتبوا سيرته الذاتية " إن المسيحيين يفتنون بعضهم بعضا ، إذ عرف بالخبرة أنه لا توجد وحوش أعدي للجنس البشري من فتك المسيحيين بعضهم البعض ( لقد كان بلاشك يفكر في المنازعات اللاهوتية والكنسية الشهيرة التي ميزت الكنيسة في عصره ) .من أخطر أوامره المحسوبة منعه المسيحيين من ممارسة مهنة التعليم في المدارس العامة . لقد ربط يوليانوس بين الدين والتعليم معا . محتجا بأن من لا يؤمن بآلهة اليونان ليس مؤهلا لتعليم آدابها .والأمر الذي يثير الدهشة هو أن المسيحيين المثقفين كانوا يعرفون العلوم اليونانية أفضل معرفة . وكثيرون منهم كانوا أساتذة أجلاء بل حتي أقرب المستشارين إلي يوليانوس إعتبروا ذلك سياسة غير حكيمة أن يستبعد المسيحيون عن مهنة التعليم.

## إجراءات عنيفة ضد المسيحيين

بالرغم مما أعلنه يوليانوس من تسامح مع المسيحية ، فإنه كثيرا ما إتخذ

إجراءات عنيفة وقاسية ضدهم ، فعندما احترق معبد أبوللو في أنطاكية أغلق كنيسة أنطاكية العظيمة الذهبية مع أن المسيحيين لم يكن لهم ضلع في الحريق وسمح لأثناسيوس بالعودة إلي الإسكندرية لكن عندما مارس واجباته مرة أخرى كأسقف ، أمر يوليانوس بإبعاده ، ودعاه قائلاً " ذلك الرجل اللعين " وقد أفني فعلياً مدينة قيصرية ، مدمراً مبانيها ، ومشرداً سكانها ، كما حرّض شعب بوسترا Bostra علي طرد أسقفهم تيطس وصادر أموال وأراضي المسيحيين في إديسا . ولما رفض جنديان مسيحيان رفع شعار المسيحية - chi - Ro - من ألوية وأعلام الجيش قطع رأسيهما .

### إحتقار يوليانوس للمسيحيين

كان يوليانوس في الحقيقة يحتقر المسيحيين . هذا واضح حتي لما تظاهر بأنه يرثي لحالهم ، " جماعة الجليليين الفقراء ، العميان ، المخدوعين الذين تخلوا عن أعظم إمتياز للإنسان ، وهو عبادة الآلهة الخالدة ، عبدوا بدلاً منها الموتى وعظام الموتى " . وكان يؤمن أن طريق المسيحية طريق بربرية وحقيرة وغبية بالمقارنة إلي إيمانه هو ، حيث قال : " نحن متفوقون عليكم من كل وجه ، في معرفة الفنون ، والحكمة ، والذكاء " . علاوة علي ذلك إعتبر المسيحيين تهديداً للإمبراطورية . وهكذا يقول " كوكران " كان يوليانوس مقتنعاً بأن الإمبراطورية قد إحتضنت - في المسيحية - مصاصاً للدماء ، إذا لم يستأصل في الحال فإنه سيستنزف منها سريعاً دم الحياة " . ( Christianity and classical Culture P. 272 كما اعتقد أن " وصمة الإلحاد ( أي المسيحية ) يجب أن تمحي " .

### يوليانوس ينتقد المسيحية

قدم يوليانوس العديد من الحجج ضد المسيحية . فأبرز التناقضات بين العهد القديم والعهد الجديد . فقد تحول المسيحيون في رأيه عن ناموس موسى " فالجليليون



مثل دودة العلق ، إمتصوا أردأ الدماء من ذلك المصدر وتركوا الأنقي . " وكانت ألوهية المسيح بالنسبة له أمر لا يصدق ، كما إعتبر أن تعاليم المسيح إنما هي تعاليم صادرة من قروي جاهل أُمي مجرد من الحق والجمال . فقد كانت تعاليم ضعيفة وغير عملية ، وإذا أخذت جديا فإنها تدمر الأمة والمجتمع والأسرة . كما إعتقد أن المسيحيين أدخلوا بدعا ليست موجودة أصلا حتي في كتبهم المقدسة ، مثل تبجيل القديسين " الرؤوس المتعفنة في الأحماض ، والعظام النتنة - صارت الآلهة الجديدة للشعب الروماني . " إنهم مرءون ومنافقون لأنهم يبشرون بإنجيل المحبة ، ومع ذلك يضطهدون خاصتهم من الشعب ( مثال ذلك الأريوسيون والأرثوذكس ) . أخيرا إن "خلاصة وجوهر المعرفة اللاهوتية لديهم تقلصت إلي أمرين : يصفرون لطرد الشياطين ويرسمون علامة الصليب علي جباههم " .

### يوليانوس يحاول إعادة بناء الهيكل في أورشليم

فكر يوليانوس في مشروع غريب كي يذل المسيحيين - فقرر أن يعيد بناء الهيكل في أورشليم . فقد أدرك أن اليهود الذين إستبعدوا من أورشليم لمدة مائتي سنة لا يمكنهم تقديم الذبائح إلا في الهيكل فقط . وهو في هذا إحترم اليهود ، مع أنه إزدري بهم في مواضع أخرى ، معتقدا أن كل الصلوات يجب أن تصحبها الذبيحة . كذلك اعتقد بأن بناء الهيكل ينقض نبوة يسوع عن الهيكل " إنه لا يترك ههنا حجر علي حجر لا ينقض " (مت ٢٤ : ٢) . والمهم أنه ليس هناك ما يسجل أن اليهود رحبوا بالمشروع ( نادرا ما يذكر هذا المشروع في كتابات اليهود ) فقد كان يوليانوس بالنسبة لهم أميا ووثنيا وثنيا ، كان معظم اليهود يعتقدون أن الهيكل لن يعاد بناؤه الا عند مجيء المسيا . علي كل حال فقد بدأ المشروع في مارس من سنة ٣٦٣م وتوقف تقريبا علي الفور . وتقول إحدى الروايات أنه حالما بدأ العمال في الحفر ، انفجرت في الأساسات كرات من نار ولفحتهم . ويعتقد البعض أنه ربما حدث زلزال أخاف العمال فهربوا مذعورين .



## يوليانوس يفشل في إحياء الوثنية

كان أعظم فشل لحق بيوليانوس هو عجزه عن إحياء الديانات القديمة فربما كان متفلسفا أكثر من اللازم . وحتى الشعب لم يستجب لتحذيراته ونصائحه كما لم يهتم أحد خاصة كهنة الأوثان بمحاكاة نمط حياته في الزهد والتقشف . لكن الحقيقة أن قلب الديانة القديمة كان قد فارقها . وهناك روايات عن كهنة منهم إنحطت أحوالهم لدرجة التسول ، وعن هياكل خربت ودمرت ، وعن عائلات للكهنة ذابت تماما في البيئة المسيحية السائدة . وكما إعترف يوليانوس نفسه "نحن في حالة من بلادة الحس إزاء الشئون الدينية حتي لقد نسينا تقاليد أجدادنا " .

## موت يوليانوس

لو أن يوليانوس عاش عمرا أطول ، لربما اختلفت القصة . لكنه قتل يوم ٢٦ يونيه سنة ٣٦٣م أثناء حملة عسكرية ضد الفرس ، وكان عمره آنذاك ٣٢ سنة . هناك روايتان عن لحظات موته ، ولو أن المؤرخين لم يقبلوهما . إحداهما تقول إنه نشر الدم من جرحه تجاه إله الشمس قائلا " كن راضيا " . وتقول الأخرى إنه بنفس الحركة صرخ " أيها الجليلي ( المسيح ) لقد إنتصرت " .

خلاصة القول إنه إذا كان يوليانوس قد سبب الخوف والقلق بين المسيحيين لفترة قصيرة، فإنه أيضا جعلهم يعيدون التفكير في أحوال الكنيسة والشر الذي وجد طريقه إلي المقدسات . ويقول فيليب سكاف Philip Schaff " كان هذا الإضطهاد المؤقت الوقتي عقابا عادلا وتدريباً صحيا للكنيسة وللإكليروس الذين تحولوا إلي الدنيويات (History of The Christian Church vol . III P . 41 ) وأعطى إختبار جوليان لقادة الكنيسة درساً بأن لا يثقوا كل الثقة مدة ثانية في حماية الملوك والأباطرة للكنيسة . لكنهم

سرعان ما نسوا هذا الدرس .

.

---

\* معظم المادة في القسم السالف الذكر مأخوذة عن كتاب يولييانوس الجاحد Julian the

Apostate , G.W. Bowersock , Duchwarth , London , 1978 .

## **Recommended English Readings**

- 1 - Chadwick, Henry -**The Early Church**, pp. 154-159.
- 2 - Duchesne , Louis -**The early History of the Church** pp . 251 - 268 .
- 3 - Frend , W.H.C.**The Early Church** , pp . 169 - 179 .
- 4 - Jackson , F.J.F .**The History of The Christian Church** ., pp.351 - 374 .
- 5 - Leitzmann , Hans -**A History of The Early Church** . vol . III , pp . 261 - 269 , 273 - 287
- 6 - Wand , J.W.C . -**A History of The Early Church** , pp . 167 - 173 .

**Σ - من جوفيان إيلي**  
**ثيودوسيوس ومجمع**  
**القسطنطينية (٣٦٣-٣٨٢ م)**

## الإمبراطور جوفيان

بعد موت يوليانوس ، أصبح جوفيان Jovian إمبراطورا. وكان جوفيان بانونيا Pannonia ، وكان عضوا كبيرا في الحرس الإمبراطوري. وقد أعاد علي الفور للمسيحيين حقوقهم وإمتيازاتهم وأصدر مرسوما هذا نصه : " يجب أن تعبد الله القدير والمسيح وحسب ، وعلي الشعب أن يجتمع في الكنيسة للعبادة ". وقد تسامح في بعض الممارسات الوثنية لكن في نطاق محدود جدا .

## العمل نحو الإتفاق

في خلال هذه الفترة ، برزت ثانية المجادلات اللاهوتية المختلفة ، فيما بعد مجمع نيقية ، وتحرك المدافعون عنها يحدوهم النشاط . لكن يمكن القول إنها كانت فترة التقارب معا. فقد كان أثناسيوس والآباء الكابادوكيون من آسيا الصغرى بصفة خاصة، يعملون نحو الأساس المشترك . وكان الأريوسيون بلا ريب في طريق الأفول وكان هناك اتجاه واضح نحو الإتفاق ، وقد تحقق هذا علي قدر ما أمكن في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ - ٣٨٢ م .

## فالتنيان وفالنز

مات جوفيان فجأة سنة ٣٦٤ م ، وانتقل الحكم إلي فالتنيان الذي عين أخاه فالينز ليحكم في الشرق . أثبت فالتنيان أنه غالبا لا يبالي بشئون الكنيسة . فعندما طالب وفد من الأساقفة بعقد مجمع لتسوية مسألة القانون ، أجاب فالتنيان : " أنا علماني ولست في حاجة إلي أن أنزعج وأنشغل بمثل هذه الأمور، فهي من إختصاص الكهنة الذين ينبغي أن يرتبوا إجتماعاتهم حيثما أرادوا ". أما فالينز - من الناحية



الأخري - فبتأثير من يودكسيوس الأريوسي أخذ يهتم جديا بشئون الكنيسة . وعندما اتخذ مجلس الكنيسة قرارا يتعارض مع رغباته عزل أغلبية الحاضرين . قلل فالينز الكثير من الإمتيازات التي سبق أن تمتعت بها الكنيسة ( فمثلا لم يستطع الكهنة أن يباشروا عملا أو يكتزوا ثروة شخصية ، كما لم يمكن لمحاكم الكنيسة أن تصدر قرارا في القضايا الجنائية . كما أن الكثير من الأساقفة الذين عزلهم قسطنطيوس وأعادهم يوليانوس عزلهم ثانية فالينز ومن بين هؤلاء أثناسيوس . ولو أنه سمح له بالعودة في السنة التالية . ) أثناسيوس ، في الواقع ، نفي خمس مرات ) .

### السنة الأخيرة لأثناسيوس

عاش أثناسيوس سنوات عمره الأخيرة في سلام بالإسكندرية حتي وفاته في سنة ٣٧٣م . لقد اكتسب إحتراما يجل عن الوصف لدرجة أنه حتي فالينز الإمبراطور الأريوسي تحاشي أن يتحداه . وعندما ظهر الأسقف لوسيوس Lucius منافسا له في الإسكندرية والمفروض أنه تحت رعاية فالينز ، كاد جمهور الشعب أن يمزقه إريا . بلا شك كان لأثناسيوس نصيب وافر في الوصول إلي إتفاق أخير علي قانون نيقية . وقد ساعد علي إزالة سوء الفهم حول التغييرات اللاهوتية اليونانية واللاتينية . ففي مجمع الإسكندرية سنة ٣٦٢ م أوضح أن الكلمة اليونانية " Ousios " تقابلها في اللاتينية كلمة Substantia " ، أي جوهر أو مادة ، وأن الكلمة اليونانية " HYPOSTASIS " تقابلها في اللاتينية " PERSONA " = " PERSON " = أقنوم . ومع أنه لم يتفق أبدا مع الكابادوكيين تماما ، الذين فضلوا تعبير هومويوسيوس " HOMOIOUSIOS " علي " هوموأوسيوس HOMOOUSIOS فإنه أجاز قبول تفسيرهم لصيغة قانون نيقية .

## أثناسيوس وقانونية الأسفار الكتابية

كما ينبغي أيضا أن نقدر تأثير أثناسيوس في أمور أقل إثارة للجدل . فطبقا لقانون نيقية الأصلي كان أسقف الإسكندرية ينتدب لنشر رسالة العيد السنوية معلنا تاريخ عيد الفصح و القيامة . هذه الرسائل المرسله من أثناسيوس إلي أبعد الأماكن بإتساع الكنيسة كلها ، كانت تناقش العديد من الأمور ذات الإهتمام المسكوني . فمثلا في سنة ٣٦٧ م عالج موضوع الأسفار القانونية. فرتب أسفار العهد القديم وعددها إثنين وعشرين وهو ٢٢ ، يوافق العدد الفعلي الحالي تسعة وثلاثين سفرا وهذا لأنه أحصى السفر المزدوج سفرا واحدا (مثلا أخبار الملوك الأول والثاني .. إلخ) كما أحصى أسفار الأنبياء الصغار كسفر واحد . وقد حذف سفر أستير لكنه أدرج نبوة باروك ورسالة إرميا (من الأبوكريفا) كما كانت قائمة أثناسيوس التي سجل فيها السبعة والعشرين سفرا هي أول تسجيل لقانون العهد الجديد الحالي ، الذي تأكد بإتفاق الآراء عبر السنين . فقد تأيد من مجمع شمال أفريقيا المنعقد في Hippo سنة ٣٩٣ م وتأييد مرة ثانية من سنودس قرطاجنة بعد ذلك بأربعة أعوام .

## بطرس يخلف أثناسيوس

الأسقف بطرس شقيق أثناسيوس حل محله كبطريك في كرسي مارمرقس بالإسكندرية . لكنه لم يستطع الثبات أمام القوات الإمبراطورية فعين الإمبراطور فالينز أسقفا أريوسيا هو لوسيان بدلا منه رغما عن رغبة الشعب ، والمعارضون نفاهم، وتدنت كنيسة " ثيونس " مرة أخرى ، وإلتجأ بطرس إلي روما . وعندما مات الإمبراطور فالينز سنة ٣٧٩ م خلفه جراتيان Gratian ، وتمكن بطرس من العودة إلي كرسيه في الإسكندرية .

## أ - الآباء الكابادوكيون من آسيا الصغرى

### الآباء الكابادوكيون

كانت القيادة اللاهوتية في هذه الفترة تنتقل بسرعة إلى أيدي الآباء الكابادوكيين: باسيليوس القيصري ( سنة ٣٢٩ - ٣٧٩ م ) ، وأخيه غريغوريوس النيصي ( سنة ٣٣٠ - ٣٤٥ م ) ، وغريغوريوس النازينزي Nazianzus سنة ( ٣٣٠ - ٣٨٩ م ). وقد اضطلع هؤلاء الثلاثة بمسئولية كبرى في صياغة القانون النيقوي ، الذي طُبّق في القسطنطينية في سنة ٣٨١ م . ويعد هؤلاء الآباء الثلاثة من بين أعظم القديسين في الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية ، كما تكن لهم الكنيسة الغربية إحتراما جليلا .

### ١ - باسيليوس أسقف قيصرية

#### تربيته الأولى :

ولد باسيليوس الكبير أسقف قيصرية في أسرة غنية في الميراث المسيحي . فقد تعرض أجداده لإضطهاد دقلديانوس . وكان أبواه من أثرياء المسيحيين وعملا علي أن ينال هو وأخوه غريغوريوس قسطا وافرا من التعليم في قيصرية والقسطنطينية . ثم أرسلهما بعد ذلك إلي الجامعة في أثينا ليتثقفا بالعلوم التقليدية الكلاسيكية اليونانية وهناك تعرفا علي يولييانوس الذي أصبح فيما بعد الإمبراطور المرتد . كذلك تصادقا مع غريغوريوس النازينزي . وعند عودتهما إلي قيصرية عمل باسيليوس كمعلم للبلاغة ، لكنه إزداد شغفا بحياة التقشف وقد رسم قارئاً في سنة ٣٥٧ م وبعد زيارات كثيرة إلي سوريا وفلسطين ومصر قرر أن يكرس نفسه لحياة الرهبنة .

## باسيليوس وحياة الرهبنة والتقشف

وعندما عاد باسيليوس إلي بلدته في " بنتس " 'متمزل في صومعة صغيرة عند نهر بنتس . وفيما يلي تأمل لباسيليوس عن حياة النسك والرهبنة :

" أي شيء أعظم من التشبه علي الأرض بجوقة ملائكية ، في طلعة الصبح تقوم للصلاة ، وتمجيد الخالق بالإنشاد والتسبيح ، ثم الذهاب إلي العمل في إشراقة الشمس الصافية ، مصحوبين بالإبتهال والصلاة في كل مكان حيث نمزج العمل بالتسبيح كما المالح في الطعام ؟ الخلوة الصافية هي بداية تطهير الروح لإن العقل إذا لم يضطرب من خارجه ، وإذا لم ينقد ذاته في أحاسيس العالم ، يرجع إلي نفسه ويرتفع إلي فكر الله".

Quoted By Philip Schaff , History of the Christian Church , vol , III , P . 900)

## تحفظات باسيليوس حول حياة الرهبنة

علي أي حال ، كان باسيليوس ينتقد معيشة النسك في الرهبنة ، كما يتبين من الإقتباس التالي لأقواله :

" حين يعيش الإنسان منفردا فإنه ينشد خلاص نفسه فقط وهذا ضد ناموس المحبة .. لا أحد يصحح أخطائه ... الله خلقنا ، كأجزاء الجسم المختلفة يحتاج كل منا إلي معونة الآخر .. ومن يعيش لنفسه قد يكون لديه موهبة ثمينة ، لكنه يدفنها . وكل من يقرأ الإنجيل ( متي ٢٥ : ٢٥ و ٢٦ ) يعرف خطورة هذا الفعل . فالناس في المجتمع يتشاركون معا في المواهب .. وكيف يكون أي إنسان متواضعا ، شفوفا أو صبورا ما لم يكن هناك إنسان آخر ؟ أقدام من تغسل ؟ لمن تقدم الخدمة ؟ كيف تكون أصغر الجميع إذا كنت وحدك ؟ " ( Quted by John Foster , Church History I The First

Advance P. 151 )

## إنتخاب باسيليوس أسقفا لقيصرية

من المفيد أن نلاحظ أن باسيليوس مع إعجابه بحياة الرهينة ، وجد نفسه غير ملائم لها فقد قال لصديقه غريغوريوس ، " إنني أجد نفسي معذبا بنفس القلق في كل مكان حتي إنني في الحقيقة لم أنل أي عون أو مساعدة من هذه العزلة ، وإذا عرف الأسقف يوسابيوس ، بمواهب باسيليوس العديدة ، دعاه سنة ٣٦٤ م لمعاونته في النضال ضد الأريوسية. وفي سنة ٣٧٠ م إنتخب أسقفا لقيصرية ، ودخل بنشاط في الصراع اللاهوتي حفاظا علي قانون نيقية . كما شرع أيضا في إصلاح الأسقفية نفسها، وأعاد نظام الرسامة كما عين الأساقفة في المناطق المحتاجة . وأنشأ باسيليوس الأديرة والمستشفيات والمصانع للمعوزين . وقد كثرت المباني من هذا النوع حول كنيسته حتي أطلق عليها إسم " المدينة الجديدة " . وكان لباسيليوس آراء متطرفة عن كيف ينبغي علي الأغنياء أن يستخدموا أموالهم لمساعدة الفقراء . إن موعظته عن الربا الفاحش يذكرها البعض كفكر رائد للفكر الإشتراكي الحديث .

## باسيليوس يخدم الفقراء

فيما يلي إقتباس من كلمة لصديقه غريغوريوس النازينزي :

" لقد أقنع باسيليوس الأغنياء بالفعل أن يكتزوا لهم كنزا في السماء . هنا تجد الدين يتعامل مع الكوارث والمرض ... لن تري بعد ذلك البرص ، المنبوذين ، المدعورين ، بدون رحمة ، وأشباه الموتى ، ينشدون أغانيهم الحزينة أن تبقي لديهم صوت للغناء . لقد إستقبلهم باسيليوس وحياتهم كإخوة ... لم يهتم الأسقف بوسائل الترف مثل الطباخين ، والأعياد ، والعربات ، والثياب الفضفاضة بل اهتم بالفقراء واهتم بإقتفاء أثر المسيح في شفاء وتطهير البرص ، ليس بالكلام عنه ، بل بالفعل " . ( QUTED BY JOHN FOSTER CHURCH HISTORY I , THE FIRST ADVANCE P,152 )



## باسيليوس يجيب علي فالينز

سرعان ما واجه باسيليوس المتاعب مع فالينز الإمبراطور الأريوسي الذي أراد أن يعين أساقفة أريوسيين في العواصم الكبرى ، في طاكية والقسطنطينية. أما غير الأريوسيين الذين قاوموا ، فهددهم فالينز بمصادرة الممتلكات والنفي والموت . فكتب باسيليوس يرد عليه قائلاً : " ليس أكثر من هذا فلن يمسنى أي أمر من هذه الأمور . فمن لا يملك شيئاً لا تصادر ممتلكاته ولست أخشي النفي لأنني لست محصوراً بمكان فأنا ضيف لدي الله الذي له كل الأرض ، أما عن الإستشهاد فأنا لست أهلاً له ، لكن الموت ربح لي ، لأنه ينقلني بطريقة أسرع الي الله الذي أحبه وإليه أتوجه . كما أنني أيضاً شبه ميت بالفعل ، ومنذ مدة طويلة أراني مسرعاً إلي القبر" .

## فالينز يحترم باسيليوس

وجاء فالينز إلي كبادوكية وقابل باسيليوس فتأثراً أولاً ببلاغته الأسقف . وثانياً صلي باسيليوس من أجل ابن الإمبراطور المريض البالغ من العمر ست سنوات وشفي الصبي ( ولو أنه مات في وقت لاحق) . وإنطلاقاً من الإحترام والعرفان بالجميل طرح الإمبراطور تهديداته جانباً فيما يختص بالأسقف باسيليوس .

## باسيليوس يحاول الحصول علي مساعدة روما

عندما أصبح باسيليوس أسقفا لقيصرية ، ابتهج لذلك أثناسيوس الذي دعاه " خادماً أميناً لله " . ولو قدر لأثناسيوس أن يحيا مدة أطول ، ربما كان أنجز الكثير هو وباسيليوس معاً ، وكان باسيليوس يسعى لطلب مساعدة أثناسيوس في منازعاته اللاهوتية و الكنسية المختلفة كما كان يعلم أن الأسقف السكندري كان علي صلة قوية

بروما. وكان باسيليوس يأمل أن يتدخل أثناسيوس لدى البابا دماسيوس لتحسين المعاملة للأرثوذكس في الشرق ، وأيضاً لإنهاء الإنقسامات في أنطاكية حيث بلغ فيها في أحد الأوقات عدد الأحزاب المختلفة المتنازعة علي الأسقفية خمسة أحزاب. لكن هذه الجهود فشلت ليس فقط بسبب موت أثناسيوس لكن أيضاً لأن ديماسيوس أسقف روما لم يكن يهتم بالمساعدة أو يميل إلي ذلك . ربما لم يكن يود أن يسبب متاعب في الإمبراطورية الشرقية حين كان فالتينيان الإمبراطور الغربي في سلام مع الكنيسة

## أعداء الروح القدس

ومن بين الصعوبات التي واجهها باسيليوس ما لاقاه من معارضي الرأي القائل أن الروح القدس من نفس جوهر الآب والإبن . فقد كان باسيليوس يؤمن تماماً بأن الروح القدس أقنوم مساو للآب والإبن ، أما الفريق الآخر بقيادة كفيل سابق لباسيليوس يدعي يوساثيوس فيتمسك بأن الروح القدس كان كائن مخلوق ، أقل من الآب والإبن. وقد عرف إقرار هذه الجماعة بإسم Pneumatomachi نيوماتوماخي " أي أعداء الروح" كما كانوا يعرفون أيضاً بإسم " Macedonians " المقدونيين " علي إسم أحد قادتهم. ولم تحل هذه القضية إلا في مجمع القسطنطينية في سنة ٣٨١ فقط .

## تعليم أبوليناريس APOLLINARIS

سعيًا - مرة أخرى ، وراء التعاون مع الكنيسة الغربية ، أرسل باسيليوس شماسا من أنطاكية هو دوروثيوس إلي روما لإقناع دماسوس للإتحاد معها ضد ال

"نيوماتوماخي"، وضد أتباع أبوليناريوس The Apollinarians \* . وكان أيضا يشجع ميليتيوس Meletius" المرشح الأرثوذكسي لكرسي أنطاكية . ومع أن البابا دماسيوس كان متقفا بصفة عامة مع الفكر اللاهوتي للكبادوكيين إلا أنه فشل في إتخاذ خطوة إيجابية . إن تصرف الكنيسة الغربية كان - في أفضل الحالات - عدم مبالاة ، وفي أسوأها عجرفة .

## ٢ - غريغوريوس النازينزي NAZIANZUS

### غريغوريوس أسقف نازيانزوس

إن حياة غريغوريوس توازي بوجه التقريب حياة باسيليوس . كان لوالدته نونا NONNA تأثير قوي عليه وبالإضافة إلي تعليمه في قيصرية وأثينا ، نال قسطا وافرا من الخبرة في الإسكندرية . كان غريغوريوس متأثرا بشدة بأثناسيوس ، كما تأثر أيضا بمدير مدرسة التعليم الجدلي بالإسكندرية و هو ديديموس الضيرير \* BLIND DIDYMUS عند عودته إلي نازينزوس ، ترك غريغوريوس كل الملذات العادية مكتفيا بأكل الخبز والملح فقط مع شرب الماء فقط ، نام علي الأرض ، لبس عباءة خشنة. وطبقا لما قاله، " فإن العمل يستغرق النهار أما الصلاة والتسبيح والتأملات المقدسة فتستغرق الليل". وقد قبل رسامته أسقفا في سنة ٣٦١ م مضطرا.

---

\* الأبولينارية مذهب نشأ مبدعه أبوليناريوس من مدرسة الإسكندرية لتعليم عقيدة المسيح واتجه هذا المذهب الي التأكيد علي ألوهية المسيح فوق ناسوته

\*\* مع أن ديديموس كان ضريرا إلا أنه تعلم البلاغة والفلسفة والرياضة . وحفظ العهد القديم والعهد الجديد عن ظهر قلب . كان يجل أوريجانوس ويحترمه جدا كما كان مدافعا أميناً عن قانون نيقية وكان ديديموس مقربا جدا إلي أنطونيوس وغيره من الرهبان . ألف ثلاثة كتب عن الثالث وكان روفينوس RUFINUS " و " جيروم JEROME " من بين تلاميذه العديدين .

## إشتهار غريغوريوس في القسطنطينية

عندما حاول باسيليوس صديق غريغوريوس أن يقيم أساقفة أرثوذكس علي إمتداد كبادوكيا عين غريغوريوس في مدينة بعيدة غير هامة . غير أن غريغوريوس لم يعيش أبدا هناك بل انسحب إلي بيته . وفي سنة ٣٧٩ م قبل رعاية كنيسة صغيرة في القسطنطينية . و بلباسه الحقير ومظهره البائس ترك إنطباعا سيئا لدي علية القوم والأرستقراطيين في المدينة . لكن عندما فتح فاه ليعظ نال إعجابهم بسهولة بل حتي الوثنيين إحتشدوا لسمعوه . وفي إحدى المرات هاجم الغوغاء الأريوسيون الكنيسة ودنسوها . وعندما دعي غريغوريوس لسماع أقواله رسميا ، تكلم بطريقة رائعة ضاعفت من شهرته . وقد دعيت الكنيسة الصغيرة التي خدم فيها كنيسة " إنستاسيا " أي القيامة .

## غريغوريوس يصبح أسقفاً للقسطنطينية

جاءته الفرصة في سنة ٣٨١ م ليصبح أسقفاً للقسطنطينية وقد عينه الإمبراطور فعليا وخدم فترة قصيرة ، لكن الأساقفة الآخرين تجادلوا حول إختياره وذلك بدافع من الغيرة والحسد. وأخيرا انسحب غريغوريوس مشمئزا وهو يقول : " سأكون يونان الثاني". أضع نفسي لخلاص سفينتنا ( الكنيسة ) " ولو أنني بريء من العاصفة لتقع القرعة عليّ ولتطرحوني في البحر " . كان غريغوريوس يلقب " بالإلهي " و " اللاهوتي " من أجل أحاديثه ومحاضراته ضد الأريوسيين . لكن أفضل ما يبقي لذكراه مواهبه الخطابية التي هدت القسطنطينية إلي صحة العقيدة .

## ٣ - غريغوريوس النيسي

### غريغوريوس النيصي ( النيسي )

كان غريغوريوس أخو باسيليوس ،إنسانا خجولا هادئا يركز علي الدراسات اللاهوتية .لم ينشغل بالعمل السياسي مثلما فعل باسيليوس لكنه اكتسب صيتا يستحقه ككاتب ، وفي أثناء إنعقاد مجمع القسطنطينية سنة ( ٣٨١ - ٣٨٢ م)أُرسل علي رأس بعثة إلي أورشليم لإقامة السلام لكنه رجع بدون نجاح يذكر.وإذ تأثر بشدة بتعاليم أوريجانوس فإنه أخضع الفلسفة اليونانية الهيلينية لخدمة الحق المسيحي .وكان أول لاهوتي يوضح علاقة تجسد المسيح ممارسة (الأفخارستيا).كما كان في تأييده وتدعيمه لقانون نيقية ، أعظم معين في التمييز بين Ousio ومعناها الجوهر = ESSENCE ، و PERSON = HYPOSTASIS ومعناها الأقنوم .وقد مات غريغوريوس في سنة ٣٩٥ م .

### إنتشار علم اللاهوت

كان غريغوريوس النيصي ( النيساوي ) هو الذي لاحظ كيف استولي علم اللاهوت علي انتباه عامة الشعب . فكل إنسان مهتم بالمسائل الدينية ويستعلم عنها وقد كتب غريغوريوس من القسطنطينية يقول :

" في هذه المدينة ، إذا سألت أي شخص عن تغيير العملة ، ناقشك عما إذا كان الإبن مولودا أو غير مولود ، وإذا سألت عن جودة الخبز ، أجابك ان الآب أعظم والإبن أقل.فإذا اقترحت ضرورة الإستحمام ، أخبرك أنه لم يكن هناك شيء قبل خلق الإبن".



## الكابادوكيون وقانون الإيمان النيقوي

بفضل هؤلاء الآباء الثلاثة العظام من الكنيسة الشرقية صار الطريق ممهدا للحفاظ علي قانون إيمان نيقية وقد تأكد مكان الروح القدس وأنه مساو للآب والإبن ، وإذا كان الكابادوكيون قد اختلفوا مع أثناسيوس فلقد كان الخلاف مسألة تنبير أكثر منه خلافا علي الموضوع. وإذا كان الكابادوكيين قد تثقفوا بمعرفة الفلسفة الهيلينية وتعليم أوريجانوس ، فإنهم إتجهوا إلي البدء بالأقانيم الثلاثة للثالوث ثم تدرجوا إلي " OUSIA " (الجوهر)، وكان اللغز عندهم هو الوجدانية ، فكيف يكون الثلاثة واحدا؟ أما أثناسيوس فبدأ بالوجدانية ثم تدرج الي الأقانيم الثلاثة. وكان اللغز عنده في الثالوث فكيف يكون الواحد ثلاثة ؟ وإنطلاقا من هذه المداخل المختلفة للموضوع أمكن التوصل إلي تفهم الموضوع بصورة جوهرية ، فإنه في الثالوث كل ما كان مشتركا بين الآب والإبن والروح القدس ينبغي أن يسمى " جوهر = OUSIA ، وما كان خصوصيا لكل واحد منهم يجب أن يشار إليه بعبارة " أقنوم = HYPOSTASIS .

## الكابادوكيون يتأملون الطبيعة

إحدي الصفات الجذابة لدي الكابادوكيين الثلاثة لاحظها المؤرخ فيليب سكاف PHILIP SCHAFF ، هي أنهم كانوا ذوي إحساس بعالم الطبيعة من حولهم . وقد إعتبر سقراط الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ، أنه ليس هناك ما يمكن أن نتعلمه من الطبيعة ولذلك لم يكن يترىض أبدا سيرا علي قدميه . وبلا شك أن إتخاذ الوثنية لمعظم وحيها من قوات الطبيعة الفجة والضارية ، قد جعلت الكتاب المسيحيين مثل ترتليانوس يتجنبون الموضوع كله . لكن الكابادوكيين رأوا في جمال العالم الطبيعي صنعة يد الله. وفيما يلي نماذج مما كتبوا عنها : باسيليوس : " النجوم ، الزهور الخالدة في السماء ، رفعت روح الإنسان من المنظور إلي غير المنظور " . غريغوريوس النازينزي "كل الأشياء تسبح بحمد الله وتمجده بأنغام لا ينطق بها ، ومن

أجل كل شيء أقدم أنا أيضا شكري لله ، وهكذا تسبحه هذه المخلوقات ، التي أنطق هنا بأغنية تسبيحها لله وهي أيضا لنا " غريغوريوس النيصي يقول : " عندما أرى كل حافة صخرية ، كل واد ، كل سهل مغطي بالعشب والنبت الجديد .. جمال الأشجار والزنابق عند قدمي .. الروائح الذكية ، والألوان رائعة الجمال ، عندما أتأمل البحر في عمقه .. إلخ . إن من ينظر هذا كله متأملا بمنظاره الروحي ، يشعر كم هو ضئيل - الإنسان في هذا الكون العظيم "

SCHAFF , PHILIP . HISTORY OF THE CHRISTIAN CHURCH VOL , III , PP. 897 , 898 .

## ب - ثيودوسيوس ومجمع القسطنطينية

### المسيحية ، الديانة الوحيدة للإمبراطورية

بموت فالينز في سنة ٣٧٨ م تغيرت الظروف جذريا في الإمبراطورية والكنيسة . وقد جلس ابن أخيه جراتيان علي عرش الغرب محل فالنتينيان الذي مات في سنة ٣٧٥ م ، وقام جراتيان بتعيين ثيودوسيوس إمبراطورا للشرق وكان جراتيان وثيودوسيوس كلاهما متعاطفين تماما مع مؤيدي نيقية في الكنيسة . و قد قام ثيودوسيوس - إثباتا أنه الأكثر حسما ، بنشر مرسوم في سنة ٣٨٠ م بموافقة جراتيان ، ثبت بموجبه المسيحية ديناً للإمبراطورية .

### مرسوم ثيودوسيوس

" نحن الأباطرة نريد أن يتمسك كل رعايانا تمسكاً راسخاً بالديانة التي علمها القديس

بطرس للرومان ، التي حفظها لنا التقليد بأمانة ، والتي يعترف بها الآن الحبر الأعظم دماسوس أسقف روما ، وبطرس أسقف الأسكندرية ، ورجل القداسة الرسولية . فنحن حسب تأسيس الرسل وتعليم الإنجيل نؤمن بالله الواحد : الآب والإبن والروح القدس وأنهم متساوون في الثالوث الأقدس . ونأمر بأن يدعي المعتنقون لهذا الإيمان " مسيحيين كاثوليك " كما أننا نصم كل منعدمي الشعور أتباع الديانات الأخرى بإسم شائن كهراطقة ، ونمنع جمعياتهم السرية من إنتحال إسم كنائس . وعلاوة علي دينونة العدل الإلهي يجب أن يتوقعوا أشد العقوبات التي تري سلطاتنا فرضها بالحق، تحت إرشاد الحكمة السماوية ( CODEX THEODOSIANIS XVI: 1, 2 ) .

## قوانين لحماية المسيحية

وبعد ذلك أصدر ثيودوسيوس مجموعة من القوانين وضعت لحماية وتقوية وضع الكنيسة في الإمبراطورية . وهذا الإجراء يضعه "د. ألارد" D.ALLARD, LE CHRISTIANISME, TIANISME ET L'EMPIRE ROMAIN PP.263, 264 " منع ثيودوسيوس إستدعاء الأسقف كشاهد ، ولم يسمح بمحاكمة جنائية ولا عقوبة بدنية أثناء الصوم الكبير ، وأدرج يوم الفصح ويوم الأحد ضمن الأجازات الشعبية العامة وحظر علي اليهود شراء عبيد مسيحيين . ولم يسمح بالألعاب في أيام الآحاد - ولوائح أخرى كثيرة مشابهة ... بعد ذلك من سنة ٣٨١ - ٣٩٤ م صدرت قوانين ضد الهراطقة وهم بالتحديد الأريوسيين ، اليونوميين ، المانويين ، المكدونيين (ضد الروح القدس)، الأبوليناريين Arians, Eunomians , Manichaeans , Macedonians Apollinarians, Pneumatomachi) مصادرا كنائسهم ومسلماتهم للكاثوليك (أي كما كانت تعرف الكنيسة في الغرب)، فارضا الحظر علي إجتماعاتهم ، طاردا إلي المنفي أساقفتهم وكهنتهم ، ومصادرا كل الأماكن التي كانوا يقيمون فيها مراسمهم وشعائهم ، ويصفه هودجكين HODGKIN كما يلي :

" كان التشريع الذي أصدره ثيودوسيوس ناجحا للغاية في قمع كل التعاليم المناهضة لقانون نيقية وكان للإنتصار المكتسب علي هذا النحو ، تأثيره الهائل علي مصائر وأقدار الإمبراطورية ، والمسيحية ، وأوروبا الحديثة " ( HODGKIN . ITALY AND HER INVADERS . VOL . I , 6 )

## مجمع القسطنطينية المسكوني

ثم دعا ثيودوسيوس إلي عقد مجمع في القسطنطينية في سنة ٣٨١ م وهو ما يعرف الآن بالمجمع المسكوني الثاني بعد نيقية . \* ومن بين القرارات الهامة لهذا المجمع :-

- ١ - تقرر أن تعتبر الأريوسية مناقضة للقانون الروماني .
- ٢ - أسقف القسطنطينية يلي أسقف روما مرتبة لأن القسطنطينية هي روما الجديدة (هذا القرار ضايق الإسكندريين لأنه وضعهم في المركز الثالث بعد روما والقسطنطينية) .
- ٣ - إدانة مذهب الأبولينارية .
- ٤ - أعلن أن الإيمان النيقوي هو قانون الإمبراطورية .

" **فيليوك** Filio que "

كانت الإضافة الهامة لقانون إيمان نيقية ، هي أكمل وصف لمكانة الروح القدس: " هو الرب وواهب الحياة ، وأنه ينبثق من الآب ، وأنه له السجود والتمجيد مع الآب والإبن ، وأنه قد تكلم بالأنبياء " لاحظ أنه في قانون الإيمان المستخدم في الكنائس الغربية تأتي العبارة الموضوع تحتها خط أعلاه ، بهذه الصيغة ، "إنه ينبثق

---

\* يحتفل بذكرى مجمع القسطنطينية في خدمة القديس القبطي ٨ فبراير.

والإبن " هذه هي صيغة " فيليوك " ( ومعناه والإبن أيضا ) وهي الصيغة التي قدرلها أن تصبح هكذا نقطة جدل ونقاش بين الكنائس الشرقية والغربية إبتداء من القرن الثامن الميلادي .

## قانون ايمان نيقية

يجب ملاحظة أن القانون الذي يسمى الآن قانون القسطنطينية ليس هو القانون الذي نتج عن ذلك المجمع في سنة ٣٨١ - ٣٨٢ م . فلم يذكر ذلك القانون بهذه الصفة، قبل سنة ٤٥١م في خلقيدون وهو عملياً أقرب ما يكون الي الاعتراف الذي يتلي عند الاعتماد في الكنيسة في اورشليم والذي انتشر إستعماله عامة حوالي سنة . . . ٥ م بعد الميلاد بإعتباره القانون النيقوي .



## **Recommended English Readings**

- 1 - Boer, H.R. -**A Short History Of The Early Church**, Eerdmans GrandRapids, 1976 , P. 118
- 2 - Chadwick Henry -**The Early Church** , PP . 145 - 151 .
- 3 - Frend , W. H. C**The Early Church** , PP. 180 - 189 .
- 4 -Jackson , F.J.F. **History Of The Christian Church to A.D. 461**,PP. 375 - 404
- 5 - Latourette K.S.**A History Of Christianity** , PP . 160 - 164.
- 6 - McGiffert , A.C.**A History Of Christian Thought**, VOL , I . PP . 267 - 275 .
- 7 - Schaff, Philip**History Of The Christian Church**,VOL III . PP, 893 - 922.
- 8 - Walker , Williston **A History Of The Christian Church** , PP.115 -119 .

**٥ - الكنيسة المسيحية  
والإمبراطورية في نهاية  
القرن الرابع الميلادي**

## قرن حرج للكنيسة

لقد أسفرت الحقبة من قسطنطين حتي ثيودوسيوس عن تغيير جذري للكنيسة المسيحية أكثر من أي حقبة أخرى . لأنه إذ بينما أقدم الأباطرة علي مساعدة الكنيسة ورعايتها وحمايتها والتدخل في شئونها وإستغلالها، إستجابت الكنيسة ، بالتالي لمركزها الجديد وقوتها الجديدة . وقد وصفه فوكس جاكسون Foakas Jackson كما يلي : " إن القرن الذي شهد إنتصار الشهداء ، وإستقرار وتوطيد قانون العالم المسيحي ، وبدايات الرهبنة ، وإكتشاف الأماكن المقدسة في أورشليم ، وسقوط الوثنية، وأول تأسيس للقوة البابوية ، هذا القرن يصعب أن يكون تالياً في الأهمية لأي قرن آخر من الزمان سوي ذلك القرن الذي ظهر فيه مؤسس المسيحية علي الأرض " .

THE HISTORY OF THE CHRISTIAN CHURCH FROM THE EARLIEST

( TIMES TO AD 461 , P. 433 ) وستتناول في هذا القسم الآثار البعيدة المدي علي

الكنيسة والدولة عندما تواءما معا في العلاقة الجديدة بينهما .

## الفرق بين الشرق والغرب

لقد ظلت كنيسة القرن الرابع تري في نفسها كنيسة وحيدة ضد المنشقين والهرطقة والوثنيين ، ومع ذلك فالفرق بين الكنيسة اليونانية الشرقية واللاتينية الغربية ، أصبحت أوضح. وقد كتب هنري مارو Henri Marrou عن هذا المجلد الأول من كتابه THE CHRISTIAN CENTURIES P . 334 " صار نصف العالم المسيحي أكثر تميزا خلال القرنين الرابع والخامس. فالوحدة الرومانية المميزة للعصور القديمة حل مكانها الإنقسام بين الشرق البيزنطي والعصور اللاتينية الوسطي . فإن اللاهوتيين لم ينهمكوا في واجبات مختلفة وحسب بل الحياة المسيحية كلها أصبحت مختلفة : المؤسسات الكنسية ، خدمة القداس ، قدوة الرهبنة ، مكان المسيحية في الحياة اليومية. ففي كل مجال برزت الفروق " .

## المسيحيون يزدادون عددا

زاد عدد المسيحيين مع إنعدام تهديد الإضطهاد زيادة كبرى في كل طبقات المجتمع . فالكثيرون ممن كانوا مقرئين إلى المسيحيين مارسوا الآن ديانتهم جهارا . ومع أنه لم يتم في تلك الأيام حصر عدد الأعضاء بدقة الا أنه يمكن تخيل مقدار الزيادة في عدد الأعضاء من الزيادة في عدد القائمين بالأعمال في الكنيسة والموظفين . ففي شمال إيطاليا مثلا كان هناك خمس أو ست أسقفيات في سنة ٣٠٠ م . صارت خمسين أسقفية مع حلول عام ٤٠٠ م وفي الغال سنة ٣١٤ م كان عدد الأبرشيات ٢٢ فأصبح في سنة ٤٠٠ م سبعين أسقفية .

## أ - إدارة الكنيسة

### النظام الإداري للكنيسة

انتظم البناء الكنسي بطريقة أكثر فاعلية تحت إشراف المطارنة ، والأساقفة ، والكهنة ، والشمامسة ، والقارئ ، والمساعدين .. إلخ . ولا ننسى أن الإمبراطور يوليانيوس كان يحسد الكنيسة علي نظامها الإداري . أخذ هذا النظام عمليا عن الإدارة المدنية للإمبراطورية . كان هناك إثنتا عشرة أسقفية . وتنقسم كل أسقفية إلى إبارشيات وكل إبارشية الي دوائر . وقد اشتقت كلمة إكليروس Clergy (التي تطلق علي الكهنة) من كلمة يونانية بمعنى كاتب أو موظف ، أما كلمة دياكون بمعنى شماس أو خادم فمأخوذة من لقب ضابط الجيش المشرف علي فرقة من عشرة جنود . و الكنيسة الرومانية الكاثوليكية تعتبر الكاهن اليوم راعيا لإبارشية خوري ، وكان في العصور الرومانية موظفا عموميا ويطلق عليه البلاط البابوي للفتا كان ال " كيوريا THE

CURIA" إسم مأخوذ من الأقسام العشرة للقبائل الثلاث الرومانية القديمة وهلم جرّا .

## القوة المتزايدة للمطارنة ولروما

تعد القوة المتزايدة للأسقفية ، أهم التطورات في هذه الفترة وقد كتب كبريانوس في القرن الثالث ، قائلا " تستقر وحدة الكنيسة في إتفاق رأي الأسقفية الجماعية . كان المطران في القرن الرابع هو الذي يحكم . \* بمعنى المدينة الأم ولم يكن مسموحا للأسقف أن يقوم بعمل " غير عادي " بدون موافقة المطران . لقد لاحظنا الميل الي إستثمار الكراسي الرئيسية بسلطة عليا كما في بطريركيات روما والقسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية وأورشليم . لقد إتخذ بابا روما لنفسه ضمناً وفعلا السلطة الأخيرة ، مع أن هذا لم يلق دائما الإحترام من كراسي الأسقفيات الأخرى .

## العلمانيون والإكليروس في القرن الثاني

يجب أن نذكر أيضا كلمة عن الوضع المتغير للعلمانيين " LAITY " " LAIKOS " خلال القرنين الأول والثاني عندما كانت الكنيسة صغيرة ومضطهدة ، كانت الرابطة بين العلمانيين والإكليروس قريبة جدا . فكانت كما وصفها ترتليانوس "مجتمع ذو شعور ديني مشترك ، وحدة نظام ورياط رجاء ( 1 : 39 APOLOGY ) "حيثما إجتمع ثلاثة فهناك كنيسة ولو كانوا علمانيين " De Exhortations Castitatis وكان شعب الكنيسة يجتمع " ليقروا أسفار الله " ثم يقف كل واحد أمام الباقيين بما لديه من معرفة بالكتب المقدسة أو من قلبه شخصيا ليرنم لله " ( 8 , 3 : 39 APOLOGY )

---

\* كان المطران أسقفاً أعلي علي عدد من الإبرشيات في مدينة كبري . الكلمة جاءت من اليونانية)



## الإكليروس يتولون أعمال العلمانيين في القرن الثالث

في القرن الثالث ، عندما أخذت العضوية في الزيادة تجمعت السلطة في أيدي الإكليروس . فزادت أنواع وظائف الرتب الصغيرة في الكنائس ، (وكلاء شمامسة ، مساعدون وغيرهم ) فأخذوا أعمالا كانت تؤدي بمعرفة العلمانيين ، أثناء الإضطهادات نال كثيرون من الشهداء العلمانيين التكريم كقديسين ، أما من إمتد بهم العمر بعد الإضطهاد فكرمهم كمعترفين . ونلاحظ أن الإكليروس تحركوا الآن لتقييد هذا الإتجاه العام بإصدار الأمر بأن الشهداء المعتمدين من السلطة الكنسية هم فقط الذين يحتفل بذكراهم . سهرات الأعياد خارج السجون التي وضع فيها المعترفون العلمانيون ، قاومها " كايسليان Caecilian رئيس شمامسة قرطاجنة - بشدة .

## انفصال العلمانيين عن الأكليروس بعد مرسوم ميلان

بعد مرسوم ميلان في سنة ٣١٣ م وبنهاية الإضطهادات إنخفضت فرصة المعاناة من أجل الإيمان بالنسبة للعلمانيين والإكليروس علي السواء . أكد البعض أن هذا الظرف ، مقترنا مع السلطة المتزايدة للإكليروس ، كان سببا رئيسيا في جعل الكثيرين من العلمانيين يبحثون عن الإستشهاد الأبيض بالمعيشة في الأديرة . وكشف الآن الإكليروس بوضوح مركز العلمانيين في الوثيقة المعروفة " بالدساتير الرسولية ( ٢ : ١٦ ، ٢١ ) علي العلماني أن يكرم الراعي الصالح (الأسقف) ، ويحترمه كأب وسيد ورئيس ، كرئيس كهنة الله الأعظم وكقدوة في التقوي .. فمن يستمع إلي الأسقف يستمع إلي المسيح". وفي الكثير من الكنائس الجديدة ، أقيم فاصل من الحجارة بين المذبح وباقي الكنيسة والكاهن فقط مسموح له بالدخول إلي المذبح . وكان علي العلمانيين أن يجلسوا " بهدوء ولباقة " في أماكنهم .

## قيام العلمانيين بالأسرار المقدسة بشروط معينة

وما الإستثناءات من هذه السياسة سوي تأكيد لمقدار ما حدث من تغيير. ففي حالة الضرورة القصوي إن لم يوجد أحد من الإكليروس ، يمكن لأحد العلمانيين أن يقوم بفريضة العماد. وعندما كان فالينز الإمبراطور الأريوسي يضطهد مستقيمي العقيدة ( الأرثوذكس )، صرح باسيليوس أسقف قيصرية للعلمانيين أن يداوموا علي ممارسة العشاء الرباني في البيت ويتناولوه معا بأنفسهم . ويبدو أنه كانت هناك مناسبات كن يسمح فيها للعلمانيين أن يقوموا بخدمة الوعظ ، لأن " ليو " بابا روما في نصف القرن الخامس إضطر إلي أن يذكر الكنيسة بأن هذا أمر محظور .

## العلمانيون ينتخبون الأساقفة

إن أحد الحقوق الهامة المحفوظة للعلمانيين هو حق إنتخاب أساقفتهم . ويقال إن إنتخاب " كاسيليان CAESCILIAN " في قرطاجنة في سنة ٣١٢ م تم بالإقتراع من عامة الشعب كله وإشتملت رسالة مجمع نيقية ( سنة ٣٢٥ م ) علي اشتراط إنتخاب شعب الإسكندرية أساقفة خلفاء لمن ماتوا . وهذا يتوقف طبعاً علي تصديق الأسقف القائم بالإدارة أي المطران . في سنة ٣٧٤ م إنتخب أمبروسيوس AMBROSE أسقفا لميلان بأخذ أصوات الشعب كما نقرأ أيضا عن علمانيين كانوا حاضرين في بعض مجامع الكنيسة . مع أنهم ربما لم يكن لهم حق التصويت .

## شيوخ علمانيون للكنيسة

ورد في كنيسة شمال أفريقيا ذكر SENIORS (شيوخ الشعب) الذين إختيروا ممثلين للشعب . كانوا مكلفين بأعمال إدارية وتنظيمية إلي جانب حسابات أموال الكنيسة . ويوجد سجل في الكنيسة الدوناتية عن بعض " الشيوخ " الذين احتفظوا في

أوراقهم بشكوي ضد أسقفهم ويعزو بعض المؤرخين مصدر هذه الوظيفة إلى المجتمعات اليهودية كجماعات " قمران " حيث كانت الإدارة في أيدي ثلاثة كهنة وإثني عشر علمانيا .

## محامون علمانيون للتعاون مع الأساقفة

كما كان في الكنيسة الأفريقية أيضا "محامون" كان عليهم أن يعملوا بالتعاون مع الأساقفة علي منع ظلم الفقراء من الأغنياء. كذلك كانوا كمحاميين يدافعون عن الكنيسة في القضايا التي تمس مصالح الكنيسة. كما كانت هناك في كنيسة روما وظيفة مشابهة هي وظيفة المدافع أو المحامي وهذا كان يعمل مشرقا علمانياً علي الثروة الطائلة والعقارات الخاصة بكنيسة القديس بطرس في إيطاليا وصقلية وسردينيا وفي أماكن أخرى. وكانت واجباته تشمل الإشراف علي المستوطنين مستأجري الأرض، وعلي إدارة إغاثة الفقراء التي تمولها المعونات البابوية، كما كان يشغل أيضا وظيفة مستشار في مجالس الأساقفة. وبحلول القرن السادس اضطلع رجال الدين \* بمعظم هذه الوظائف .

## التقويم المسيحي

تحت حكم ثيودوسيوس صار التقويم الرسمي هو تقويم الكنيسة المسيحية وألغيت الأجازات الوثنية وصار الأحد هو يوم العطلة الرسمي القانوني وأصبح عيد الفصح القيامة من أهم أيام السنة، مسبقا بأربعين يوما للصوم الكبير. ثم يجري

---

\* المادة في هذا القسم مأخوذة من فصل من تأليف W.H.C. Frend , The Church of the Roman Empire ( 313 - 600 ) , pp. 57 - 58 in the book , The Layman in Christian History , editors Neill and Weber , WCC , Westminster , Philadelphia , 1963 .

الإحتفال به لمدة أسبوعين بعد اليوم نفسه. وكانت الكنيسة الشرقية في القرن الرابع تحتفل بميلاد المسيح وعماده ( عيد الغطاس الأبيفانيا ) معا في يومي ٥ و ٦ يناير ( ٧ يناير في مصر). ثم إنتقل عيد الغطاس فيما بعد إلي يوم ١٩ يناير كما يحتفل به اليوم. أما الكنيسة الغربية ، من الناحية الأخرى فإتخذت عيد الإله النوثني ساتورن (زحل) SATURNALIA ، يوم ٢٥ ديسمبر واحتفلت فيه بعيد المسيح ومن هنا جاء الفرق في التواريخ . (لأجل مقال مفيد عن تاريخ الميلاد ، أنظر ( الكنيسة الأولى أنظر ( CULLMAN , OSCAR , THE EARLY CHURCH P . 17 )

## ب - الأسرار المقدسة وحياة التكريس

### تطور الأفخارستيا

أصبحت عبادة الكنيسة أكثر تطوراً في هذه الحقبة وإذا كان فكر الناس عن الكنيسة أنها نفسها جسد المسيح السري ، فمت صور خدمة الليتورجية لتعضد هذه الفكرة " نظروا إلي الكنيسة كمجتمع أفخارستي تصان حياته بالمشاركة المستمرة والأمينة في الجسد والدم السريين الأقدسين للمسيح " ( ERIC G . JAY , THE CHURCH , ATLANTA 1978 John Knox P.8) كان المذبح داخل الكنيسة ، يزداد بعداً ويغطي أحيانا بستارة أصبحت فيما بعد حجاب الأيقونات في الكنائس الشرقية. وكما وصفه " يوحنا فم الذهب " Chrysostam " مائدة الرب ، مكان الرعب والقشعريرة ، يجب ألا تنظرها الأعين النجسة الشريرة " هذا هو السر الأعظم Mysterium Tremendum قدس الأقداس ، الحقيقة المركزية لحياة الكنيسة .\*

\* الكلمة " mass " المستخدمة الآن في الكنيسة الكاثوليكية الغربية بمعنى القداس، جاءت من اللاتينية " Ite missa est " ( أنتم معزولون ). هذا ما كان يقوله الكاهن بعد الجزء الأول من العبادة ليخرج كل الأعضاء غير المشتركين في العشاء الرباني أما قداسة سر الأفخارستيا فمحفوظة للمقبولين تماما في جسد المسيح .

للمقبولين تماما في جسد المسيح .

## المعمودية

وكان ثاني أهم سر مقدس هو بالطبع العماد وكان في العادة يتم للبالغين فقط أي للكبار. ولأنه أحيانا يقدم لطفل يتوقعون ألا يعيش طويلا. كان الكبار دائما ما يؤجلون العماد حتي اللحظات الأخيرة في حياتهم إعتقادا منهم أنه مع الفرصة المحدودة لإرتكاب العماد حتي اللحظات الأخيرة في حياتهم إعتقادا منهم أنه مع الفرصة المحدودة لإرتكاب الخطية يتأكد الخلاص (مثال ذلك كما نذكر هو قسطنطين). وكان الكهنة يفحصون بعناية فائقة المتقدمين للمعمودية ، ثم يثقفوهم بالمعرفة العقائدية الشاملة . وكانت المراسم تتم عادة في عيد القيامة . وأيضا في عيد الغطاس (الأبيفانيا) وعيد الميلاد. وكان في الكنائس أحواض تعميد كبيرة حيث يدخل فيها طالبوا العماد وليسكب عليهم الماء (لكن لا يتم تغطيسهم بالكامل). ثم يخرجونهم ويمسحونهم بالزيت ويلبسونهم أروبا بيضاء حتي يرحب بهم شعب الكنيسة ولكي يشتركوا في سر عشاء الرب .

## التوبة

كانت التوبة مطلبا آخر له أهمية فكان علي أعضاء الكنيسة الذين ارتكبوا أي تعد أو خطية أن يعترفوا بها علانية أمام شعب الكنيسة ويعقب ذلك فرصة طويلة للتوبة تمتد أحيانا لعدة سنوات ، يراقب خلالها التائب عن كذب . فإذا إقتنعت الكنيسة أخيرا بأنه تم توبته ، قبلته ثانية في إحتفال مصالحة مهيب في يوم الخميس من الأسبوع المقدس (السابق لعيد القيامة) .



## صحة الأسرار المقدسة وقداسة الكنيسة الحقيقية

في هذه الفترة تم توضيح طبيعة الكنيسة الحقيقية كما تم فهم وإستيعاب الأسرار المقدسة . قال " أوبتاتوس OPTATUS " : في حجته ضد " الدوناتيين "

١ - تستمد أسرار الكنيسة المقدسة صحتها وصلاحياتها - ليس من القائم بها - لكن من الله ، فإن الخادم الحقيقي لكل الأسرار المقدسة هو يسوع المسيح ( ولكي يبرهن علي وجهة نظره أعلن إستعداداه لقبول السر المقدس علي يد أحد الدوناتيين).

٢ - تعتمد قداسة الكنيسة - ليس علي الأخلاق الأدبية لأعضائها - بل علي هبات الله وعطاياه لها : قانون الإيمان ، الأسفار المقدسة ، الأسرار المقدسة ، كرسي البطريرك.

٣ - علامات الكنيسة الحقيقية هي أنها جامعة \* وواحدة وبما أن الدوناتيين لم يظهروا هذه الصفات ولذلك فإدعاؤهم أنهم هم الكنيسة الحقيقية باطل . De SCHISM, DONAT , I , 10 , II , 2, VII , 3 QUOTED BY JAY , THE CHURCH P . 82) .

## حياة التكريس السرية

بتشجيع من الحركة الرهبانية ، ظهر التأكيد علي الحياة التكريسية الخاصة . وقد تميزت ممارسات التقوي والتكريس عند المسيحيين في هذه الفترة ، وتقديم الصدقات وحرمان الإنسان نفسه من مباهج العالم ، بل ويقال إن الناس كانوا يتخلون عن الترف الروماني في أخذ حمام ساخن . ولكي ينزلوا تماما ، كان الناس في أحيان كثيرة يدخلون الأديرة ويتبعون نفس حياة التقشف كما يحياها الرهبان .

---

\* كلمة كاثوليكية معناها في الأصل شاملة أو جامعة .

## تكريم القديسين والشهداء

إن ممارسة تكريم القديسين والشهداء أمر إنتشر كثيرا في هذه الفترة . فكان أفراد الشعب يزورون مقابر الشهداء و يقيمون هناك وليمة Refrigerium (حفلة مرطبات لأرواح الموتى) وكان هذا في الواقع تطبيقا لعادة وثنية ، وكثيرا ما انتقدها آباء الكنيسة وأنشأوا بدلا منها الإحتفال بالأفخارستيا في تذكار نياحة القديسين. وكان هذا بالطبع منشأ " أعياد القديسين الكثيرة التي تُحتفل بها في الكنائس القبطية والأرثوذكسية والكاثوليكية إلي يومنا هذا . وقد حاول الناس أن يُدفنوا بالقرب من الشهداء ، لأنه من المنتظر أن يتشفعوا لهم في يوم الدينونة. كما شيدت الكنائس فوق أو بالقرب من مقابر الشهداء . كما كان الناس يبحثون عن رفات الشهداء ، ويجمعونها ويحفظونها مع عظام القديسين وبقايا ملابسهم والمسامير وأجزاء من الصليب. وكانت أجزاء من الرفات تنقل إلي الكنائس التي ليس بها رفات قديسين وشهداء . ولن ينسي أقباط مصر نقل رفات القديس مرقس في القرن التاسع إلي مدينة البندقية ، ثم رجوعها في سنة ١٩٦٨ . يقال إن رفات يوحنا المعمدان قد نقلت من الأراضي المقدسة إلي ايطاليا ، ثم الي فرنسا ، وأخيرا إلي الإسكندرية .

## زيارة الأماكن المقدسة

أصبح الحج إلي المواقع المقدسة خصوصا إلي الأرض المقدسة منتشرا جدا. كما كانت مصر أيضا مكانا مألوفا للحج ، ليس فقط إلي مزارات الشهداء ، لكن أيضا للتشاور مع القديسين الأحياء في الصحراء وتلقي البركة منهم. ومع أن القديس أنطونيوس لم يشجع هذه الفكرة ، إلا أن كثيرين من الحجاج زاروه في حياته . ومن بين أشهر الشهداء : القديس مينا في مريوط غرب الإسكندرية . وطبقا للقصة التي تروي

للزائرين اليوم\*. كان مينا جنديا مسيحيا في الجيش الروماني. فلما رفض أن ينكر إيمانه أثناء اضطهادات دقلديانوس Diocletean قطعوا رأسه. فوضع أصدقاؤه وأسرته الجسد علي جمل ورحلوا إلي الصحراء لدفنه. فوصل الجمل إلي نقطة معينة ورفض السير أبعد منها، ولذلك دفنوا القديس هناك. في وقت لاحق حفرت هناك آبار عظيمة أخرجت ماء عذبا. كان الحجاج من أوروبا يزورون الموقع ويأخذون معهم عينات من الماء في أنابيب صغيرة جدا وعليها صورة جملين. وقد تم إكتشاف بعض هذه الأمبولات في أماكن متفرقة بعيدة في السودان وألمانيا وفرنسا. في وقت لاحق بني الإمبراطور أركاديوس Arcadius (سنة ٣٩٥ - ٤٠٨م) كاتدرائية فوق الموقع، مازالت أطلالها باقية يشاهدها الزائر. و"مارمينا" اليوم موقع مألوف يحج إليه المصريون. وهناك دير يتسم بالنشاط حيث أقيمت كاتدرائية حديثة صارت مقر الراحة الأخيرة للبابا كيرلس السادس الذي توفي في مارس سنة ١٩٧١ .

## ج - الأخلاق المسيحية

### المسيحية تهذب الأخلاق في الإمبراطورية

عندما تطلع المؤرخون وراء ممارسات الكنيسة المباشرة ، لاحظوا تأثير الأخلاق المسيحية علي المجتمع الأكبر. فلقد أدخلت الكنيسة مفهوم الشخص الفرد كمن له قيمة خالدة وكموضوع محبة الله الرحيم. كلمات المبشرين المسيحيين ضد الرياضة الدموية في الملاعب وضد التعذيب، والمناداة بالعناية بالفقراء إنما كانت بمثابة الرسائل المسموعة

---

\* رواية أخرى عن القديس مينا تختلف بعض الشيء تذكرها " إيريس حبيب المصري ، في كتابها

" قصة الأقباط ، ص . ٨٤ ، Note also Meinardus , The Story of the Copts , p . 84

Monks and Monasteries of the Egyptian Desert , p . 351 وأديرة الصحراء المصرية.

في مراكز القوة . بموجب أوامر الإمبراطور أصبحت معارك المصارعين الدموية المميتة محظورة - وصار وأد الأطفال جريمة ، ووصلت المعاملة الإنسانية إلي داخل السجون وصار ترك السجن يموت من الإهمال يعتبر ذنبا ، كما أصدر أمر بوجوب إستحمام المسجونين إسبوعيا ، بصرف النظر عن جرائمهم .

## العطف المسيحي علي المرضى والجياع

فضلا عن ذلك فإن الكنيسة نفسها كانت نشطة في أعمال الرحمة . وقد لاحظنا المشاريع المختلفة لباسيليوس أسقف قيصرية أما كنيسة الإسكندرية فإستخدمت "خمسمائة ممرض " للعناية بالمرضى . وقد أسست سيدة رومانية تدعي فابيولا أول مستشفى في تلك المدينة . ويخبرنا جيروم أن أحد أعضاء مجلس الشيوخ الروماني تأثر بحالة الشعب لدرجة أنه استضاف كل فقراء روما فدعاهم إلي وليمة في كنيسة القديس بطرس حيث ملأوا البازيليكا (الكنيسة) العظيمة ، والمدخل والفناء الخارجي . وواضح أن الطعام كان كافيا . ومع أن الإمبراطورية كانت تعيش آخر سنواتها المخزية ، إلا أن ضمير الكنيسة وعطفها ومحبتها إستبقت الإهتمام البسيط برخاء الإنسان . وقد إستمر الكثير من الأعمال البربرية الهمجية القديمة ، لكن الكنيسة كخميرة مصلحة حولت حياة الكثيرين من الأنانية إلي الخدمة .

## د - الكنيسة والبريسكليانيون

The Priscillians

## تصرف الكنيسة مع البريسكليانيين

يجب أن نعود الآن إلي جوانب معينة من حياة الكنيسة أقل إبهارا . وبإديء ذي

بدء نلاحظ الصعوبات المستمرة مع الأريوسيين والدوناتيين . وكانت العقيدة الأريوسية في إنحدار بعد مجمع القسطنطينية (سنة ٣٨١ - ٣٨٢ م) ولو أنها بقيت قوية بين بعض البربر المتنصرين في أوروبا، أما الدوناتيون فكانوا معزولين إلى حد ما في شمال إفريقيا. وهناك حالة قهر وحشية لفئة منفصلة في أسبانيا معروفة بالبريسكليانيين. كان "برسكليان" سنة ٣٧٠ م أسقفا مشرفا علي جماعة داخل الكنيسة ،مارست تدريبات التقشف المتطرف ، وقد أتهموا بالسحر وإعتناق العقيدة المانوية Manichaeism (أنظر المجلد الثاني) وحوكموا أمام محكمة إحدى الكنائس التي يرأسها أسقف غير جدير بالمسئولية يدعي إيثاكيوس Ithacius . أخيرا حولت القضية الي السلطة المدنية . ولما كان الإمبراطور مكسيموس الذي جاء إلي الحكم في الغرب حديثا قليل المعرفة ، وأقل إهتماما ، أمر بقطع رأس بريسكليان وستة من أتباعه من بينهم امرأة . وكانت هذه هي الحالة الأولى لسفك الدم بواسطة حاكم مسيحي ، بسبب عقيدة هرطوقية . لكن البريسكليانيين عاشوا وإستمروا ككنيسة منشقة منفصلة Schismatic حتي القرن السادس الميلادي .

## عدم التسامح مع الهرطقة

إستاء آباء الكنيسة عامة من الإجراءات العنيفة المتطرفة التي أتخذت ضد البريسكليانيين ،وقد حاول مارتن Martin أسقف تورز Tors إنقاذهم من عقوبة الموت . وبينما ندد أمبروسيوس Ambrose أسقف ميلان ، بطبيعة العقوبة، فإنه لم يتعاطف كثيرا معهم . وإتفق آخرون علي أن الهرطقة استحققت القليل من التسامح ،ولا تستحق الإنصاف. لم يوافق ذهبي الفم Chrysostom علي أحكام الموت بل فضل مصادرة كنائس الهرطقة ومنع إجتماعاتهم وقد حذب جيروم أيضا هذا الرأي ، وعندما تكلم أوغسطينوس عن الدوناتيين قال إنه " عند الفشل في إقناعهم ، فإن الكثيرين ينبغي أن يُردوا إلي سيدهم وربهم بقضيب من الألم المؤقت مثل العبيد الأشرار .



## هـ - الكنيسة واليهود

### التسامح المبكر مع اليهود

بعد أن أصبحت الإمبراطورية تدين بالمسيحية ، كان هناك تغيير هام في مكانة ومركز اليهود، ففي العالم اليوناني الروماني قبل المسيحية كان هناك تيار ضد السامية. لكن هذا كان بالأكثر تيارا إجتماعيا وثقافيا لأن اليهود أنفسهم إنعزلوا رافضين تمثيل الثقافة من حولهم وإستيعابها. لكنهم تمتعوا بالعدالة والقوانين التي وفرت لهم الحماية. بل حتي الكنيسة في القرن الثاني كانت تكن لهم الإحترام. وتحدث ترتليانوس عن اليهودية قائلا : " تلك الديانة الأشهر والتي كانت بالتأكيد ديانة شرعية". ( Apologeticum 1 : 21 : 1 ) .

### قسطنطين يحتقر اليهود

ولكن في القرن الرابع وبتأثير من الحجج اللاهوتية للكنيسة إتخذت معاداة السامية مسلكا أكثر قسوة . وقد انسحبت هذه السمة علي الإمبراطورية ، فقد كتب الإمبراطور قسطنطين هجوما مريرا ضدهم " القوم ...الذين أفسدوا أرواحهم .. العميان .. عن إستحقاق .. أكثر الشعوب عدا ، اليهود ...من السخف منهم أن يتباهوا بأننا ، بدون تعليمهم ، غير قادرين علي حفظ هذه الأمور بطريقة صحيحة (أي الفصح / القيامة) بعد جريمة قتل سيدهم ، مجردين من مشاعرهم .. إلخ" ( Socrates , Historica Ecclesiastica 1 : 9 : 5 ) وأيضا ، " هذه إرادتنا ، ليكون معلوما لدي اليهود .. أنه إذا تجاسر أي واحد بعد صدور هذا القانون علي أن يهاجم بالحجارة أو بأي شيء آخر جنوني .. شخصا يهجر طائفتهم المتطرفة المميتة ويحول إنتباهه إلي عبادة الله ، يجب تسليمه فورا إلي آتون النار . ( Codex Theodosianus , 16 : 8 ) .

## قوانين ثيودوسيوس لصالح اليهود

أصدر ثيودوسيوس في سنة ٣٩٣ م مرسوما منح بموجبه بعض الحقوق المحدودة لليهود ، فقد منحوا حق الإجتماع وحماية أملاكهم وأشخاصهم من معاكسات الدهماء المسيحيين. من الناحية الأخرى تم إقصاؤهم من العمل في وظائف البلاط الإمبراطوري. وكان محظورا عليهم بناء مجامع جديدة ، ولو أنه سمح لهم بالإحتفاظ بالمجامع القديمة القائمة كما كان محظورا عليهم الزواج من نساء مسيحيات أو إحتجاز وشراء عبيد مسيحيين . هناك أيضا قوانين منعت اليهود والمسيحيين من مصادقة بعضهم البعض. وكان محظورا علي المسيحيين أن يدخلوا أي مجمع يهودي أو يصوموا مع اليهود أو يحتفلوا بأعيادهم .

## التعصب المسيحي ضد اليهود

حدث نزاع هام بين الكنيسة والدولة لما أمر ثيودوسيوس الأسقف أمبروسيوس Ambrose أن يعيد بناء مجمع يهودي محترق إذ أجاب أمبروسيوس غاضبا : " لماذا أيها ( الإمبراطور) تشجع بناء مكان الكفر " بيت الإلحاد ، مأوي الجنون ، الملعون من الله ذاته ؟ سوف يحسب اليهود هذا اليوم بين أعيادهم الكبرى ، ويذكرونه لأعوام قادمة . من واجب الإمبراطور أن يقرر ما إذا كان مع المسيحية أو اليهودية " ( Epistle ) ( 14 : 26 : 40 وفي الإسكندرية حيث يوجد عدد كبير من اليهود ، تم نفي الأسقف كيرلس Cyril بسبب فتنة شعبية . كما أن ذهبي الفم لم يدخر كلمة ضدهم لم يقلها " ليس في اليهود من يعبد الله . فإن مجمع اليهودي مسكن للشيطان وعبادة الأوثان. " بلاشك أن الكثير من التصرفات التي تميز العداء الحديث ضد السامية قد إنتقل إلي تقليد أوروبا الغربية عن طريق الكنيسة .

## المسيحيون يتبعون العادات اليهودية

من جهة أخرى مارس كثير من الناس عادات يهودية لجلب الحظ أو للشفاء أو للنجاح في العمل . فحملوا الأحجة والتعاويذ ورددوا عبارات محفوظة وحضروا المجمع لحلف اليمين ، وراعوا الأصوام ، واحتفلوا بالأعياد . وكانوا يستدعون أحد الربيين (المعلمين اليهود) ليصلي مباركاً حقولهم ويستنجدون بالأطباء اليهود .. إلخ . كل هذا ، بلاشك ، كان يجري ، ليس عن إقتناع بأن اليهودية ، كانت الديانة الحقيقية الصحيحة بل بالحري قام المسيحيون - تأثراً بتعدد الأديان لدى الأوثان وبنجاح اليهود - بتقليد الكثير من عاداتهم . واعتقدوا أنه كلما تعدد الآلهة كان ذلك أفضل \* .

## و - الكنيسة والوثنية

### جراتيان يرفض الرموز الوثنية

بعد مجمع القسطنطينية وقوانين ثيودوسيوس التي رُسخت المسيحية كالديانة الوحيدة للإمبراطورية ، سرعان ما أحست الوثنية بثقل التحامل والضغط عليها بل حتي قبل ذلك ، تنازل الإمبراطور جراتيان عن لقب الحبر الأعظم Pontifex Maximus (وهو لقب يمنح للإمبراطور كرئيس كهنة الدين الرسمي للدولة) . ورفض الرداء الكهنوتي المهدي له من مجلس الشيوخ الروماني . كما أزال التمثال الوثني ومذبح النصر من قاعة المجلس .

---

\* معظم مادة هذا الفصل عن اليهودية مأخوذة من فصل في كتاب : أثر الكنيسة علي الحضارة المسيحية واليهودية في القرنين الرابع والخامس " The Impact of the Church upon its Culture , Chicago , 1968 . The Chapter is by Robert L . Wilken , Insignissima Religio , Certe Licita , Christianity and Judaism in the 4th and 5th Centuries , pp . 39 - 66 .

## المسيحيون يتخذون خطوات ضد الوثنية

وقد شعر المسيحيون أنفسهم الآن بالجرأة علي ما اجمت وإقتحام مزارات ومعابد الوثنيين واكتشف ثيوفيلوس أسقف الإسكندرية مخلفان وثنية أثرية عند حفر أساسات كنيسة جديدة . فعرضها في سخرية وإستهزاء في شوارع المدينة وبينما كان مارسيللوس أسقف سوريا يحض شعبه علي هدم معبد وثني ، أمسك به الوثنيون وقتلوه . وقد إشتهر مارتن أسقف تورز Tours بهجومه علي المراكز الوثنية ، وتأسيس كنائس مسيحية جديدة في مكان تلك المراكز الوثنية . كانوا في كل مكان يحطمون تماثيل الآلهة ، ويقطعون الأشجار المقدسة ، ويحرقون المعابد والمقدسات ، ثم يشيّدون كنيسة ، ويدشّنون مذبحاً هناك ويشرعون في تعميد جماهير الشعب ( من كتاب " حياة القديسين يوليوس ويوليانه من أورتا . From the Life of saint Juluis & Juliana of Orta وفي آسيا الصغري كان "جوناثان Jonas " الراهب نشيطاً بنفس الطريقة . " فما أن يسمع أن شجرة ما أو أي شيء آخر كان موضع عبادة الناس ، يذهب مع تلاميذه ويقطعها ويحرقها ، وهكذا أصبح الناس بالتدريج مسيحيين " حياة القديس هيباتيوس من روفينياني " ( Life of ST . Hypatius of Rufiniana P. 103 )

## تحويل المعابد إلي كنائس

تم تحويل العديد من الهياكل الفرعونية في مصر إلي كنائس وما تزال آثار الفن المسيحي قائمة علي بعض الأسوار والأعمدة . كما تحول الدهليز الذي يصل إلي بهو الأعمدة في معبد الأقصر إلي كنيسة في القرن الرابع الميلادي .

## مهاجمة المسيحيين في الإسكندرية للسرايوم

ومن أبرز الأحداث من هذا النوع ما حدث في الإسكندرية في سنة ٣٩١ م ، حيث جرت معارك ضارية بين الوثنيين والمسيحيين . وقد تحصن الوثنيون في السرايوم،المعبد المقام للإله " سيرابيس Serapis " الذي كانوا يعتقدون أنه كان يضبط إرتفاع النيل وإنخفاضه . ولما كان المسيحيون مزودين بمرسوم إمبراطوري ويدعمهم الجيش الروماني ، فلقد إستطاعوا أخيرا أن يحتلوا المعبد العظيم . وأوقفوا أمامهم التمثال الخشبي للإله ، وأمر الأسقف ثيوفيلوس أحد الجنود أن يفصل رأسه . ولما نفذ الأمر إنطلق من جوف التمثال حشد من الفران.وإكتشفوا في المعبد حيلة مختلفة كان كهنة الأوثان يستخدمونها لجعلوا الناس يعتقدون أنهم يسمعون صوت الإله .أما التمثال فحطموه تماما وأحرقوه ، وأما الرأس المفصول فحملوه وداروا به حول المدينة . وقد وجد حتي بين المسيحيين من إنزعج خوفا من أن لا يرتفع النيل في تلك السنة .لكن الأسقف ثيوفينوس أجابهم بالقول " أن تبقي مصر بدون ري أفضل من أن يرتفع النيل بالسحر والشعوذة " . والحقيقة أن السجلات تبين أن مقياس إرتفاع النهر في تلك السنة كان أعلي من أي وقت مضى .

## شكوي ليبانوس إلي ثيودوسيوس

لم تكن الوثنية بدون مدافعين . أحد هؤلاء ، ويدعي ليبانوس Libanus كتب إلي ثيودوسيوس في سنة ٣٩٠ م يقول : " أنت لم تأمر بغلق المعابد ، لكن الرجال ذوي الثياب السود(الرهبان) ، (يأكلون كالأفيال ويشغلون العبيد بمشروباتهم ) يهاجمون المعابد بالحجارة والفؤوس ، والعتلات ، وحتى بأيديهم وأقدامهم. ثم يدقون السقف ويسوون الحوائط بالأرض . ويحطمون التماثيل ويهدمون المذابح فلا بد أن يتعذب كهنة المعبد في صمت أو يموتون . هذه الإنتهاكات تحدث في المدن وأسوأ منها في الريف " .



## الوثنية تتشبث بالبقاء

بالرغم من كل الخطوات التي أتخذت ضد الوثنية فقد إستمرت تحيا بعدة طرق مختلفة .فالبسطاء في الريف ، حتي بعد ما صاروا مسيحيين كانوا مترددين في التخلي عن الآلهة القديمة . كذلك فإن الوثنية احتفظت بضغطة علي الأرستقراطيين بالمدينة بسبب إرتباطها بالثقافة الكلاسيكية القديمة التقليدية .

## ز - الثقافة والترف في الكنيسة

### البابا داماسوس والثقافة المسيحية الجديدة

يمكن أن نري في حكم داماسوس بابا روما من سنة ٣٦٦ م إلي سنة ٣٨٤ م ، الوعد بكنيسة الدولة كما كان يجب أن تكون . فقد فعل الكثير لإقامة جسر فوق الثغرة بين الثقافة الكلاسيكية والمسيحية ، جاذباً الكثيرين من ذوي الثقافة العالية إلي داخل الكنيسة .وقد نجح داماسوس في تقديم المسيحية كالديانة الحقيقية القديمة للإمبراطورية. وبرغم توجيه النقد إليه لصلته الحميمة بالعائلات الكبرى ، فإنه كان يؤمن أن مستقبل الكنيسة يكمن في إتحادها بالثقافة الإمبراطورية ، وبتشجيع منه أصبح الأغنياء أنصارا للكنيسة. وقد رمم داماسوس مقابر الموتى كأماكن زيارة يحج إليها الناس .كما بني حجرة المعمودية في كنيسة القديس بطرس وأسس إحتفالا سنويا كبيرا لتكريم القديسين بطرس وبولس .إن الكنيسة في عمارتها وآدابها ، وخدمات الليتورجيا المتقنة فيها ، وثياب الإكليروس الفاخرة ، كانت تتحرك بوضوح نحو عظمة وفخامة العصور الوسطي .

## سيادة بابا روما

كذلك دعم داماسوس مركز البابا بالنسبة للدولة وبقية الكنيسة . فلم يعد البابا مضطرا للمثول أمام المحكمة . وفي سنة ٣٧٨ م عند إنعقاد المجلس الروماني ، ثبت داماسوس حق بابا روما في الإستماع إلي إستئناف أي أسقف ضد مطرانه في أي كنيسة . وأمكنه أيضا المطالبة بحق معاونة السلطة المدنية معه في تنفيذ أي حكم بابوي ضد أحد الأساقفة . في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ - ٣٨٢ م أعلنت الرئاسة العليا لروما فوق جميع الكنائس الأخرى ، ولو أن الكنائس الشرقية لم تعترف بها .

### التبذير والترف في الكنيسة

ظهرت حياة التبذير وتعظم المعيشة في الكنيسة ، وكان هذا موضع الإستنكار الشديد . وجيروم الذي كان سكرتيرا لداماسوس أخذ يكتب في وقت لاحق : " الكهنة الذين ينجحون في الوصول إلي بيوت الأرستقراطيين ويخدعون النساء الغريات . الذين يسعون للرئاسة لمجرد أن يشاهدوا النساء بحرية أكثر . لا يفكرون في شيء سوى ملابسهم ، يتعطرون ويصقلون أحذيتهم ، يجعلون شعورهم ، وتلمع أصابعهم بالخواتم . . . إنهم عرسان أكثر منهم إكليروس " . داماسوس نفسه كان معروفا بأنه " الرجل الذي دغدغ آذان السيدات " .

### رسامة الأثرياء بسهولة

كما لاحظ جيروم السهولة التي يتمكن بها الأغنياء من دخول الخدمة " من كان بالأمس طالبا تحت التمرين ، هو اليوم أسقف . وآخر ينتقل أثناء الليل من مدرج الملهي إلي الكنيسة . وإنسان قضى الليل في السيرك يقف أمام المذبح في صباح اليوم التالي ، وآخر كان من وقت قريب من أنصار المسارح هو الآن مكرس العذاري في الكنيسة والمهتم برعايتهم " .

## نقد الكتاب الوثنيين للمسيحية

أسرع الكتاب الوثنيون في ملاحظة التناقضات في حياة الكنيسة. فقد حاول "أميانوس Ammianus" ، المؤرخ الوثني ، أن يكون منصفاً مع المسيحية لكنه صدم لما علم أن ١٣٧ جثة وجدت في كنيسة مسيحية بعد المعركة الانتخابية بين الشخصين المتنازعين علي البابوية ، داماسوس ويورسينوس . كما كتب أن أساقفة روما : "لا يشكون من متاعب مالية . يفتنون من تقدمات النساء المتزوجات ، يركبون العربات ، ويلبسون أفخر الثياب ، ويتبذخون في الأعياد - ولا تمهم أفخم من ولائم الملوك . لكن كانوا يمكنهم أن يصيروا سعداء.. لو أنهم عاشوا مثل أساقفة الأقاليم والريف ، زاهدين الطعام والشراب ، بسطاء الملبس والثياب ، وعيونهم إلي الأرض - معلنين أنفسهم أطهاراً ومقدمين الوقار للإله الأبدي ولعباده الصادقين الحقيقيين " .

## نقد غريغوريوس للترف في الكنيسة

من أقوى الإدانات علي الأحوال في الكنيسة ، تلك التي قدمها غريغوريوس النازينزي عندما استقال من منصبه كأسقف القسطنطينية : " لم أكن أدري أننا يجب أن ننافس القناصل والحكام ، والقادة المشهورين ، أو أن بطوننا كان يجب أن تشتهي طعام الفقراء ، وننفق ضرورياتهم علي التنعم ، ونتجشأ فوق المذابح . لم أكن أعلم أنه يلزم أن نمتطي الخيول الجميلة ، ونسافر في عربات فاخرة ، بالمواكب أمامنا ، والكل يهتف ويفسح لنا الطريق كما لو كنا حيوانات برية . وإنني لآسف لهذا الحرمان وعلي الأقل لقد انتهت هذه الأمور (بالنسبة لي) . سامحوني علي أخطائي واختاروا لكم آخر يرضي الأغلبية " .

## ح - الكنيسة والإمبراطورية

### الإمبراطورية المقدسة والإمبراطور المقدس

يجب أن نختم هذا الفصل الآن ببعض الملاحظات عن تأثير هذه الفترة على الإمبراطورية . فمنذ نبذ الإمبراطور جراتيان لقب الحبر الأعظم Pontifex Maximus لم يعد أحد يعبد الإمبراطور كما في الأيام القديمة . ومع ذلك كانت المملكة مقدسة من عدة جوانب وبصفة خاصة تحت حكم ثيودوسيوس . فكان الحاكم وقصره مقدسين. وكانت روما تدعى " المدينة المقدسة " ، وكانت الولايم الملكية تعرف " بأعياد الآلهة " . وكان إمتيازاً أن يمس الناس " الثوب الأرجواني المقدس " من أرواب الأباطرة " هائمين بصفائه " كما يقولون . وكان الناس يدعون للسجود أمام الصور الشخصية للأباطرة السابقين في قاعات القصر وكان إهمال " القوانين الإلهية " للإمبراطورية أو عصيانها يعتبر تدنيساً للمقدسات ، ومن يخدع الإمبراطور فقد خدع الله . وكان الوزراء الذين يعينهم الإمبراطور فوق النقد والمساءلة كما كان قبول الوظيفة العامة يعتبر نوعاً من الرسامة وكانت الخدمة العامة أمانة مقدسة .

### الإمبراطورية "المسيحية"

لقد توقع كل الأباطرة " المسيحيين " من قسطنطين ومن بعده أن تؤدي المسيحية نفس المهام والوظائف الإجتماعية الإقتصادية التي كانت تؤديها الوثنية . وقد كان هذا الموقف أكثر وضوحاً لدي ثيودوسيوس ، وكما يقول كوكران : " تفصح معتقدات ثيودوسيوس خلطاً مميّتا في الأفكار " . لأنه لكي تصور الإيمان كمبدأ سياسي ، لم يكن في أكثره تحويلاً للمدنية إلى المسيحية بقدر ما كان " تمديناً " للمسيحية . ولم تكن تقديساً وتكريساً لشرائع ودساتير الإنسان لخدمة الله لكن بالأحرى ليطابقوا الله مع تأييد دساتير الإنسان . وبسرعة طرحت الإمبراطورية زخارف الدنيا لتتخذ لنفسها

زخارف المسيحية ، لكنها ظلت في أعماقها وثنية بعمق ، وإلي ذلك الحد ، تحولت فقط إلي "قبر مبيض " . (Cochrane , C. N. Christianity and Classical Culture P. 35). وبالطبع كانت توقعات الكنيسة عكس ذلك تماما وفي النزاع الناشئ أعدت الحلبة لألف سنة من التوتر ، علاوة علي ذلك فإنه بوضع هذه المسألة في البؤرة بينهما ، عجلت الكنيسة والدولة معا من سقوط وتدهور العالم القديم .

## أقول نجم الإمبراطورية

بنهاية القرن الرابع كان نجم الإمبراطورية يسير حثيثا نحو الأفول. فمع الغارات المتزايدة من القبائل البربرية القادمة من الشمال ، والإنقسامات السياسية داخل الإمبراطورية ، والفساد الأخلاقي للمجتمع الروماني ، كان الإنهيار النهائي مؤكدا . وقد قدم لنا غريغوريوس النازينزي في خطابه الرابع عشر لمحة عن الترف الفاسد للمجتمع الأرستقراطي " نحن نستريح في أبهة علي وسائد فخمة نفيسة فوق أثمان الأغذية التي غالبا ما يخشي المرء لمسها ، ونغتاظ لمجرد سماعنا صوت فقير ينوح . ويجب أن نستنشق رائحة الزهور من حجراتنا ، وأن تفيض موائدنا بأذكي وأثمان الأطياب ، كما ينبغي أن يقف العبيد متأهبين في أحسن زينة... بشعور تتموج كشعور العذاري ، بعضهم لحمل الكؤوس بأطراف أصابعهم متأنقين ثابتين ، وآخرون لدفع الهواء بالمراوح فوق الرؤوس . مائدتنا يجب أن تنثني تحت ثقل الأطباق ، بينما كل عوالم الطبيعة ، الهواء والماء والأرض تسهم إسهاما وفيرا بعطايا ثمينة .. الإنسان الفقير راض بالماء ، أما نحن فنملاً كؤوسنا بالنبذ حتي الثمالة ، نعم وأكثر من ذلك بلا حدود" . في كتاب من تأليف ميلمان " تاريخ المسيحية القديمة " In Milman`s History of Ancient Christianity P . 440 نقرأ أن "أذني الإمبراطور ، كانتا محملتين بأقراط من ذهب ، وأن ذراعيه كانتا مثقلتين بأساور ذهبية، وأن رداءه الأرجواني كان موشي بالأحجار الكريمة " . وعند عودة الإمبراطور إلي القصر بعد جولة



بالعربة حول المدينة " كان يمشي علي ذهب ، وكانت مجموعة من الحاضرين تنثر تبر الذهب حتي أنه نادرا ما وطأت قدماه أرضا مكشوفة " .

## سقوط روما نهائيا

وبنهاية القرن الرابع كانت الجيوش الإمبراطورية تتقهقر علي كل جبهة، أمام الهجمات الشرسة من الوثنيين القوطيين والهنونيين Huns . و إذ أحس الجندي الروماني بتدهور حضارته الرومانية لم يعد محاربا لا يهزم . وقد وصف جيروم هذا الموقف سنة ٣٩٦ م وهو حزين ، قائلا : " ( Epistle 60 : 16 ) " إن العقل يسرح متأملا خراب وقتنا الحاضر . ففي العشرين سنة السابقة تخضبت الأرض بين القسطنطينية وجبال جولييان العالية ( الألب ) بدماء الرومان حيث نشرت قبائل وحشية لا حصر لها الدمار والموت . وصارت أجساد الأحرار والنبلاء ، والسيدات والعذارى ، جميعا فريسة للشهوة . وأودع الأساقفة في السجون ونهبت الكنائس ، وربطت الخيول عند مذابح المسيح . وقذفت عظام الشهداء خارج الأكفان .. حزن في كل مكان .. عويل في كل مكان ، شبح الموت في كل مكان " . ولما إستولي الأريك Alaric القوطي في سنة ٤١٠ م علي المدينة الخالدة " روما " ، كتب جيروم ثانية الرسالة ( Epistle 127 : 12 and 128 : 4 ) " المدينة التي أسرت العالم كله صارت هي نفسها في الأسر . نور الكون اللامع إنطفأ . الإمبراطورية فقدت رأسها . العالم كله هلك في مدينة واحدة " .

## **Recommended English Readings**

- 1 - Duchesne , Louis -**The Early History of the Church** , vol ,11 , pp . 496 - 526 .
- 2 - Jackson , F. J. F.**A History of hte Christian Church to A.D 461** , pp. 404 - 422 , 567 - 585 .
- 3 - Leitzmann , Hans -**A History of the Early Church** , vol . 111 , 288 -328, vol , 1V. 97- 123
- 4 - Marrou , Henri - **The Christian Centuries** , vol 1, pp . 291 - 300 , 309 - 328 .

# ٦ - القبائل البربرية والكنيسة المسيحية

## القبائل البربرية علي حدود الإمبراطورية

سبق أن ذكرنا وجود قبائل بربرية علي حدود الإمبراطورية . وقد عرفت عموما بأنها قبائل جرمانية ، لكن القبائل لها أسماء منفردة مثل "Franks" الفرنجة " = " Huns = الهونن " ، " Lombards = اللومبارد " ، " Vandals = الفاندال " .. إلخ . كانوا يقيمون في منطقة هي اليوم علي إمتداد أوروبا من أسبانيا إلي روسيا . وكانت الجماعة الأكثر إنتشارا في القرن الثاني هي قبيلة القوطيين . وكانوا مقسمين بين القوط الغربيين Visigoths في الغرب ، والقوط الشرقيين Ostrogoths في الشرق. وضغطوا علي الحدود الشمالية للإمبراطورية علي إمتداد ضفاف نهري الدانوب والراين . قيل في وقت ما ، أن أكثر من مائتي ألف جندي من الجيش الروماني تم تعبئتهم للدفاع عن هذه الحدود .

## علاقات سلمية مع القوطيين

ومع ذلك فقد أتاحت فرص كثيرة للعلاقات السلمية الطيبة مع القوط . فقد سمح لبعض الفرق الأقل ميلا إلي الحرب أن تستقر في نطاق حدود الإمبراطورية . كان في الجيش الروماني جنود قوطيون وصل بعضهم إلي أعلي الرتب العسكرية وقد غزا التجار الرومان المنطقة القوطية . وقد إنجذب الكثير من القوطيين إلي الثقافة الرومانية وامتصتهم المجتمعات الرومانية .

## التأثير المسيحي علي القوطيين

بحلول القرن الثالث كان للمسيحية تأثيرها علي القوطيين ولسنا متأكدين كيف حدث هذا . لكن لعله حدث بسهولة عن طريق الجنود والتجار . ويحتمل أن أسري الحرب المسيحيين الذين أصبحوا عبيدا في بيوت القوطيين كانت لهم فرصة التبشير بالإنجيل . وبحلول القرن الرابع صار عدد كبير من القوطيين مسيحيين ، ولو أن

الأغلبية العظمي منهم كانوا أريوسيين . كان هناك أسقف قوطي هو ثيوفيلوس Theophilus من بين المندوبين في مجمع نيقية .

أ - أوليفلاس Ulfilas

حياة أوليفلاس المبكرة

أشهر إسم في الكنيسة القوطية هو " أوليفلاس " ( معناه " الذئب الصغير " ) - سنة ٣١١ - ٣٨٣ م . وكان جدّ أوليفلاس مسيحيا أخذ القوط أسيرا أثناء غارة علي آسيا الصغري ، كما كان أبواه مسيحيين ، يتكلمان اللغة القوطية ، لكن أوليفلاس نال قسطا وافرا من التعليم اليوناني . يقول سوزومين Sozomen المؤرخ اليوناني أن أوليفلاس كان في أول الأمر يتبع الإيمان النيقوي لكن لسبب ما صار أريوسيا وأخذ معه الشعب كله .

إرسالية أولفيلاس إلي القوط

ذهب أولفيلاس وهو شاب مع وفد قوطي إلي القسطنطينية ومكث هناك لمدة تسع سنوات . في سنة ٣٤١ م تم تكريسه أسقفا للقوط شمال الدانوب علي يد يوسابيوس أسقف نيكوميديا ( أريوسي ) ، ثم رجع للعمل مرسلأ بين مواطنيه في داكيا Dacia ، ( رومانيا الحديثة ) في البلقان . وصارت أعداد كبيرة من الناس مسيحيين نتيجة لجهوده . لكنه واجه مقاومة شديدة من بين القوطيين حتي أنه ورفاقه طلبوا السماح لهم ليستقروا بعيدا في موسيا Moesia (بلغاريا الحديثة) حيث استمر يبشر ويخدم إلي أن مات في سنة ٣٨٣ م أثناء رحلة إلي القسطنطينية .

الكتاب المقدس بلغة القوطيين

إن أعظم مساهمة قام بها أولفيلاس لكنيسة القوطيين هي ترجمته الكتاب



المقدس إلى اللغة القوطية . ولما كان القوطيون قوما بدائيين لم تكن لهم لغة نظامية مكتوبة ، ومن ثم فقد إلتزم أولفيلاس أن يبتكر لهم لغة وذلك بإستخدام الحروف اليونانية ، وبعض الحروف اللاتينية مع بضعة رموز قوطية ويقول المؤرخون أنه حذف أسفار صموئيل والملوك بسبب طبيعتها الحربية القتالية . وقد شعر أولفيلاس أن قومه كانوا رجال حرب بدرجة كافية لا يحتاجون معها إلى تشجيع علي القتال من أسفار الكتاب المقدس . ولذلك كان الكتاب المقدس هو أول كتاب قرأه القوطيون بلغتهم وما يزال جزء من هذا الكتاب المقدس باقيا في أوبسالا في السويد Uppsala وكان مكتوبا علي رقوق من الجلد بحروف ذهبية وفضية علي خلفية أرجوانية .

## ب - سقوط الإمبراطورية أمام القبائل

### الجيوش القوطية تغزو الإمبراطورية الغربية

وفي منتصف القرن الرابع كان الموقف العسكري قد أصبح خطيرا بين القوطيين والرومان . وكان الهونيون وهم قبيلة آسيوية شرسة متوحشة يهاجمون القوطيين من الشرق والشمال . وكان الضغط شديدا في سنة ٣٧٦ م حتي أن جماعة من ثمانية آلاف قوطي طلبوا من الرومان مكاناً يلوذون به جنوب الدانوب . لكن الرومان بدأوا يفرضون عليهم الضرائب فثار اللاجئون القوطيون فطردهم الجيش الروماني إلي الورا عبر الدانوب ، ونتيجة لذلك شنت قوات قوطية أكثر عددا هجوما مضادا . وعند أدريانوبل Adrianople ، في سنة ٣٧٨ م أبيدت الفيالق الرومانية وفقد الإمبراطور فالنر حياته . عندئذ تقدم القوط لغزو المزيد من الأقاليم الرومانية في البلقان ، حتي وصلوا في سنة ٤٠١ م إلي إيطاليا الشمالية . ولم يكن بد من سقوط المدينة الخالدة ، روما سنة ٤١٠ م في يد " الأريك Alaric " ووصف جيروم الواقعة بأن " هذه هي نهاية العالم " .

## سقوط الإمبراطورية الرومانية

وفي القرن الخامس حدث الإنهيار الأخير والتام للغرب الروماني . وكان " الهونيون " هم الأقوي دائما في المناطق التي تعرف الآن ببولاندا ، وألمانيا ، والنمسا ، والمجر ، وروسيا . كما سيطر القوطيون الشرقيون علي المنطقة الوسطي (سويسرا ، وإيطاليا ، ويوغسلافيا ) كما تركز " الفرنجة " في بلاد الغال ( فرنسا ) ، والقوطيون الشرقيون في أسبانيا ، والفاندال في شمال أفريقيا . وظل هناك بعض الأباطرة يحكمون في الغرب ، لكن بالإسم فقط لأنهم كانوا مقيدين بسلطة زعماء القبائل وأخيرا في سنة ٤٧٦ م - قام رجال الجيش - تحت قيادة قوطي يدعي أودوفيكير Odovaker - بعزل الإمبراطور ونصبوا أودوفيكير ملكا . وتعتبر سنة ٤٧٦م في العادة نهاية الإمبراطورية الرومانية . وظلت الإمبراطورية البيزنطية في شرق البحر الأبيض المتوسط آمنة إلي حد كبير ، ولأعوام طويلة ظل ملوك قبائل الغرب يقدمون الولاء الإعتباري الأسمي لأباطرة بيزنطة .

## علاقات طيبة بين الكنيسة والقبائل

وسط كل هذا الإضطراب العسكري والسياسي عاشت الكنيسة وأفلحت . والواقع أن أهمية الكنيسة نمت بطريقة تناسبت طرديا مع تدهور أهمية الأباطرة . وظلت روما كمقر للكرسي البابوي ، هي المدينة الخالدة ، وأصبح الكثير من هذه القبائل "البربرية " مسيحية لدرجة أن الكنيسة كانت دائما آمنة في رحابهم . كذلك فإن القادة البرابرة إذ كانوا معجبين بالثقافة الرومانية وراغبين في محاكاتها ، وجدوا الكنيسة مؤسسة متعاونة جدا .

## الكنيسة تدعي لنفسها القيادة السياسية وتتولاها

علاوة علي ذلك فلقد إزدهرت المسيحية في ظل الممالك القبائلية لأن حكام

القبائل كانوا علي خلاف الأباطرة الرومان والبيزنطيين - أقل ميلا إلي التدخل في شئون الكنيسة . في الواقع أن العكس قد حدث . وأصبحت الكنيسة هي القوة السياسية المسيطرة في أوروبا . وترأس الأساقفة الكاثوليك المدن التي أقيمت فيها كنائسهم . وكثيرون من الأساقفة القادمين من الطبقة الرومانية الحاكمة القديمة بثقافتها وهيبته ومكانتها كانوا في واقع الأمر حكاما . وقد ساعد صبغ القبائل بصبغة رومانية علي تمهيد الطريق عمليا أمام قيام دولة المدينة كما في أوروبا الحديثة . ونتيجة أخري لهذا التطور هي زوال الحركة الأريوسية نهائيا تماما . فقد كان الأريوسيون تنقصهم موهبة القيادة والتدريب وتدبير الأمور التي لدي الكاثوليك . ولذلك فإنهم في معظم المراكز المحلية أفسحوا الطريق أمام الكاثوليك وأخيرا خرجوا من مسرح الأحداث .

## **Recommended English Readings**

- 1 - Bainton , R.H.-**The Horizon History of Christianity** , Avon , NewYork , 1964 . pp . 128 - 132 .
- 2 - Boer , H.R.**A Short History of the Early Church** , pp . 121- 126 .
- 3 - Bruce , F.F.**The Spreading Flame** , pp . 321 - 322 ., 325 - 328
- 4 - Chadwick , Henry **The Early Church** , pp . 247 - 251 .
- 5 - Foster , John - **Church History 1 , The First Advance** , TEF Study Guide No . 5 ,SPCK , London , 1972 , pp. 117 - 126 .
- 6 - Jackson , F.J.F.- **History of the Christian Church to A D 461** , pp . 558 - 561 .
- 7 - Marrou , Henri - **The Christian Centuries** , vol , 1 . pp . 287 - 289 .
- 8 - Walker , Williston -**A History of the Christian Church** , pp . 119 - 223.
- 9 - Wand , J.W.C -**A History of the Early Church to A.D. 500** , pp .179-183 .

# **V - آباء الكنيسة في القرنين الرابع والخامس**



خلال النصف الثاني من القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس ظهر أربعة من أشهر قادة الكنيسة هم :

أمبروسيوس Ambrose (سنة ٣٣٩ - ٣٩٧ م) ، جيروم Jerome (سنة ٣٤٢ - ٤١٩م) ، ويوحنا ذهبي الفم Chrysostom (سنة ٣٤٤ - ٤٠٧ م) ، وأوغسطينوس أسقف هيبو Augustine of Hippo (سنة ٣٥٤ - ٤٣٠ م). ولأن كلا منهم قد ساهم شخصيا مساهمة فريدة ، ليس فقط لصالح كنيسته المحلية لكن أيضا لمصلحة الكنيسة بوجه عام ، سوف نتناول كلا منهم بالدراسة علي حدة . وسنذكر أيضا ثلاثة آخرين من آباء الكنيسة الشرقية أقل شهرة .

## أ - أمبروسيوس أسقف ميلانو (سنة ٣٣٩ - ٣٩٧م)

### أسرة أمبروسيوس المسيحية

ولد أمبروسيوس لأسرة مسيحية أرستقراطية ، وكان أبوه حاكما لبلاد الغال Gaul وله قصر في تريف Treves وكانت بلاد الغال تضم وقتئذ ما يعرف الآن بإنجلترا وفرنسا وأسبانيا وأجزاء من ألمانيا. وكانت والدته أمبروسيوس تمتلك قصرا في روما وكان البابا يزورهم في المنزل . ويقال أن الطفل أمبروسيوس ، وهو يرقب تقبيل الناس ليد البابا ، كان يمد يده لتقبيلها ويقول " ربما أصبح يوما ما أسقفا " . وكانت الأسرة شديدة الترابط . فقد كان أمبروسيوس ملتصقا جدا بأخيه ساتيروس " Satyrus " وبأخته مارسيلينا Marcellina ، وقد نذرت مارسيلينا نفسها راهبة عفيفة . وقد درس أمبروسيوس وساتيروس القانون ، ولو أن أمبروسيوس لم يكن راضيا بصفة خاصة عن هذه المهنة .

### تعيين أمبروسيوس حاكما

تم تعيين ساتيروس حاكما لأحد الأقاليم . وفي أحد الأيام أ استدعي أمبروسيوس إلي مكتب الوالي وأخبره بإختياره هو أيضا ليكون حاكما . فلما طلب أمبروسيوس

أن يُعفي من هذه الوظيفة ، قيل له " إذهب ، دبر أمرك ، لا لكي تكون حاكما وقاضيا ، بل أسقفا " ! وقد أقيم علي إقليم " إميليا ليجوريا " وعاصمته ميلانو (إيطاليا) . كان لهذا الأمر أهميته الخاصة حيث أن ميلانو وقتئذ فاقَت روما في أهميتها في الإمبراطورية الغربية . وهكذا ذهب أمبروسيوس إلي ميلانو ليقضي هناك بقية أيام حياته ، وبالرغم من تردده فقد أثبت أمبروسيوس أنه حاكم مقتدر ، وأضاف فعلاً قوة سياسية وهيبة لهذه المدينة الهامة .

### نزاع حول إختيار أسقف لميلانو

بعد خمس سنوات إنهمكت كنيسة ميلانو في صراع لإنتخاب أسقف لها . وكانت هناك فرق متنافسة تتنازع علي المنصب . وقد حضر أمبروسيوس إجتماعا من هذه الإجتماعات ، إذ كان النزاع بدون حسم ، وحاول أن ينصح الشعب بأن يسلكوا ويعملوا بطريقة سلمية . وفي هذه اللحظة بالذات صرخ طفل صغير قائلا " أمبروسيوس هو الأسقف " وعلي الفور رددت الجموع المحتشدة الصرخة ونادوا " أمبروسيوس الأسقف " .

### أمبروسيوس يصبح أسقفا لميلانو

هرب أمبروسيوس إلي قصره . إذ لم يكن حتي ذلك الوقت قد اعتمد ، ولو أنه كان يعتبر نفسه مسيحيا . علاوة علي ذلك فإن فكرة أن يكون أسقفا كانت بعيدة عن خياله وأفكاره وطموحاته . إلا أن الشعب لاحقه ولم يتركه مستريحا . فوضع أمبروسيوس أمامهم كل أنواع العقبات والإعتراضات . بل وحاول الهروب من المدينة وقبضوا عليه فعلا بصفة مؤقتة . فلما وصلت رسالة بموافقة الإمبراطور فالنتينيان والبابا داماسوس ، علي إختيار الشعب ، خضع أمبروسيوس أخيرا لما اعتبره حينئذ إرادة الله نحوه . وخلال الأيام الستة التالية تم تعميده وأقيم حارسا للأبواب ثم ترقى إلي حاجب

ثم قاريء ، ثم طارد للحيوانات والشياطين والأرواح الشريرة من الكنيسة ، ثم مساعد شماس فشماس ثم قسيس وأخيرا تمت ترقيته إلي أسقف .

### **أمبروسيوس يعتني بالفقراء ويهتم بهم**

قام أمبروسيوس كأسقف بأمور كثيرة جدية بالإعتبار . فكانت حياته الشخصية في غاية التقشف ، فقد عاش تقريبا عيشة الراهب ، محاكيا تنسكات أخته وطريقتها التقشفية . كما كان دائما شديد الإهتمام بالفقراء . وكانت أول أعماله هو أنه باع الكثير من الفضة الثمينة من الكاتدرائية ليشتري طعاما للفقراء . فانتقده بعض الأريوسيين في المدينة لكنه أجابهم قائلا : " أيهما أكثر قيمة ، أواني الكنيسة أم النفوس الحية ؟ " وعندما مات ساتيروس أخوه ، لم يحتفظ أمبروسيوس ومارسيلينا بشيء من ميراث أخيهما الضخم بل إستخدماه لصالح الفقراء والمعوزين في ميلانو . لم يكن أمامه إلا أن يحتقر الأغنياء الذين استغلوا الفقراء : " هؤلاء " الأغنياء " بعد أن تملكوا الأرض ، بدوا يائسين من تملك السماء والهواء والبحر .... وكانوا يتباهون بجواهرهم أمام الفقراء ويتاجرون في بؤس وشقاء الإنسان " .

### **دراسات أمبروسيوس**

كرس أمبروسيوس الكثير من الوقت للدراسات العلمية ، حيث لم ينل من قبل إلا القليل من التعليم اللاهوتي . كما بدأ يكتب مفضلا أن يكتب بخط يده علي أن يملئ علي السكرتير .

### **أمبروسيوس وجراتيان**

كان لأمبروسيوس علاقة خاصة بالأباطرة الثلاثة الذين حكموا البلاد أثناء حياته: جراتيان وفالنتيان الثاني ، وثيودوسيوس . فقد أعجب به جراتيان كشاب كثيرا

وكان كثيرا ما يرجع إليه طلبا للمشورة والنصيحة .فقد كان جراتيان - كما يقال - جنديا ممتازا لكنه كان حاكما ضعيفا ، وكان يعاب عليه بعض عاداته المستهترة إلا أن أمبروسىوس " أحبه وكتب له الرسائل كما احتفظ برسائله وخطاباته ووصفه أنه إنسان كامل". (آباء الكنيسة الغربية) (Payne , Robert , The Fathers of the Western Church P.73)

### المسيحية ،الديانة الوحيدة للإمبراطورية

لعلنا نذكر أن جراتيان هو الذي أمر بإزالة المذبح الوثني للنصر من مجلس الشيوخ. وهو عمل لم يتقبله أعضاء المجلس بسهولة فقد ظلوا يعتقدون بقيمة الممارسات الوثنية .وقد قدم سيماخوس " Symmachus " وهو خطيب مفوه، إلتماسا خاصا لإعادة التمثال لكن أمبروسىوس وقف يجادله وأجابه علي كل نقطة وبادله حجة بحجة .ولما استأنف سيماخوس طالبا التسامح مع الديانات الأخرى ، أصر أمبروسىوس علي أنه لا طاعة ولا وفاء إلا لإله واحد فقط .فاحتج الخطيب بأن التمثال جلب النصر للبلاد ،وأجاب أمبروسىوس بأن النصر سببه قوة المحاربين وليس "أحشاء الحيوانات أو الأصنام العديمة الإحساس ". إدعى سيماخوس أنه لا بد من وجود أكثر من طريق إلي الحق لكن أمبروسىوس قال أن تقدم الإنسانية يعود فقط إلي عناية الله .ونلاحظ الآن بكل وضوح الموقف الذي كان يتخذه أمبروسىوس . ويصف " كوكران Cochrane " ذلك قائلا : " من وجهة نظره لم يكن هناك أمل في الخلاص للإمبراطورية ما لم تنفصل عن أخطاء الوثنية واليهودية والهرطقة . وقد أعلن أثناسىوس أن الإضطهاد سلاح الشيطان .لكن أمبروسىوس كان مستعدا لإستخدام أسلحة الشيطان كوسيلة لتحقيق ملكوت الله " . (Cochrane , Christianity and Classical Antiquity , P . 350 )

### أمبروسىوس يعارض جوستينا

كان أمبروسىوس أب إعتراف لفالتنتيان الثاني الذي خلف جراتيان .كان فالتنتيان

إمبراطورا ضعيفا تسيطر عليه جوستينا Justina أمه ، أرملة فالنتينيان الأول . وكانت جوستينا أيضا أريوسية المذهب ولم تكن تحب أمبروسيوس كما لم يكن هو يحبها . وأقنعت جوستينا ابنها بأن يطلب ترك إحدى كنائس ميلانو خصيصا لإجتماعات الأريوسيين . فأجاب أمبروسيوس علي الفور " مثل هذا الطلب يمكن إجابته في حالات الممتلكات الشخصية لكن ليس في حالة ممتلكات الكنيسة . فما يخص الله خارج عن سلطة الإمبراطور" . والواقع أن جوستينا حاولت ترتيب القبض علي أمبروسيوس ، لكنه إلتجأ إلي الكنيسة وتحصن بها ووفر له الشعب الحماية . وبعد مرور سنة جرت محاولة أخرى ، لكن لما حدث أن انحاز إليه الجنود المرسلين للقبض عليه تخلت الإمبراطورة وإبنها الإمبراطور عن الفكرة .

## أمبروسيوس يكرم رفات الشهداء

كذلك في هذه المناسبة ، تشجع أمبروسيوس بإكتشاف رفات شهيدتين تحت أرضية الكنيسة وكانا من أصحاب الأجسام الضخمة كما كانت الدماء لم تجف عليهما بعد وحدثت معجزة شفاء عندما جاءوا برجل أعمي بالقرب منهما . فقال أمبروسيوس " هؤلاء هم المدافعون الذين أحتاج إليهم . هؤلاء من ينصروننا ونحن نجهل ذلك " . وقد شجع إستخدام الرفات بكل طريقة ممكنة حتي لقد جلب رفات القديسين والشهداء إلي ميلانو من مواضع أخرى . بل وكان يبحث عنها ، ففي حديقة خارج ميلانو ، وجد جسد الشهيد نازاريوس Nazarius ودمه لم يجف بعد ، وشعره باق في مكانه .

## معارضة جمع الرفات والذخائر

تشكك البعض في التأكيد علي الشهداء وقواتهم السحرية . وقد استنكر قس يدعي فيجبلانتبوس Vigilantius حفظ الرفات في علب الحلي الفضية لكي يقبلها أفراد الشعب ، كما استنكر بناء الكنائس تكريما للشهداء . ودعا ذلك "تصرفات وثنية دخلت الكنيسة تحت ثوب الدين .... وهو عمل الوثنيين " . وفي وقت لاحق ، أدرك



الإمبراطور ثيودوسيوس أن عملية جمع الرفات أصبحت تجارة . بل أن الناس كانوا يسرقون الرفات لبيعها . فأصدر مرسوماً يقول " محظور علي أي شخص أن ينقل جسداً مدفوناً إلي مكان آخر ، أو يبيع رفات أحد الشهداء . ومحظور علي أي شخص أن يبيعها أو يشتريها " .

## موت فالنتينيان الثاني

وبالرغم من إختلافاته مع جوستينا لم يفقد أمبروسيوس وده نحو إبنها فالنتينيان الثاني (الإبن) . كان فالنتينيان يواجه مشكلة كبرى في بلاد الغال مع أحد زعماء البربر . فالتمس المساعدة من أمبروسيوس ، لكن الأسقف كان دائماً يرفض مغادرة ميلانو . وتردد وفي ذلك الوقت قتل فالنتينيان . حتي لو لم يكن في مقدوره إنقاذ حياة الإمبراطور بالفعل ، فلقد شعر أمبروسيوس بتبكيك الضمير لأن هذا هو ثاني الأباطرة الشباب الذين أحبهم أمبروسيوس وقد مات بعيداً عنه .

## أمبروسيوس وأوغسطينوس

حوالي سنة ٣٨٤ م تم تعيين الشاب أوغسطينوس أستاذاً لعلم البيان والبلاغة في ميلانو . وقد حضر أوغسطينوس خدمات الكاتدرائية هناك وتأثر جداً بمواعظ أمبروسيوس . لم يسبق لأوغسطينوس أن سمع تعليم الثالوث مشروحاً وموضحاً بمثل هذه الطريقة المقنعة . علاوة علي ذلك فقد أحب أوغسطينوس في مواعظ أمبروسيوس تأكيد علي " الروح " أكثر من " الحرف " . وبفضل هذا التأثير في نفسه وبفضل وجود أمه " مونیکا Monica " إقتنع أوغسطينوس بقبول المعمودية المسيحية . وفيما بعد كتب أوغسطينوس عن أمبروسيوس " إنني أبجله كأب ، لأنه ولد في المسيح يسوع وبالإنجيل ، وبخدمته نلت غسل التجديد . أمبروسيوس المبارك الذي إختبرت أنا نفسي نعمته ، وثباته ، ونضاله ، ومعاناته من أجل الإيمان الكاثوليكي الجامع سواء بالكلام أو الأعمال . إن كل العالم الروماني ينادي بذلك معي بلا تردد " .

## أمبروسيوس وثيودوسيوس

إن ثيودوسيوس الذي صار إمبراطورا في القسطنطينية سنة ٣٧٩ م إستمر في الحكم حتي السنتين الأخيرتين من حياة أمبروسيوس . وكانت العلاقة بينهما فوق العادية في منتهي الغرابة ، حيث كان الإمبراطور دائما يستجيب لأوامر الأسقف . ويسجل التاريخ مثلين بارزين عن سلطان الكنيسة فوق الدولة، أو علي الأقل قوة شخصية أمبروسيوس فوق شخصية ثيودوسيوس .

## أمبروسيوس يأمر ثيودوسيوس بتغيير أمر أصدره

في وادي الفرات البعيد كانت هناك واقعة تدمير معبد للغنوسيين ومجمع يهودي، وكان الهجوم بتحريض من أحد الأساقفة ، لذلك أمر ثيودوسيوس أن تقوم الكنيسة بإعادة بناء المجمع لليهود . فلما سمع أمبروسيوس عن أمر الإمبراطور كتب إلي الإمبراطور بلهجة قوية : " القصر من إختصاص الإمبراطور، الكنائس من إختصاص الأسقف .. ولم يحدث أن عوقبت مثل هذه الهجمات والغارات من قبل .إن إذلال الأسقف أو المجتمع المسيحي يحط من كرامة الكنيسة ....أيهما أهم ، إستعراض التأديب أم قضية الدين ؟ إن التمسك بالقانون المدني يأتي في المرتبة الثانية بعد المصالحة الدينية " . كذلك ألقى أمبروسيوس عظة عن هذا الموضوع في محضر الإمبراطور فأذعن ثيودوسيوس لأمبروسيوس وفي خضوع غير رأيه .

## ثيودوسيوس ومقتل سبعة آلاف في تسالونيكي

تضمنت أشهر واقعة من هذا النوع مقتل مدنيين في تسالونيكي .كان والي الأقاليم قد سجن أحد الأبطال الرياضيين المحبوبين لدي الجمهور ، وذلك السجن بسبب سوء الأخلاق .فلما سمع الشعب أن هذا البطل لن يتمكن من الإشتراك بعد ذلك في المباريات الشعبية قتلوا العديد من الشخصيات العامة الحكومية ، المكروهة .وعندما سمع ثيودوسيوس بذلك أمر بمعاقبة الشعب .فتدخل أمبروسيوس وطلب الرأفة .أما

ثيودوسيوس فبدون الإتصال ثانية بأمبروسيوس، أرسل أوامر سرية بذبح أهالي تسالونيكى . بعد ذلك رق قلبه وأرسل أمرا ثانيا يلغي الأمر الأول ، لكن الوقت كان قد فات . لأن الجنود حاصروا ٧٠٠٠ من أفراد الشعب في " الإستاد " وقتلوهم جميعا بحد السيف .

### أمبروسيوس يدين ثيودوسيوس

إهتزت الإمبراطورية كلها عند سماع الخبر ، وبالأكثر أمبروسيوس لأن ثيودوسيوس تم الأمر محتالا بطريقة خفية . عندئذ كتب أمبروسيوس واحدة من أروع رسائله :

" إني أنصحك ، أسألك ، أرجوك ، أحذرك ، لأنه يحزنني ألا يسبب لك إهلاك هذا العدد من الأبرياء أي حزن . إني أتعذب عندما أراك ... عاجزاً عن الندم لمقتل هذا العدد الكبير من أبرياء الشعب . الشيطان يحسدك علي براعتك - إغلبه ما دامت لديك الوسيلة .. "

" بالنسبة لي ، أنا " المديون " لإحسانك في كل شيء ، الممنون كما يجب أن أكون دائما .. لكن عندي كل سبب يجعلني أتوجس شرا . إنني لا أجرؤ علي تقديم الذبيحة (للإفخارستيا) في محضرك وهل يسمح بتقديم القرىبان ، الذي يعتبر مرفوضا إذا سفك دم إنسان واحد ، بينما دم الكثيرين يسيل علي الأرض ؟ .. أعتقد لا " .

### ثيودوسيوس يجب أن يتوب

" أنا لا أنكر أن لديك غيرة علي الإيمان ، وإنك تخاف الله ، لكن فيك بالطبع روح سرعة الإنفعال ، التي عندما تهدأ ، تتحرك بسهولة إلي الرأفة ، لكن الزمام يفلت منك إذا إستشاروك . كان بودي أن أتركك لأفعال قلبك . لكنني لا أقوي علي الصمت أو التخفيف من جرمك . فإن مثل هذا المشهد الدامي الذي وقع في تسالونيكى ، لم يسمع به في تاريخ العالم كله . لقد حذرتك ورجوتك لكي لا تفعل ، وقد أدركت بنفسك شناعة الفعل ، فحاولت أن تلغي أمرك . والآن أهيب بك أن تندم

وتتوب. أذكر كيف ندم داود علي جريمته وتاب . فهل تخجل أن تفعل ما فعله داود ؟  
يمكنك فقط أن تكفر عن خطيتك بالدموع ، بالتوبة . ويتذلل روحك كإنسان وهكذا يجب  
أن تندم وتتوب . لا ملاك ولا رئيس الملائكة يمكن أن يغفر لك . الله وحده يقدر أن يغفر  
لك ، وهو يصفح فقط عن التائبين .

" لك حبي ، وودي ، وصلاتي ، فإن صدقتني ، فافعل ما أخبرك به . وإذا لم تصدقني  
فسامحني إذا فضلت الله عليك " . (من رسالة أمبروسيوس رقم ٥١)

( Ambrose . Epistle 51 , Quoted by Robert Payne , The Fathers of the Western  
Church , P. 77- 79

### أمبروسيوس يطرد ثيودوسيوس من الكنيسة

عندما تلقي هذه الرسالة ، تقدم ثيودوسيوس إلي الكاتدرائية ، لكن أمبروسيوس  
رفض أن يدخله الكنيسة قائلا : " كيف ترفع في الصلاة يديك اللتين ما زالتا تقطران  
بالدم ؟ أقول لك ، إبتعد " فلما قال ثيودوسيوس " داود أخطأ ، ومع ذلك غفر له "   
أجاب أمبروسيوس : " نعم أنت قلدت داود في الخطية ، الآن قلد داود في الندم  
والتوبة " . عندما سأل أحد رجال الحاشية الإمبراطور عن سبب إكتنابه ، قال : " أنت لا  
تشعر بتعاستي ، كنيسة الله مفتوحة للعبيد والشحاذين و المتسولين أما بالنسبة لي  
فهي مغلقة ومعها أبواب السماء " .

### توبة ثيودوسيوس

أصر أمبروسيوس علي أن يقضي ثيودوسيوس فترة ثلاثين يوما في تذلل وندم  
عميق . ثم كان عليه أن يأتي إلي الكاتدرائية بدون الأرواب والشعارات الملكية  
الأخري مرتديا فقط المسوح ويسجد أمام المذبح لتلقي المغفرة . نفذ ثيودوسيوس  
التعليمات وسمح له بالعودة إلي التناول من العشاء الرباني .

## موت ثيودوسيوس

كانت صداقة أمبروسيوس وثيودوسيوس لصيقة ومتينة وحميمة . فعندما ظفر الإمبراطور بانتصار معجزي علي البرابرة ، قدم أمبروسيوس " Te Deum " تسبيحة شكر خاصة ماسكاً بيديه الرسالة المحتوية علي خبر النصر . وقد مات ثيودوسيوس بين ذراعي أمبروسيوس في سنة ٣٩٥ م وقال أمبروسيوس ، " لقد أحببته ، ثيودوسيوس يحيا الآن في النور السماوي ، وبالإبتهاج يختلط مع مجمع القديسين " . في جنازته إرتجل أمبروسيوس كلمة مخاطباً الجنود : " بإيمان ثيودوسيوس كان إنتصاركم . فليكن صدقكم وإيمانكم قوة لأبنائه . وحيث يوجد عدم الإيمان يوجد العمي ، ولكن حيث الأمانة والإخلاص هناك حشد الملائكة " .

## موت أمبروسيوس

مات أمبروسيوس بعد ذلك بسنتين . وقد كتب "بولينوس Paulinus" -الذي سجل سيرة حياة أمبروسيوس أن أمبروسيوس كان يحيط به أصدقاؤه المتشوقون والمتلهفون علي تدوين كلماته الأخيرة . وقد ظهر لهيب نار صغير فوق رأسه ، ثم اختفي داخل فمه . ومن أقواله الأخيرة ، " لم أعش هكذا بينكم بطريقة تخجلني من إستمرار حياتي . لكن لست أخشي الموت ، لأن إلهنا صالح " . ومات بعد ذلك ببضعة أيام في ليلة عيد القيامة ، ودفن في كاتدرائية ميلانو . ثم نقل جسده في القرن التاسع إلي الكنيسة التي سبق أن اكتشف داخلها رفات الشهيدين .

## الدولة لا تتدخل في شئون الكنيسة

بلا شك أن أعظم إنجازات أمبروسيوس كانت سياسية أكثر منها لاهوتية . ففي نضاله مع الأباطرة أوضح للمجتمع الإمبراطوري أن المسيحية الأرثوذكسية القويمة الرأي هي وحدها التي يحق لها التمتع بكامل حقوقها المدنية . علاوة علي ذلك أغلق كل باب يحاول منه الإمبراطور التدخل في شئون الكنيسة . وعندما حاول الإمبراطور



تعيين أساقفة رد أمبروسيوس عليه قائلا : "نحن طبقا لناмос يسوع المسيح ، لن نستجيب لذلك القانون الذي يجيز مثل هذه القرارات " ( Epistle 1 : 21 ) وأيضا : " كما أنه لا يصح أن تنكر الدولة حرية التعبير ، كذلك أيضا يتحتم علي الكاهن أن يعبر عما يشعر به ، لأن الكاهن ، بفضل وظيفته المقدسة ، رسول يعلن ملكوت المسيح والحياة الأبدية ( Epistle 1 : 40 ) (ومن الناحية الأخرى - ولكن تأسيساً علي نفس المبدأ - عارض أمبروسيوس في أن تقبل الكنيسة هبات عامة ، حيث أن هذا الأمر يجعل الكنيسة معتمدة علي الدولة ويحد من حريتها .

## الكنيسة فوق الدولة

إعتقد أمبروسيوس ، كما رأينا ، أن من حق الكنيسة أن تتدخل في شئون الإمبراطورية . فالكنيسة بإعتبارها تمثل الله (على الأرض) ملتزمة بأن تحكم علي إستقامة أو خطأ أي وضع دنيوي أو أي تصرف للحكومة ، فكانت الكنيسة ضميراً للدولة، ولهذا المدي كانت أعلي من حكامها . " إن الإلتزام بالخدمة المسيحية هو إلتزام علي الحاكم كما هو إلتزام علي الرعايا . لأن الإمبراطور ، مثله مثل أحقر فرد من أفراد الشعب ، هو أحد أبناء الكنيسة " . لا تمجد نفسك ، إذا أردت أن تحتفظ بسلطتك ، عليك أن تخضع ذاتك لله . ( Epistle 1 , 20 , 19 )

## مؤلفات أمبروسيوس

كان لمواعظ أمبروسيوس ورسائله التي تعالج مثل هذه الموضوعات أعظم التأثير علي مستقبل الكنيسة الغربية . كما أن حملاته البليغة علي الأغنياء من أجل الفقراء تضعه في مصاف أعظم المفكرين الإجماعيين . ولم يستطع أن يفهم لماذا لا يحول الأغنياء ثرواتهم إلي الفقراء كما سبق أن فعل هو ! وكان تناوله للأسفار المقدسة غير مدرك وشديد الشبه بمحاولة أوريجانوس . كان يلتزم أن يُفسر الكتاب المقدس علي خمس مستويات : التفسير الحرفي ، والأدبي ، والمعنوي ، والمجازي ، والسري ، والتطبيقي الروحاني . وكان مثل الكابادوكيين عميق الإعجاب بجمال الطبيعة ، مدركاً

صنعة يد الله في الزهور والبحور والحيوان وجسم الإنسان .وقد إشتهر أمبروسيوس بالترانيم التي وضعها ،منها إثننا عشرة ترنيمة معروفة وأربع ترانيم مستخدمة في الوقت الحاضر .

## أمبروسيوس يحوّل الكنيسة إلى اللاتينية كما فعل داماسوس

يمكن أن نقارن إمبروسيوس مع البابا داماسوس الذي أدخل التعليم والثقافة إلى الكنيسة .وقد مزج أسقف ميلانو آداب شيشرون الكاتب الروماني بتعليم الكنيسة. وحوّل الكتابات الأساسية للكنيسة إلى اللاتينية مميزا إياها عن ثقافة البيزنطيين اليونانية .كما ترجم لاهوت الأسرار المقدسة إلى اللاتينية ، وبذل جهدا كبيرا في ترجمة خدمة القداس . وانعكس هذا الإتجاه أيضا علي فن عمارة الكنائس ، وكذلك علي ملابس الكهنوت الرسمية .ومثل داماسوس إتخذ خطوات رئيسية كبرى في بدء تطوير الكنيسة الغربية الكاثوليكية للألف سنة التالية .

## **Recommended English Readings**

- 1 - Boer , Harry -**A Short History of the Early Church** , pp. 148 - 150 .
- 2 - Bruce , F.F.-**The Spreading Flame** , pp . 330 - 332
- 3 - Duchesne , Louis -**The Early History of the Church** , vol . 11 , p . 369, 435 - 441 .
- 4 - Frend , W.H.C.**The Early Church** , pp. 190 - 199
- 5 - Jackson , F.J.F -**History of the Christian Church to AD 461** , pp. 413 - 433 .
- 6 - Payne , Robert -**The Fathers of the Western Church** , Viking , NYC , 1951 , pp . 60 - 86
- 7 - Schaff , Philip -**History of the Christian Church** , vol . 111 , pp . 961 - 967 .
- 8 - Walker , Williston - **A History of the Christian Church** , pp . 128 - 129.
- 9 - Wand , J.W.C.-**A History of the Early Church to AD 500** , pp . 203 - 204 .

## حياته المبكرة

ولد ساببيوس سيفرونيوس إيرونيموس جيروم ( Eusebius Sefronius Hierony mus Jerome في بلدة إسترودن بإقليم دلماطيا (حاليا يوغوسلافيا) . ميلاده غير مؤكد وحسب مصادر مختلفة يقع بين ٣٣١ م / ٣٤٢ م . وكان أبوه ثريا يملك الأرض والعبيد . وكانت أسرته مسيحية . وما نعرفه عن طفولته قليل فقد أرسل إلي روما لدراسة العلوم التقليدية الكلاسيكية ( اليونانية والرومانية ) . وأصبح مغرما بالكتاب اللاتينيين مثل " فرجيل " ، و "شيشرون " . كان يذهب إلي دور المحاكم ويستمع للخطباء الموهوبين . لكنه إنزعج كثيرا في حياته الخاصة وانتابه الشعور العميق بالذنب بسبب رغباته الجنسية فعندما إعتمد صديقه "روفينوس" إعتقد جيروم أنه لا يستحق هذا الشرف ، ولما دخل صديق آخر الدير حسده جيروم لكن أحس أنه لا يمكن أن ينهج نفس منهجه .

## جيروم يختار حياة الرهبنة

ثم بدأ يسافر مع فريق من الأصدقاء يزورون مختلف الأديرة في آسيا الصغرى وتفرق الأصدقاء في أنطاكية ، حينئذ وهناك اختار جيروم حياة الرهبنة لنفسه . فانضم إلي مجموعة من النساك علي طرف الصحراء في " خلقيس Chalcis في سورية وكان ذلك في نحو عام ٣٧٣ م وهناك قضى خمس سنوات يعيش في صومعة جرداء مرتديا أسمالاً من الخيش ويقتات علي جرعة ماء وكسرة خبز وإدام نبيء . كتب لأصدقائه يشرح إختباراته التي تشبه إختبارات القديس أنطونيوس (أنظر المجلد الثاني صفحة ١٣٦) " كم من مرة لما كنت أعيش في الصحراء.... تلسعني الشمس المحرقة . كم من

مرة تخيلت نفسي وسط ملاهي روما وملذاتها...! كان وجهي شاحباً وجسمي يرتعش بفعل الصيام . ومع ذلك يحترق فكري بالرغبة الجنسية وظل لهيب الشهوة مستعرا أمامي بينما كان جسدي مثل جسد الأموات ... أذكّر ما أكثر ما صرخت بأعلي صوتي طول الليل حتي مطلع النهار ولم أتوقف عن أن قرع علي صدري إلي أن عاد إلي الهدوء بتوبيخ الرب لي Epistle XX 11 : 7

### إرتياعه لحياة الرهبنة

لكنه اغتني جدا بالخبرات ، فكتب لأحد أصدقائه يحثه علي الإنضمام إليه " هل تخشي الصحراء في إتساعها الأبدي الرهيب ؟ " أقول : " إن روحك نزهة لطيفة داخل الفردوس . هل تفزع من خشونة جلدك وقذارة أطرافك ؟ أقول إن من اغتسل في المسيح لا يعوزه الإغتسال مرة أخرى . عند تجوالي في الصحراء بعد سكب الدموع غزيرة ، والتأمل الطويل في السماء أحسست كأنني في محضر الملائكة ( Epistle XV:10 )

### إنقطاعه عن الكتاب الوثنيين

وفي الصحراء إجتاز جيروم واحدا من أهم إختباراته . فقد رأى في حلم " رفعت أمام كرسي الدينونة . والله هو القاضي " وكان النور مبهرًا حتي لم أجرؤ علي النظر " - من أنت ؟ - أنا مسيحي - " أنت تكذب . أنت لست تلميذ المسيح . بل أنت تلميذ شيشرون . فحيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا " . حينئذ صدر الأمر بجلدي . هل كان مجرد حلم ؟ أقسم إنني وجدت علي كتفي خطوطا زرقاء وسوداء . بعد هذا الحلم قرأت كتاب الله بحماس أعظم من كل كتب البشر. " Epistle XX 11 : 30 " وقد عكس هذا الحلم الرأي العام لدي الآباء الأولين أن الكتابات الوثنية والأسفار المقدسة لا تتفق معاً . لكننا



نلاحظ أن جيروم لم يحافظ علي عهده ونذره .ففي وقت لاحق من حياته عاد إلي الآداب اللاتينية كما فعل أمبروسيوس وداماسوس وأوغسطينوس .

## جيروم كاهنا- إستمراره في الدراسة - إختياره سكرتيراً للبابا

في ٣٩٧ م ترك جيروم عزلته في الصحراء وشق طريقه إلي أنطاكية حيث استمع إلي محاضرات " أبولينارس " . وفي أنطاكية أقيم كاهنا بدون مسئولية رعوية .ومن أنطاكية سافر إلي القسطنطينية وتأدب ودرس علي يد غريغوريوس النازينزي . علي مدي هذه الفترة واصل الدراسة والتثقف . فتعلم العبرية وترجم إلي اللاتينية مواعظ أوريجانوس ومقالاته عن إرميا . وقد سمع داماسوس الذي صار أسقفا في وقت قريب- عن جيروم ودعاه إلي روما ليصير أميناً وسكرتيراً للخبير الأعظم .

## إنتقاد جيروم لأرستقراطية روما

بسرعة تقبل المجتمع الروماني شخصية جيروم . فقد كانت رسائله من الصحراء معروفة . وكانت سيدات المجتمع الأرستقراطي متلهفات علي إستضافته . لكنه لم يهتم بأن يكون رجل مجتمع وكتب نقدا قاسيا عن النساء المدلات ورجال الإكليروس المتدهورين الذين يتملقونهن . ودعاهم الفاسدين عديمي الأخلاق الذين يعيشون عالة ، الواحد علي الآخر تحت ستار كاذب من التقوي . كما كتب عن النساء المتظاهرات بالتدين : " يدعين أنفسهن راهبات وبعد وجبة دسمة من سبعة أطباق يحلمن بالرسل " . أخريات أقمن عرضا فخما بإسم العمل الخيري فوزعن الدراهم (الملايم) علي الجباع من فوق مركباتهن الذهبية ومع ذلك زجرن وطردن أي شخص شديد اللهفة والإلحاح . إن لدينا حوائط ذهبية مصقولة وأعمدة مطلية ناعمة ، ولكن حينما نترك فقراءنا

يموتون، فإن المسيح أيضا يموت عريانا وجوعانا أمام أبوابنا " .

## جيروم يهاجم كل العلاقات الجنسية

من بين كل ضعفات الجسد ، كان جيروم يمت " الغريزة الجنسي " أكثر من أي شيء علي الإطلاق وكانت المرأة الصالحة الوحيدة لديه هي من كانت عذراء . لذلك كان يهاجم بشدة سيدات روما اللاتي كن يجمعن أجسادهن ، ويجعدن شعورهن ، ويضعن أحمر الشفاه ، إلخ ، لإجتذاب الرجال . وقد أبغض الزواج قائلا : " الزواج يصلح فقط لأولئك الذين بسبب أهوال الليل لا يستطيعون النوم منفردين " . " أيضا النساء يكبرن سريعا ويسرعن إلي الشيخوخة ، خاصة عندما يكون بجانبهن رجل " . السبب الوحيد الذي من أجله امتدح الزواج ، هو أن يثمر الزواج عن المزيد من العذاري اللاتي يصبحن راهبات . وقد كتب لأم أرادت إبنتها أن تنتذر للرهبة ، " لماذا يا أماه ، تحقدين علي إبنتك ؟ لقد رضعت من لبنك وخرجت من أحشائك وفت وترعرعت بين ذراعيك ، ويتقواك المثابرة حفظت سالمة . ولذلك أنت ساخطة لأنها رفضت الزواج من جندي ، لكنها سوف تتزوج الملك (المسيح) بدلا منه ؟ لقد قدمت لك نعمة عظمي ، إذ تصبحين أما - لعروس الله " ( Epistle XXII : 20 )

## جيروم والسيدة بولا

وكانت أقرب الشخصيات إلي جيروم هن النساء من أهل بيت أرملة واسعة الثراء إسمها " بولا Paula " مع إبنتيها جوليا ويوستوخيوم Julia and Eustochium وأخريات كثيرات . هؤلاء جميعا نذرن أنفسهن راهبات ، وبإقناع من جيروم . فقد كتب إليهن رسائل عديدة ممتدحا حياة التقشف ، قال فيها " العذاري هن الصحراء المزدانة بالزهور " .

## جيروم ينتقل إلى بيت لحم

في عام ٣٨٤ م مات داماسوس . وتوقع جيروم أن يختاروه خليفة له . لكن بسبب نقده المرير للإكليروس إلى حد إنتقاده لداماسوس نفسه كان له بضعة أصدقاء والكثير من الأعداء في البلاط البابوي . كما أشيعت شائعات شريرة عن علاقاته بالنساء . وقال بعض الناس أن أحكامه التقشفية تسببت في موت إحداهن . فهرب من روما ولحقت به بولا ومن معها من العذارى إلى أنطاكية ، وتوقفوا في أورشليم ثم توجهوا إلى مصر حيث قاموا بزيارة الأديرة المشهورة في وادي النطرون . وانتهز جيروم الفرصة ليتعلم تحت قدمي ديديموس الضمير Blind Didymus الذي كان علي رأس مدرسة الإسكندرية الجدلية الشهيرة بأسلوب الحوار في التعليم . ومن هناك رجعوا إلى فلسطين واستقروا في بيت لحم حيث قضى جيروم هناك بقية أيام حياته .

## حياة الرهبنة في بيت لحم

في بيت لحم تم بناء دير بالقرب من مغارة الميلاد ، وبيت ضيافة للحجاج وذلك بأموال " بولا " . وعاشت النساء القديسات عيشة متضعة وكرّسن ثروتهن للفقراء لمثل هذه المشروعات . وكتب جيروم عن سعادته هناك " كل شيء في بيت المسيح هذا - بسيط ، وليس هناك سوي الترنم بالمزامير أو الصمت . فالحرث ينشد التسابيح وهو يحرق الأرض كما يتغني الكرام بأغاني داود - وهو يهذب الأغصان. وهذه هي الأغاني الوحيدة التي ترنم هنا . وهي ترانيم الحب المألوفة لدينا ( Epistle L XXXV ) II:7 كما كتب جيروم عن " يوستوخيوم " لإحدى قريباتها يقول : " أتمني لو رأيت ابنة أخيك الآن . إنها تحفظ أجزاء كبيرة من الكتاب المقدس عن ظهر قلب . ومتعتها الصلاة . وتدرّب رفيقاتها كجوقة ترنيم للمسيح . لقد كانت تأنف أن تسير في الشوارع الموحلة ، وكان لها خدم يحملونها ، وجاءت بالخدم يحملونها . أما الآن فبيدها تشدّب

شريط المصباح ، وتكنس الأرض، وترتب الموائد ، وتجري هنا وهناك في خدمة الآخرين ... لو أن يوسف ومريم أتيا الآن إلي بيت لحم لوجدا المأوي ولقيا الترحاب ( Ep.54 )

## الحجاج إلي بيت لحم

كقرية يحج إليها الناس كانت بيت لحم مكانا مشهورا جدا . وهناك عدة حكايات رواها جيروم عن القادمين والراجلين . كان بعضهم أصدقاء مثل "فيجلانتوس Vigilantius " لكنه طرد لأنه شرب الخمر في لحظة ضعف ، وهناك "سابنيانوس Sabinianus" الذي كسب ثقة جيروم ثم خان هذه الثقة عندما غرر بإحدي العذاري . لما ضغطت جحافل البربر علي شمال الإمبراطورية ، صلي جيروم أن يعتنق الكثيرون منهم المسيحية ، الأمر الذي تحقق مع الكثيرين بالفعل إلا أن الحروب أرغمت المزيد من الناس علي الهروب نحو الجنوب. وقد تضرر جيروم من هذا في إحدي رسائله : " شمال إفريقيا ومصر والشرق وبيت لحم نفسها إزدحمت باللاجئين المعدمين .. وقد اضطرت إلي الكف عن كتابة تفسير سفر حزقيال بل وتقريبا عن كل الدراسات . إن جموع المشردين بلا مأوي جعلني أرغب في تحويل كلمات " الكتاب المقدس " إلي أعمال ، ليس الكلام عن أمور مقدسة بل تنفيذها بالفعل (من مقدمة تفسيره لسفر حزقيال )

## موت پول

في عام ٤٠٤ م ماتت پول . لقد أحبها جيروم وتعلق بها كما لم يتعلق بإمرأة أخرى . وإمتلأ حزنا ، وناح عليها حتي يوم مماته عام ٤٢٠ م . وقد تم تنظيم جنازة مهيبة لها . وقد وقفت جوقة العذاري المرفعات حول الكفن لمدة ثلاثة أيام ينشدن الترانيم باليونانية واللاتينية والسريانية . كما نقش جيروم بنفسه علي حائط قبرها آيات المديح في فضائلها وأفضالها وأصلها النبيل . ثم كتب فيما بعد إلي "

يوستوخيوم " لم تترك لك أمك فلسا واحدا . بل فقط الديون وجموع المعوزين من الصبيان والبنات لتستمرى في معونتهم . أيتها الابنة يوستوخيوم ، لقد تسلمت ميراثا جليلا . ( Epistle 108 )

## جيروم يناضل الآخرين

تحدثنا عن الإنتاج الأدبي العظيم لجيروم . لقد كان بحق أديب عصره وعالم علماء زمانه . فبالإضافة إلي طوفان الرسائل (مجموع صفحاتها ألف وسبعمائة صفحة) ترك كتباً في التفسير والتاريخ وفي الإرشاد والتوجيه وفي قواعد اللغة ... إلخ . ومن أشهر كتبه كتاب De Viris Illustribus (عن مشاهير الرجال) الذي وصف فيه حياة أشهر رجال الكنيسة بداية بالرسول بطرس ونهاية بنفسه . كان جيروم مجادلاً عظيماً . وقد تنازع مع " روفينوس " بشأن أوريجانوس فخسر بذلك صديق عمره . كما أجاب بعبارة قوية شرسة علي النقد الذي وجهه فيرجيلانتيس وجوفينيان إلي الرهبنة وحياة التقشف قال: " إتركوا فيرجيلانتيس " ينام ، وفيما هو نائم تأتي الملائكة التي حلقت فوق مصر ، لتهلكه مع المصريين . " وقد اختلف جيروم مع أوغسطينوس علي تفسير غلاطية (ص ٢) مصرأ علي أن بطرس فقط تظاهر بتأييد الفرائض الموسوية حتي أمكن لبولس أن يثبت أنه علي خطأ . لما جاء بيلاجيوس (غريم أوغسطينوس) إلي فلسطين هاجمه جيروم بمارة وحاول أن يعلن أنه هرطوقي . والواقع أن بيلاجيوس هاجم جيروم في بيت لحم ، لكن شعب المدينة دافع عنه . كانت لديه فكرة سيئة عن أمبروسيوس ودعاه غراباً . لم يكن يحجم عن استخدام أقسى عبارة في قاموس اللغة ضد معارضيه . وفيما يلي فقرة من رسالة عن الذين يسيئون تفسير الأسفار المقدسة . " ما أغبي هؤلاء الناس . كل واحد يظن أنه بإمكانه تفسير الكتاب المقدس .. العجائز يثرثرون ، الشيوخ يهيمون في التخريف ، السفسطائيون ببطونهم المنفوخة وروائحهم الكريهة كل هؤلاء يعتبرون أنفسهم أساتذة في التفسير . إنهم يمزقون الأسفار



المقدسة..بوقاحة ينقلون للآخرين كلاما ، هم أنفسهم لا يفهمونه ..إنهم لم يكلفوا أنفسهم حتي عناء الكشف عما يعنيه الأنبياء والرسل ، لكنهم بتعسف يرتبون الفقرات و الآيات الكتابية ويوفقونها معا لكي تلائم المعني الذي يقصدونه هم " .

## جيروم ليس عالما لاهوتيا

لم يكن جيروم لاهوتيا مع أنه كتب في بعض الأحيان في مواضيع لاهوتية. في بدء حياته العملية ، حاول الميليتيون أن يجعلوه يحدد رأيه في مسألة "الجوهر" Ousis في الثالث ، لكنه رفض المناقشة .وفي مسار حياته غير رأيه في أوريجانوس ، مع أنه كان مخلصاً لقديس الإسكندرية .

## جيروم يتحدث عن نشأة الأسقفية

إن موقف جيروم من الأسقفية يستحق النظر " فهو يرى أنه في الأزمنة المبكرة الأولى ، كان يقوم بالإشراف علي الكنائس مجموعة من القسس ثم تطور الأمر إلي أن يوكل القسوس عملية الإشراف إلي واحد منهم ، هو الذي أصبح يعرف بعدئذ بالأسقف The Church , Its changing image through twenty centuries , John Knox , Atlanta ( 93 p , 1977 ) وقد كتب جيروم نفسه في تفسير الرسالة إلي تيطس ما يلي ( 1 : 6 - 7 ) Commentary on the Epistle to Titus " فالقس إذن له نفس مكانة الأسقف، وقبل أن يدخل الطموح إلي الدين بتحريض من الشيطان وقبل أن يبدأ الناس في القول " أنا لبولس ، وأنا لأبولس وأنا لصفا ( ١ كو ١٢ : ١ ) كان حكم الكنيسة يتم من خلال جماعة أو مجمع القسس العاملين معا . لكن بعد أن بدأ كل منهم يعتقد أن من عمدهم هم خاصته ، لا خاصة المسيح ، صدر القرار بالإجماع بإختيار أحد القسس ليرأس الآخرين .

## جيروم يؤيد سيادة ورئاسة البابوية في روما

في نفس الوقت لم يترك جيروم أدنى شك في إعتقاده الراسخ في سيادة بابا روما " حيث أنني لا أتبع قائداً إلا المسيح " فإني أضم نفسي مشتركاً مع غبطتكم (داماسوس) أي مع كرسي أسقفية بطرس . أعلم أن الكنيسة بنيت علي تلك الصخرة . وكل من يأكل من الحمل خارج هذا البيت ( مز ١٢ : ٤٦ ) فهو نجس . وكل من ليس في فلك نوح فهو هالك عندما يسود الطوفان " . ( From Epistle xv , . addressed to Pope Damasus )

## جيروم يترجم الفولجاتا

أن الإنجاز الذي من أجله يذكر جيروم دائماً ، خصوصاً في الكنيسة الغربية، هو ترجمته الكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية وهي الترجمة المعروفة بالفولجاتا\* . والتي ما تزال إلي يومنا هذا ، النص الرسمي لكنيسة روما الكاثوليكية . وقد كانت هذه الترجمة حتي عصر الإصلاح هي النص الوحيد للكتاب المقدس لدي الكنيسة الغربية . بل وحتى ترجمة لوثر للكتاب المقدس بالألمانية ، في القرن ١٦ ، وترجمة الملك جيمس إلي الإنجليزية في القرن ١٧ كلاهما تعكس بعض إستخدامات الفولجاتا\* والإفادة منها وهناك نحو ثلاثمائة وخمسين كلمة لاهوتية وكتابية مستخدمه حتي اليوم - كان جيروم قد صاغها في أثناء قيامه بالترجمة .

---

\* كلمة " فولجاتا " في اللاتينية تعني لغة عامة الشعب.

\*\* الترجمات العربية للكتاب المقدس ، المستخدمة حالياً في الكنائس القبطية الكاثوليكية والرومانية الكاثوليكية في مصر هي ترجمات مبنية علي الفولجاتا .

## جيروم يترجم من العبرية

كان جيروم مؤهلاً تأهيلاً عالياً جعله جديراً بهذه المهمة حيث أنه قد تعلم اللغة العبرية أثناء وجوده في الصحراء السورية . والقليلون جداً من العلماء المسيحيين في عصره من الملمين باليونانية واللاتينية ، إهتموا بدراسة اللغة العبرية . وقد حث البابا داماسوس جيروم كي يضطلع بهذا المشروع ، لكنه حقيقة لم يبدأ العمل جدياً إلا بعد استقراره في بيت لحم . وهذا أيضاً مكنه من الإتصال بعلماء اليهود القاطنين في المنطقة . وكان هناك في ذلك الوقت نص لاتيني للعهد القديم من القرن الثاني الميلادي لكنه كان رديئاً جداً . كما كانت هناك جزازات حد باللغة اللاتينية لكنها كانت مبنية على الترجمة اليونانية السبعينية للعهد القديم . فعقد جيروم العزم على الترجمة من النص العبري "المشوري" Masoretic مباشرة (أقدم نص عبري) وقد حاول أوغسطينوس إقناع جيروم بأن يترجم من اليونانية السبعينية\*، التي كانت هي النص الوحيد للعهد القديم المستخدم في الكنيسة في ذلك الوقت . إهتم أوغسطينوس بذلك لأنه كان يعرف أن الترجمة من العبرية ، ستنتج عنها اختلافات تسبب إنزعاجاً للمحافظين من شعب الكنيسة . لكن جيروم أصرّ على مشروعه ، وأكمل ترجمة الأناجيل في ٣٨٢ م والعهد الجديد كله في ٣٨٦ م . والكتاب المقدس كله في ٤٠٤ م . وكما تنبأ أوغسطينوس ، إعتبر الناس ترجمة جيروم "راديكالية" (ترجمة متطرفة) وبدلموماسيته المعهودة ، دعا جيروم من إنتقده "حميراً يسيرون على رجلين" ، من يحسبون الجهل قداسة . وعلى أي حال كان لدى الكنيسة كل سبب يجعلها تذكر جيروم بالإمتنان من أجل الإنجاز العظيم الذي أسفر عن صدور الكتاب المقدس بلغة عامة الشعب - الفولجاتا .

## شخصية جيروم

من العسير أن نرسم صورة واضحة لشخصية جيروم . فلا شك في إنجازاته

العلمية ورعايته لحركة الرهبنة . لكنه كان رجل المتناقضات الكثيرة ، فقد وصفه أحد الكتاب بأنه " لين وعنيف " رقيق وفظ ، متشامخ كالأشجار متواضع كالأطفال ، رجل الكراهيات العميقة ، والأهواء المريضة " آباء الكنيسة الغربية " ( Robert Payne , " The Fathers of the Western Church , P . 90 " ، أن تكون صديقا له فلا بد أن ذلك يعد إختبارا نادرا ، لكن أن تكون عدوا له فذلك هو الشيء المرحقا . ومع أنه أظهر القليل من خصائص وأخلاقيات القديسين ، فقد أعطته الكنيسة لقب قديس .

## **Recommended English Readings**

- 1 - Boer , H.R. -**A Short History of the Early Church**, pp. 151 - 154 .
- 2 - Bruce , F.F. -**The Spreading Flame** , pp . 332 - 333 .
- 3 - Foster , John -**Church History 1 , The First Advance** , The TEF Study Guide , pp. 154 - 158 .
- 4 - Jackson , F.J.F. -**History of the Christian Church to AD 461** ,pp.480 - 490 .
- 5 - Payne , Robert ,**The Fathers of the Western Church** , pp . 87 - 137.
- 6 - Schaff , Philip -**History of the Christian Church** , vol . 111 . pp , 205 - 216 , 967 - 988 .
- 7 - Walker , Williston - **A History of the Christian Church** , pp . 158 - 159.
- 8 - Wand , J.W.C. -**A History of the Early Church to AD 500** , pp . 207 - 211 .



## ج - ثلاثة آباء شرقيون

من المناسب في هذا المجال أن نذكر ثلاثة من آباء الكنيسة الشرقيين ، أقل شهرة في الغرب لكنهم مكرّمون في الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية ، هم : كيرلس الأورشليمي ، وأبيفانيوس أسقف قبرص ، وأفرايم السرياني أسقف سورية .

### ١- كيرلس أسقف أورشليم (٣١٠-٣٨٦م) Cyril of Jerusalem

نعرف القليل عن حياة كيرلس المبكرة عدا كونه تربّي في بيت مسيحي . وقد رُسم أسقفًا لأورشليم في سنة ٣٥٠ م . لكنه عُزل في وقت لاحق بقرار من مجمع أريوسي . تميزت حياته بالصراع لأنه كان يدافع عن الإيمان النيقوي ضد الأريوسيين . وقد أعيد إلي كرسيه ثانية لكنه عُزل مرة أخرى وفي حكم الإمبراطور فالينز الأريوسي . أخيرا سمح له الإمبراطور ثيودوسيوس بالعودة أسقفًا لأورشليم حيث خدم لآخر أيام حياته . أبرز إنجاز قام به كيرلس هو كتاب به ثلاثة وعشرون تعليما كتبه سنة ٣٤٧ م ، مقدّمًا معرفة كاملة لمن كانوا يستعدون للدخول في عضوية الكنيسة ، هذا بالإضافة إلي محاضرات أخرى تبين تفاصيل عديدة عن ممارسات العبادة في كنيسة أورشليم في القرن الرابع الميلادي .

### ٢-أبيفانيوس أسقف قبرص (٣١٥-٤٠٣م) Epiphanius of Cyprus

ولد أبيفانيوس في فلسطين ، يقال من أبوين يهوديين ، وبذلك فهو الوحيد من آباء الكنيسة من أصل يهودي . إعتنق المسيحية في سن السادسة عشر . وقضى سنوات عديدة في أديرة مصر ، ثم عاد إلي فلسطين وأسس ديرًا في تلال اليهودية . في عام ٣٦٧ م أنتخب أسقفًا لمدينة سلاميس Salamis ( عاصمة قبرص ) حيث قضى

رئيس مقاومة الهرطقة ، منكرًا علي الكنيسة إستخدام التعليم اليوناني أو التفكير اللاهوتي أو النقد التاريخي . وأشهر أعماله كتاب عنوانه The Panarium the medicine chest (صندوق الدواء ) يحتوي علي مضادات لسموم هرطقات بلغ عددها ثمانين هرطقة ، عشرون منها سابقة علي وقت المسيح . وكانت أحكامه قاسية لا يسمح فيها بالحل الوسط . وكانت ترجمته الدقيقة لصحة عقيدة نيقية كانت الوحيدة المسلّم بها . يهتم العلماء بمؤلفاته اليوم خصوصا لأنها المصدر الوحيد للعديد من الكتابات الهرطوقية والجدلية في الأزمنة المبكرة .

### ٣- إفرام أسقف سورية ( ٣٠٦ - ٣٧٣م ) Ephraem of Syria

الكنيسة السورية الأرثوذكسية تكرم إفرام بدرجة عظيمة كرجل كنيسة وخطيب وشاعر . ويلقب " بعمود الكنيسة " "ونبي السوريين " ، "وقيثارة الروح القدس" . ونعرف القليل جدا عن حياته . هناك تقليد يقول إنه ولد من أبوين وثنيين في إديسا ، ولما أظهر شغفا بالمسيحية طُرد من البيت ، وتثقف علي يد أسقف نصيبين Nisibis وحضر مجمع نيقية . وعاش ناسكا في كهف بالقرب من أديسا ، التي كانت وقتئذ المركز الرئيسي لتعليم المسيحية في سورية . كما قضى أيضا سنوات عديدة بين رهبان مصر ونسّاكها وفيما بعد تعرّف علي باسيلوس الكبير أسقف قيصرية الذي رسمه شماسا . وأراد باسيلوس أن يقيمه أسقفا لكن إفرام إدعي الجنون لكي يهرب من مسئولية الوظيفة . وقبل وفاته بفترة قصيرة حدثت مجاعة قاسية في أديسا . فألقي إفرام عظة قوية ضد الأغنياء لتركهم الفقراء يموتون من حولهم . فنخستهم ضمائرهم لدرجة أنهم قدموا المال والأمتعة لإفرام كي يوزعها بين من يعانون من المجاعة . ويتذكر الناس إفرام بصفة خاصة بسبب تقوي حياته ، وتفاسيره لأسفار الكتاب المقدس ومواعظه وشعره . فقد كتب الكثير من الترانيم ليقاوم بها تأثير مفعول بعض الترانيم الهرطوقية وكانت كل الكنائس السريانية تتغني بترانيمه . وما تزال ترانيمه باقية إلي اليوم باللغة السريانية مع ترجمتها الي اللغات الأرمنية واليونانية واللاتينية .

ومواعظه وشعره. فقد كتب الكثير من الترانيم ليقاوم بها تأثير مفعول بعض الترانيم الهرطوقية وكانت كل الكنائس السريانية تتغني بترانيمه . وما تزال ترانيمه باقية إلى اليوم باللغة السريانية مع ترجمتها إلى اللغات الأرمنية واليونانية واللاتينية .\*

## د - يوحنا كريسوستوم " فم الذهب " ٣٤٥-٤٠٧ م

Chrysostom

### كريسوستوم " فم الذهب أو ذهبي الفم "

نتجه الآن إلى أحد عظماء الكنيسة الشرقية . وقد إكتسب لقبه " ذهبي الفم " "فم الذهب " بسبب حسن بيانه وفصاحة مواعظه ، ولو أن هذا اللقب لم يُلصق به حتي القرن السادس أو السابع .

### حياة ذهبي الفم العائلية

ولد يوحنا وترعرع في أنطاكية في ٣٤٧ م، وكان أبوه ضابطا عسكريا مرموقا. وكانت أمه أنثوزا " Anthusa " سيدة مسيحية تقية جدا أثرت كثيرا في حياة إبنها . مات زوجها وهي في سن العشرين ، لكنها رفضت الزواج مرة ثانية مكرسة نفسها لخدمة لخدمة الكنيسة وقد درس يوحنا علم البيان علي يد أستاذ وثني ليبيانيوس وقد قال ليبيانيوس " Libanius " "متأثرا بتقوي " أنثوزا " وحياتها المكرسة " ما أبدع السيدات الموجودات بين المسيحيين " .

---

\*المادة في هذ الجزء مأخوذة من كتاب فيليب " شاف " بعنوان " تاريخ الكنيسة المسيحية " Philip Schaff's History of the Christian Church vol .III, p.p. 924 -933 , 949 -954.

## فم الذهب ، الطالب

إنجذب يوحنا إلي حياة العلم والأدب وتلقي تدريبه كخطيب علي يد "ليبانيوس" الذي اعتبره أفضل تلاميذه . إستمر يوحنا لبعض الوقت خطيباً ، لكن سرعان ما قرر أن يدخل الخدمة المسيحية . وبعد ثلاث سنوات من التعلم عمده ميليتيوس أسقف أنطاكية (بحسب النظام وقتئذ ، لم يعتمد يوحنا حتي بلغ الثامنة عشر من عمره ) . ولما سئل ليبانيوس عن يختار خليفة له قال : " يوحنا لو لم يخطفه المسيحيون " .

## فم الذهب في الدير

جذبت حياة الرهبنة يوحنا لكن من أجل أمه مكث في أنطاكية يخدم بصفة قاريء \* لكن لما ماتت " أنثوزا " دخل الدير وإستقر هناك يدرس ويتأمل لمدة ست سنوات. وكانت فرصة وجوده في الدير ، سبباً في تنمية علاقاته بكل من ديودوروس Diodorus وثيرودور Theodore من موبسوستيا Mopsuestia . وقد وجه يوحنا رسالتين - من أهم رسائله - إلي ثيودور محاولاً إقناعه بعدم الزواج ولكن بحلول سنة ٣٨٠ م إضطر يوحنا إلي أن يترك الدير بسبب ضعف صحته وذلك نتيجة لممارساته التقشفية العنيفة. وعاد إلي أنطاكية في ٣٨٦ م حيث رسم شماساً وبعد فترة وجيزة ، قسيساً \* بيد الأسقف فلافيانوس .

---

\* رتبة كهنوتية ثانوية .

\* \* عملياً هذه رتبة كاهن . في ذلك الوقت كانت الكلمات تقريباً مترادفة ، في العصور الوسطى

إختفت كلمة شيخ Presbyter .

## فم الذهب في أنطاكية

كانت السنوات الست عشرة أو السبع عشر التي قضاها ذهبي الفم في أنطاكية من أسعد أيام حياته وأغزرها إنتاجا حيث كتب الكثير من المواعظ والتفاسير . وقد نمت مواهبه الخطابية الباهرة هنا إلى أقصى مداها ، وكانت الحشود المحتشدة من جماهير الشعب تأتي لسماع عظاته . وتدور أشهر مواعظه حول " التماثيل " ، ألقاها تشجيعا للناس بعد أن حطموا تماثيل الإمبراطور وأسرته إحتجاجا علي فرض الضرائب الباهظة المتزايدة. كذلك فإن كتابته عن مسئوليات الخادم المسيحي ، مشهورة جيدا .

## فم الذهب واعظا

تميزت مواعظ يوحنا ببساطتها وبلاغتها وقد تحاشي الأسلوب المجازي الذي إتبعه وعاظ الإسكندرية وكانت كرازته تفسيرية إيضاحية تكشف الحق الكتابي البسيط وتطبقه علي الحياة اليومية . لم يكن واعظا لاهوتيا بل كارزا عمليا . كان يستعد بعناية معتمداً علي الكتاب المقدس كمصدر رئيسي لعظته . وقد سجل أحد المؤرخين ليتزمان (Lietzmann III , P.312) أن يوحنا ألقى :

تسعين عظة علي " إنجيل متي "

خمسا وخمسين عظة علي " أعمال الرسل "

إثنين وثلاثين عظة " علي رومية "

سبعة وستين عظة علي " سفر التكوين "

وفي فترة واحدة تكلم عن تفسير إنجيل يوحنا لمدة أربعة وأربعين أسبوعا صباح كل يوم سبت وكل يوم أحد أي بإجمالي ثمان وثمانين عظة بدون توقف . وكانت جموع المستمعين من الشعب تؤخذ بقوة كلماته حتي أنهم كانوا يندفعون مصفقين منتشين إعجاباً بقوة تعليمه ، برغم اعتراض يوحنا بعدم لياقة التصفيق في قدس الكنيسة .



## فم الذهب رئيسا لأساقفة القسطنطينية

بسبب شهرته العظيمة ، أختير يوحنا في عام ٣٩٨ م رئيسا لأساقفة القسطنطينية ، وكان ذلك ضد رغبته . فلما تسلم مهام وظيفته لاحظ أمورا داخل وخارج الكنيسة لم يرض عنها . كان الأساقفة يكرمون وفادة الكهنة والرهبان كما كان الأغنياء يولون لهم الولائم في بيوتهم . وكان المتوقع أن يرحب رئيس الأساقفة بنبلاء البلاط الإمبراطوري بنفس الطريقة . لكن يوحنا ذهبي الفم وضع حدا لهذا كله. فكان يأكل منفردا مكتفيا بالقليل من الطعام ، وقد أمر أن يعود الكهنة إلي كنائسهم والرهبان إلي أديرتهم . وبدأ الآن في استخدام الأموال التي كانت تهدر في الولائم الباذخة ، للعناية بالفقراء والمرضى . من منبر الكاتدرائية وبخ إسراف الأغنياء ، وعروض ومباريات الوحوش المفترسة في الملاعب ورذائل البلاط . كان صوته هو الوحيد لكنه الصوت القوي الذي ارتفع محتجا ومدافعا عن الضعيف ضد الظالم ، وعن الفقير ضد الغني ، وعن الفضيلة ضد الرذيلة . كما حث الأغنياء وأصحاب الأراضي أن يبنوا الكنائس في مقاطعاتهم وأن يحاولوا هداية العاملين معهم إلي الحق.

كان يوحنا يؤمن بأن القدوة الحسنة لها نفس أهمية الوعظ والتعليم فمن أقواله " لن يوجد وثنون إذا نحن كنا مسيحيين حقيقيين " .

## توجيه النقد إلي ذهبي الفم

كان أسلوب يوحنا في الحديث حادا وصريحا . إذا رأي خطأ لا يخفف من لهجته. من الطبيعي جدا أن يوجد الكثيرون الذين بدأوا يكرهونه ومعظمهم كانوا أقوياء والإمبراطورة إيدوكسيا Eudoxia ( زوجة الإمبراطور أركاديوس Arcadius ) التي كانت في أول الأمر تكرم يوحنا ، إستاءت منه بسبب الملاحظات التي أبداها منتقدا طريقة حياتها المبذرة كما أن ثيوفيلس أسقف الإسكندرية الذي أراد أن يحسم

إختيار رئيس أساقفة القسطنطينية بدأ يتهم يوحنا بالهرطقة الأوريجانية. وهذه كانت جزءا من حملة كان يقودها أبيفانيوس ( أسقف سلاميس في قبرص ) منتقدا الذين إتبعوا طريقة أوريجانوس المجازية لتفسير الكتاب المقدس \*. لم يكن يوحنا نفسه يستخدم مثل هذه الطريقة لكنه ارتبط بها لأنه كان يأوي أربعة رهبان من مصر فروا من ثيوفيلوس لإتهامهم بالأوريجانية .

### عزل فم الذهب في " مجمع البلوط " ( Oak )

قرر ثيوفيلوس أن الوقت قد حان لمواجهة يوحنا، لذلك سافر في عام ٤٠٠ م إلي خلقيدونية من القسطنطينية عبر البوسفور مع ٢٨ من أساقفته ، ظاهريا ليدافع عن معاملته للرهبان الأربعة ، لكن عملياً ليهاجم رئيس الأساقفة يوحنا . فدعا ثيوفيلوس يوحنا إلي مجلس في قصر البلوط ، ولما رفض يوحنا وأساقفته الحضور ، كان من السهل علي ثيوفيلوس أن يحصل علي أصوات كافية في المجلس لعزله . وكان يمكن لهذا الإجراء أن يصبح عديم الأثر لو لم تحاول الإمبراطورة أيدوكسيا Eudoxia الغاضبة علي يوحنا ، إقناع زوجها أركاديوس بالتصديق علي قرار مجلس البلوط . لكن بسبب شهرة يوحنا الشعبية أمكنه البقاء في مركزه بعض الوقت . وحسب قوله " كنيسة ظلت وفية لي " فرعوننا الحديث إشتهي أن يأخذها مني كما سبق أن أخذ فرعون القديم سارة. لكن مرة أخرى بقيت سارة طاهرة . الزناة تبلبلت أفكارهم .

### عزل فم الذهب ونفيه وموته

خلال شهرين تفجرت المتاعب ثانية . فقد أقيم تمثال من الفضة للإمبراطورة

---

\* الأوريجانية في نظر من أدانوها كانت تعلم بسبق وجود الأرواح الإنسانية . وقد أعلن مجمع القسطنطينية في ٥٤٣ م أنها هرطقة ، كما أعلن أيضاً مجلس القسطنطينية العام في ٥٥٣ م .

بجانب الكاتدرائية . فلم يتردد يوحنا في شجب هذه " الوثنية " مثيرا بذلك غضب البلاط الإمبراطوري من جديد . وفي نفس الوقت كتب ثيوفيلوس نشرة ندد فيها بيوحنا قائلا : " الشيطان متنكراً في صورة ملاك نور " واستمر يوحنا في إلقاء عظاته ضد الإمبراطورة بأقوي لغة " مرة أخرى هيروديا تهذي ، مرة أخرى ترقص ، مرة أخرى تطلب رأس يوحنا علي طبق " . أقيمت التهمة ضد يوحنا بأنه عاد إلي وظيفته قبل قرار مجلس البلوط . وانهقد مجمع جديد للأساقفة في القسطنطينية لكن في هذه المرة انقسموا وتناقص عدد من أرادوا مساندة يوحنا وكان فلافيانوس أسقف أنطاكية رجلا طاعنا في السن وأضعف من أن يقدم له المعونة . وكان أهل القسطنطينية هم الأنصار الحقيقيين ليوحنا ذهبي الفم لكن لم يكن لهم صوت في المجمع وكان الضغط شديدا من جانب البلاط الملكي وفي عام ٤٠٤ م أدين يوحنا وحكم عليه بالنفي إلي مدينة بعيدة في آسيا الصغرى . ولمدة سنوات عديدة إستمر مشغولا في كتابة رسائل مستأنفاً قضيته لدي روما لكن بدون نتيجة . فلقد أصدر الإمبراطور أوامره بنقل يوحنا إلي مكان أبعد علي شاطيء البحر الأسود لكن قبل إستكمال الرحلة مات يوحنا في ١٤ سبتمبر عام ٤٠٧ م وهو يردد قائلا : " المجد لله في كل الأمور " .

### الفرق بين الكنيستين الشرقية والغربية

تمثل مأساة فم الذهب بأوضح صورة الفرق الشاسع بين الشرق والغرب في علاقات الكنيسة بالدولة . يقول " و.ه.س. فرند W.H.C.Frend " مع أن فم الذهب اعترض علي تفوق المركز الكهنوتي علي الملكي فإنه عند الاختبار كان موقفه الإذعان . وقد كتب عام ٣٨٧ م " الإمبراطور لا ندُّ له علي الأرض لأنه رأس وتاج كل شيء في هذا العالم " ( Homily on the Statues 11 , 2 ) بينما إستطاع أمبروسيوس أن يتحدى أمراً إمبراطورياً ويصدر الأمر إلي إمبراطور . وعندما ووجه يوحنا بمثل هذه الضغوط لم يستطع أن يفعل شيئا . وظل أمبروسيوس في ميلانو بينما ارتحل يوحنا إلي المنفي والموت . ليس هناك مثل سيرة حياة هذين الرجلين ، تمثل بوضوح الفرق بين مكانة

الأسقف الشرقي ومكانة الأسقف الغربي كما توضح الفرق في علاقات الكنيسة والدولة في شطري الإمبراطورية الرومانية " ( The Early Church , pp . 223 , 224. ) .

### فم الذهب ، نيقوي في الفكر اللاهوتي :

كخلاصة يمكن القول أن يوحنا فم الذهب كان يمثل المدرسة الأنطاكية في الفكر اللاهوتي . لو عاش يوحنا في زمن لاحق لاتهموه بالنسطورية خلال المنازعات حول طبيعة المسيح . لم يكن إتهام ثيوفيلس ليوحنا ذهبي الفم بالأوريجانية إتهاما ثابتا وقانونيا مع أن مجمع الإسكندرية عام ٣٩٩ م أعلن أن يوحنا مهرطق . وقد واجه يوحنا الأريوسيين والنوفاتيين . ويمكن القول بأنه إتبع المجري الرئيسي للفكر اللاهوتي النيقوي كما وُضع حينذاك .

### هـ - أغسطينوس ( ٣٥٤ - ٤٣٠ م )

#### ١ - حياة أغسطينوس

ليس في الكنيسة المسيحية قائد نال فائق الإحترام وعظيم الثناء أكثر من أغسطينوس أسقف هيبو ( Hippo ) ( تونس الحديثة ) . حتي أولئك الذين إنتقدوا فكره اللاهوتي يشهدون له بأنه المفكر الأكثر تأثيرا في تاريخ الكنيسة الغربية .

#### شهرة أغسطينوس

" وصف تعليم أغسطينوس بأنه أعلي درجات الإدراك الديني منذ العصر الرسولي ... وقف علي الخط الفاصل بين عالمين . العالم القديم الكلاسيكي الذي

أوشك علي الإختفاء ، وعالم العصور الوسطي ، الذي لم يكن قد ولد بعد . وهو يجمع في نفسه أفضل ما في الثقافة القديمة وينشرها موهورة بكل ما لشخصيته من خصب وحيوية ، لكي يحيي الثقافة الجديدة .. كنسيا يمكن القول بأن أغسطينوس هو أبو كل من كاثوليكية العصور الوسطي والبروتستانتية الحديثة. وكثيرا ما يوصف الإصلاح نفسه بأنه ثورة بسبب تعليمه وعقيدته عن النعمة ضد تعليمه وعقيدته عن الكنيسة " ( تاريخ الكنيسة الأولي Wand . J W C - A History of the Early Church to A. D. 500 , p . 224 )

## إعترافات أغسطينوس

من حسن الحظ أن لدينا قصة حياة أغسطينوس كما سجلها هو نفسه في ترجمة حياته الشهيرة " بالإعترافات" ويعتبر هذا العمل في حد ذاته قمة مؤلفات أغسطينوس. وهذه الإعترافات مكتوبة في شكل صلاة طويلة لله . صيغت جزئيا علي نمط المزامير ، وتعبر عن الكثير من فكر أغسطينوس اللاهوتي. أحد الكتاب سمي " الإعترافات " بأنها صورة كائن بشري ثابت الأركان ، الذي في محضره تسقط حواجز الزمان والمكان لكي تظهره إنسانا قريبا من كل الوجوه من أنفسنا ، كائن متفرد للآن في تاريخ البشرية ، لكنه مكسو بفضائل وعيوب الجنس البشري . وقد قال الأمريكي وليم جيمس ، فيلسوف القرن التاسع عشر - عن أغسطينوس أنه " أول إنسان عصري " ( Cochrane , C.N . Christianity and Classical Culture . P . 387 )

## سنوات عمره الأولي

ولد أغسطينوس في ١٣ نوفمبر عام ٣٥٤ م في مدينة " سقسطة " النوميديّة Thagaste ( الجزائر الحديثة ) كان أبواه في سعة من العيش . وقد صار أبوه الوثني - مسيحيا - فيما يقال عام ٣٧٠ م قبل وفاته مباشرة . أما أمه فكانت امرأة مسيحية



حقيقية وكان لها تأثير قوي علي حياة ابنها في صباه . فقد أدخلته الكنيسة كشاب مبتديء يتعلم ليعد نفسه لعضوية الكنيسة ، لكن أغسطينوس فضل حياة الإنطلاق والحرية وطلب المتعة ، التي سجلها بكل مشاعر الإحساس بالذنب في كتابه (الإعترافات) وأرسله أبواه ليدرس علم البيان والبلاغة في قرطاجنة ( تونس الحديثة ) وفي أثناء وجوده هناك إتخذ له محظية \* عاشت معه لمدة الأربعة عشر عاما التالية . وقد ولدت له ابنا إسمه أديوداتوس Adeodatus ( عطية الله ) وكان حبيبا إلي قلب أغسطينوس أبيه . إكتسب أغسطينوس تميزا في دراساته للعلوم اللاتينية التقليدية وسرعان ما عُين أستاذا للبيان والبلاغة في مدينة ثافاستا ثم في قرطاجنة في وقت لاحق .

## الصراع الذهني والأخلاقي

تميزت سنوات الشباب هذه بالصراع العقلي والأدبي العنيف . فقد حولت دراسته وقراءته لشيثرون ( القانوني والفيلسوف الروماني ) فكر أغسطينوس نحو الدين فبدأ يدرس الأسفار المقدسة لكنه شعر أن الكتاب المقدس أدني من العلوم اللاتينية التقليدية. ولما تحول عن هذا جذبته بالفلسفة الثنائية لجماعة المانويين The Manichees ( أنظر صفحة ١٠٦ المجلد الثاني ) وفي نفس الوقت اضطرب إضطرابا عظيما بسبب حياة الفجور التي كان يحياها . ولم يكن في وسعه إلا أن يصلي " هبني الطهارة يارب، لكن ليس الآن " .

---

\* جدير بالملاحظة أن إتخاذ محظية كان إجراء عاديا ومقبولا بين المسيحيين في ذلك العصر . في سنة ٤٠٠ م أصدر سنودس أسباني قرارا بأنه طالما كان الإنسان أميناً للمحظية كما لو كانت زوجة له فإن علاقتهما لم تكن عقبة في سبيل تناولهما القربان. البابا " ليو " ( ٤٠٠ - ٤٦١ م ) إعتبر الزواج بوحدة صالحا إذا ترك الرجل محظيته وعقد زواجا قانونيا بأخري .

## أغسطينوس والمانوية

ظل الشاب أغسطينوس لمدة السنوات التسع التالية تابعاً أميناً للعقيدة المانوية فقد راقته فلسفياً وأدبياً . فقد كانت الحياة لدى المانويين عبارة عن صراع بين الخير والشر ، النور والظلام . علي شرارة النور داخل كل إنسان أن تتطهر بأقسي الممارسات الأدبية الأخلاقية من الجسد الفاسد الذي يغلفها وقد إنجذب أغسطينوس لهذا التشديد وراقه كثيراً هذا التأكيد إعترضه وهو في صراعه مع مشاكله الأخلاقية الخاصة . وفي الواقع كان البعض يعتبر أن المانويين في شمال إفريقيا - مسيحيين . فقد اقتبسوا من كتب الأبوكريفا عن حياة الرسل وأيضاً من أجزاء من رسائل بولس بما يتفق مع أغراضهم. فكانوا يحبون بنوع خاص حديث بولس عن النعمة ( أف ٢ : ١ - ١٨ ) . ولذلك فبإنتمائه إلي المانوية لم يشعر أغسطينوس أنه خرج عن المسيحية وخانها . بل بالأحرى قبل تعليم المانوية كصورة أعلي من المسيحية وأكثر منطقية منها . والواقع أنه نجح في تحويل بعض أصدقائه إلي الإيمان بالعقيدة المانوية . ولكنه تدريجياً وجد عيوباً في التعليم المانوي. وعندما إنتقل من قرطاجنة إلي روما في عام ٣٨٣ م صار أكثر شكا وبإزدياد ضيقه وتبرمه بالمانوية كان اهتمامه بالأفلاطونية الحديثة ينمو ويزداد . وقد أدت الكتابات الأدبية التي قرأها ولعلها من كتابات بلوتينوس وبورفيري - أخيراً إلي إجتذابه بعيداً عن المانوية كما غيرت من فكره عن الواقع والحقيقة . فرأى الله مصدراً وحيداً للحقيقة ، ورأى في الشر ابتعاداً عن الصلاح ورفضاً لإرادة الله . إن معرفة الله هي أسمى البركات . ومن خلال تأثير هذه الأفلاطونية الحديثة استطاع أوغسطينوس ثانية أن يعتبر نفسه مسيحياً ، ولو أنه مسيحي غير مبال .

## أغسطينوس وأمبروسيسيوس

في عام ٣٨٤ م إنتقل أغسطينوس إلي ميلاتو حيث استمع إلي عظات أمبروسيسيوس أسقف ميلاتو القوية التي أعادت إلي أغسطينوس إحترامه العقلي للمسيحية بعد أن كان قد فقدته . وانتقلت أمه مونيكا إلي ميلاتو وحثته أن يتخلي عن محظيته ويتزوج من أخري قانونيا ، وتم عقد الزواج . لكنه لم يعاشرها معاشرة الأزواج طول حياته معها . فقد دخل أغسطينوس أقسى أزمات حياته الروحية وأكثرها بأسا فإذا كانت الأفلاطونية قد أفلحت في إقناعه عقليا بحقيقة المسيحية . فقد ظل يشعر بالإنجذاب نحو مغريات العالم " المتعة ، المال ، المجد ، المركز " . لم تكن هناك دموع الإعتراف ولا الخضوع لله ولا التواضع ، ولا الدعوة إلي الإقتداء بالمسيح . وقد قال في إحدى رسائله " في كل الجوانب أريتني وأوضحت لي أن كلماتك حق ، وأنا إذ تدينني الحقيقة والحق ليس لدي ما أجيب به سوي الكلمات البطيئة المتكاسلة " الآن ، الآن " أتركني وحدي لفترة وجيزة (16 - 10 : 1 Contra Ep . Parmenniani

## صراع أغسطينوس الروحي

كان أغسطينوس في أحد الأيام مع صديقه أليبيوس " Alypius في حديقة خارج ميلاتو . وهذه فقرة من إعتراقاته " هناك هبت في داخلي عاصفة عاتية ، مفجرة ميازيب الدمع من عيني ، فلكي أسكبها سكبيا مع ما يصحبها من صراخ ونحيب إنفردت عن أليبيوس بعيدا في خلوة وحدي حتي لا يحد قربه مني من مشاعري . وانطرحت تحت شجرة تين وأرخيت لدموعي العنان ... وصحت مع المرنم .. إلي متي يارب ؟ إلي متي يارب تحجب وجهك عني إلي متي تغضب علي ؟ إلي متي ، إلي متي ، غدا وغدا ؟ لماذا ليس الآن ؟ لماذا لا تجعل من هذه الساعة نهاية لنجاستي ؟

## خذ وإقرأ:

" نطقت بهذه الكلمات لحظة إجهاشي بالبكاء في شدة إنسحاق قلبي بمرارة....وها أن صوتا يخرج من بيت مجاور كأنه صوت صبي أو صبية ، لا أدري ، يغني ويكرر قائلاً ، " خذ وإقرأ - خذ وإقرأ " .ومن ثم حبست سيل دموعي ونهضت، مفسراً ذلك بأنه ليس إلا صوتاً إلهياً يأمرني بأن أفتح الكتاب المقدس و أقرأ أول فصل يقع عليه بصري . لأنني كنت قد سمعت أن أنطونيوس ( أنظر صفحة ١٣٦ المجلد الثاني ) دخل الكنيسة أثناء قراءة الإنجيل فسمع العبارة التي اتخذها كلمة خاصة له ، وكانت تقول " إذهب وبع أملاكك واعط الفقراء ، فيكون لك كنز في السماء وتعال إتبعني " ( مت ١٩ : ٢١ ) . وبذلك تم تجديده فوراً . بهذا الباعث الداخلي رجعت إلي حيث كان يجلس صديقي وحيث كنت قد تركت كتاب رسائل بولس .. وأمسكت الكتاب في صمت وقرأت أول ما وقع عليه نظري ، " لا بالبطر والسكر، لا بالمضاجع والعهر ، لا بالخصام والحسد ، بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات " ( رو ١٣ : ١٣ ، ١٤ ) . ولم أقرأ سواها ، ولا رأيت نفسي في حاجة إلي أكثر منها.ففي لحظة الإنتهاء من قراءة هذه الجملة ، أحسست قلبي كأنما قد غمره شهاب من نور السلام وومضة من شمس البر إختفت كل ظلال الشك وذابت " ( Confessions VIII , 12 : 29 )

## الله يجد أغسطينوس

وهكذا فإن قصة إختبار التجديد هذه شبيهة بقصة تجديد بولس الرسول في الطريق إلي دمشق . وقد تم تجديد أغسطينوس في صيف عام ٣٨٦ م . وفي وقت لاحق كتب أغسطينوس ممتدحاً ما حدث له " أحببتك ياإلهي متأخراً ، أيها الجمال ، أنت القديم وأنت الجديد . أحببتك متأخراً ! هأنت كنت في الداخل لكني كنت في الخارج " . وهناك كنت أبحث عنك ، وفي حسن خليقتك أغرقت نفسي في قباحتي،

لأنك كنت معي وأنا لم أكن معك .. أنت دعوتني وبصوت عال نفذت إلي صميمي .  
أضأت لي وأشرقت بنورك لتطرد عني عمي بصيرتي . أنت نفخت نسمة الحياة وأنا  
تنفست النسمة وأرجعت أنفاسي إليك .. أنت لمستني وأنا أكتوي في سبيل السلام .  
إذا كنت أنا ، بكل ما في داخلي ، يمكن أن أعيش مرة فيك إذن لتركني العذاب  
وهجرتني المتاعب . عندما أمتليء منك تماما ، يصبح كل شيء حياة بالنسبة لي .  
ولنذكر هنا أشهر كلمات أغسطينوس " لا يستريح قلب إنسان حتي يجد راحته فيك "  
( الإعرافات ١ : ١ )

### أغسطينوس أسقفا علي هيبو Hippo

إستقال أغسطينوس علي الفور من وظيفته كمدرس وانسحب لبضعة شهور مع  
فريق من أقرب أصدقائه وبدأ يعيد النظر في فلسفته علي ضوء اختبار تجديده . وهنا  
كتب بعض رسائله الأولى ، مقدماً إجابات مسيحية أساسية علي أسئلة فلاسفة  
الأفلاطونية الحديثة . عند حلول عيد القيامة في عام ٣٨٧ م عمده أمبروسيوس مع  
إبنه أديوداتوس وصديقه أليبيوس . وخطط آنذاك للعودة إلي ثاقاستا لكن موت أمه  
أعاقه بعض الوقت . إن وصف أغسطينوس عن هذه المأساة الشخصية هي إحدى أنبل  
الوثائق وأروعها في الأدب المسيحي 12 : IX Confessions .

وأخيرا عند وصوله إلي ثاقاستا ، قضى السنوات الأربع التالية يعيد النظر في  
آرائه اللاهوتية كما نظم شكلا لامانويا لحياة الرهبنة ، وحاول إقناع أصدقائه الذين  
سبق أن ربحهم للمانوية ، لكي يعودوا الآن إلي الكنيسة . في ثاقاستا ذاق ألم  
الفراق مرة أخرى في موت " أديوداتوس " . في عام ٣٩١ م إزدادت شهرة  
أغسطينوس إلي درجة رسامته قسيسا في هيبو وكان ذلك ضد رغبته . بعد أربع  
سنوات رسم أسقفا شريكا في كنيسة هيبو القريبة من قرطاجنة ولما مات فاليريان  
المتقدم في العمر ، أصبح أغسطينوس الأسقف الوحيد .



## زعامة أغسطينوس في " هيبو "

ظل أغسطينوس يخدم في هيبو لمدة ٣٥ سنة حتي وفاته في عام ٤٣٠ م . فجعل من هيبو مركزا فكريا ثقافيا لكل الكنيسة الغربية ، مؤسسا ديرا صار مدرسة لتعليم رجال الإكليروس . بعد عدة سنوات أصبح هذا الدير مركزا لنظام الرهبنة الأغسطينية الذي انتشر علي امتداد أوروبا . وقد كان مارتن لوثر راهبا أغسطينيا . وقد إتبع أغسطينوس نفسه في حياته أسلوب التقشف كرهبان الدير . وكان يفضل حياة التأمل ، لكنه أيضا كان أميناً لواجباته الرعوية في الأسقفية . كان يعظ كثيرا ، أحيانا مرتين في اليوم وكان مكرساً لخدمة الفقراء . في إحدى المناسبات باع أواني الكنيسة ليفتدي سجناء من السجن . وسبب حماسه وشغفه بكل الأمور اللاهوتية والكنسية وبفضل مواهبه المتميزة الفريدة فإنه سرعان ما صار الرأس المفكر للكنيسة الغربية . وكما قال عنه فيليب سكاف " في أغسطينوس تركزت كل قوة الجدل والحوار للكاتوليكية في ذلك العصر ضد الهرطقات والشقاق ، وبه نالت الكنيسة النصر عليها ( History of The Christian Church , vol III , P . 994 ) وفي آخر سنوات عمره تخربت المناطق الريفية لشمال إفريقيا عندما قامت قبائل الفاندال بغزوها (والفاندال قبائل متوحشة من شمال أوروبا) ، مات أغسطينوس آنذاك وهو محجوز في " هيبو " المحاصرة . ومات بهدوء وسلام يوم ٢٨ أغسطس عام ٤٣٠ م وهو في السادسة والسبعين من عمره .

## ٢ - أغسطينوس ضد الدوناتيين

### مشكلة الدوناتية Donatism

عندما أصبح أغسطينوس أسقفا لـ " هيبو " ، كانت في شمال إفريقيا كنيسة فبجانب الكنيسة الكاثوليكية (أي الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، أقيمت كنيسة

دوناتية منذ عصر " كبريانوس " Cyprian منذ خمس وثمانين عاما مضت ( أنظر المجلد الثاني صفحة ٨٠ ) . الدوناتيون كما نذكر انفصلوا ليكونوا كنيسة خاصة بهم احتجاجاً علي رسامة الأسقف سيسيليان Caecilian في ٣١١ م . وكان أحد الأساقفة الذين اشتركوا في إجراءات الرسامة قد سبق اتهامه بتسليم الأسفار المقدسة إلي جنود الإمبراطور خلال اضطهادات " دقلديانوس Diocletian " . ومن ثم كانت الرسامة من وجهة نظر الدوناتيين باطلة . وعلي مدي القرن الرابع إستمر هذا الجدل في شمال أفريقيا وإيطاليا . علماً بأنه لم يكن هناك فرق البتة بين الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية في العبادة والتنظيم والفكر اللاهوتي . إلا أن الدوناتيين إعتبروا أنفسهم الكنيسة الحقيقية وكل الكنائس الأخرى مرتدة \* . وكانت لهم كنائس كثيرة العدد وموجودة في كل مدينة تقريبا جنبا إلي جنب مع الكنائس الكاثوليكية الموالية لروما وكان للدوناتيين قيادة معبرة ومقتدرة . وقد إشتدت المشاعر المريرة بين الفريقين بسبب الأعمال الإرهابية التي شنتها العصابات الدوناتية المسلحة ( أنظر المجلد الثاني صفحة ١٢٦ ) .

### الدوناتية تهدد وحدة الكنيسة

فيما يختص بأغسطينوس كان عار الدوناتيين في رأي أغسطينوس هي إنتهاكهم لوحدة الكنيسة . كما كتب لهم " أنتم جميعا مذنبون بجريمة الإنشقاق ، ولا يمكن لأي

---

\* لاحظ هنا الفرق بين الإنشقاق والهرطقة Schism & Heresy . فالإنشقاق معناه الانفصال عن الكنيسة بسبب موضوع نظام الكنيسة أو سياستها ، بينما الهرطقة معناها إتباع عقيدة أو مبدأ يخالف الفكر اللاهوتي المسلم به ( كما في حالة الأريوسيين ) . وعلي أي حال فكما قال توما الأكويني : من أول نظرة ومن زاوية واحدة يبدو الشقاق أمرا مختلفا عن الهرطقة ، لكن لا يوجد شقاق لم يكون لنفسه هرطقة ما - مثل - أنه من الصواب أننا تركنا الكنيسة " Summa ( Theologie XXXIX وقال أغسطينوس نفسه ، : "الهرطقة هي إنشقاق فما وكبر " .

واحد منكم أن يدعي أنه لم يشترك في ذلك الإنتهاك البشع طالما أنه يرفض الدخول في شركة مع وحدة كل الأمم Contra lit Petiliani II: 180 . لقد كان أغسطينوس ينمي مفهومه عن " مسكونية " وشمولية الكنيسة ، بينما كانت الدوناتية تحدياً لذلك المفهوم. ويصف ذلك بول جونس مؤرخ الكنيسة فيقول : " كانت هذه خطة الله . كان لدي أغسطينوس وجهة نظر عن تطور البشرية وهي أن هناك ستة عصور ، والإنسان يعيش الآن في العصر الأخير، بين المجيء الأول للمسيح ومجيئه الثاني ، حيث تستوعب المسيحية العالم تدريجيا إستعدادا للعصر السابع والأخير . وقد بدأ الدوناتيون - في مواجهة خلفية هذا المفهوم - ضئيلي التفكير بطريقة سخيفة. لقد أدركوا جدية المسيحية . ولكن بإنزعاجه بسبب ما فعله بعض الأساقفة ... في وقت معين ومكان معين ، فقدوا رؤية مقياس الإيمان الضخم الهادف وتطبيقه علي كل الأمكنة والأزمنة والأحوال. وقد كتب أغسطينوس قائلا " السحاب يقصف الرعد مدويا بأن بيت الرب سوف يبني في كل الأرض و أن هذه الضفادع تقبع في مستنقعها وهي تنق نقيقا بالقول " نحن وحدنا المسيحيون " .

### أغسطينوس يهاجم الدوناتيين

رفض الدوناتيون من ناحيتهم ، رفضا باتا صلاحية كل ممارسات الأسرار المقدسة التي يؤديها غيرهم في الكنائس الأخرى . فعلي سبيل المثال فإن أي شخص يدخل كنيستهم ، حتي وإن كان قد اعتمد في الكنيسة الكاثوليكية ، يتحتم أن يعمد من جديد. ومن وجهة نظرهم ، فإن الكاثوليك باحتفالهم بذكرى سيسيليان كقديس راحل ، قد دنسوا الطهارة الأخلاقية والطقسية للكنيسة . فرد عليهم أغسطينوس أول كل شيء بإنكار التهم القديمة ضد رسامة سيسيليان . كما رفض أيضا وجهة نظر الدوناتيين المتطرفة عن طهارة الكنيسة قائلا إن الكنيسة مثل فلك نوح الذي ضم الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة . كذلك إستشهد بمثل يسوع عن الحقل الذي نمت فيه الحنطة مع الزوان جنبا إلي جنب إلي يوم الدينونة . وثانيا لاحظ أغسطينوس أن

الدوناتيين لم يمكنهم الإدعاء بأنهم جزء من الكنيسة الشاملة العامة بمعناها المسكوني لأنهم ليسوا في شركة مع كنيسة أورشليم أو الإسكندرية أو أي كنيسة أخرى . الأمر الثالث يختص بصلاحيّة الأسرار المقدسة . إن صلاحية السر المقدس عند الدوناتيين ، إعتمدت علي السمعة السليمة للخادم ( من هنا كانت رسامة سيسيليان باطلة بسبب اشتراك أسقف خارج عن الكنيسة ) . أما أغسطينوس فكان رأيه متفقا مع قرار مجمع " Arles " أزلز " في فرنسا عام ٣١٤ م بأن الأسرار المقدسة لا تخص خدمة الوظيفة الكهنوتية بل تخص المسيح . لذلك فالصلاحية تعتمد علي إتمام أمر الرب بالتعميد في الماء بإسم الثالوث الأقدس . لكن صلاحية وفعالية الأسرار المقدسة لا تعتمد علي سمعة الشخص الذي يؤدي المراسيم ولا علي أخلاقه ولا علي سيرته الروحية ، وبناء علي هذا الأساس كان أغسطينوس مستعدا أن يعترف بصلاحية وفعالية الأسرار المقدسة التي تؤدّي في كنائس الدوناتيين .

### الدوناتيون يجبرون علي العودة إلي الكنيسة

نتيجة لإلحاح أغسطينوس عُقدت مؤتمرات عديدة لحل الموقف وإعادة الدوناتيين إلي الكنيسة الكاثوليكية . لكن الدوناتيين كانوا مرتبطين عاطفيا بتاريخهم بشدة ، ولم يشعروا نفس الشعور بأن الإنقسام عار وفضيحة بل كانوا يعيدون ويكررون نفس الحجج القديمة . وقد تمسك أغسطينوس في المراحل الأولى بأن المنطق والحوار والحجة هي الوسيلة الوحيدة التي ينبغي استخدامها في إقناع الدوناتيين بالعودة . لكن بمضي الوقت إزدادت المناقشات حدة وتهكما وصارت النتائج أقل . إقتنع بأن القوة لها ما يبررها . فطبق الآية التي نطق بها يسوع في المثل حين قال " ألزمهم بالدخول " ( لو ١٤ : ٢٣ ) . وانهقد مؤتمر أخير في قرطاجنة في مايو / يونية عام ٤١١ م برئاسة مندوب الإمبراطور ويبين محضر هذا الإجتماع صورة حية لقوم حانقين في حرارة الصيف مرددين مرة أخرى الحجج المألوفة غير القابلة للتساهل أو المصالحة . بل رفض الدوناتيون حتي الجلوس مع " الأشرار " . حزب أغسطينوس . وبفضل الشاعر



الشعبية المتزايدة ضد الدوناتيين ومساندة أوريليوس أسقف قرطاجنة الكاثوليكي Aurelius ، استطاع حزب أغسطينوس أن يستميل البلاط إلي جانبه في هذه القضية. عندئذ حظر الإمبراطور هونوريوس Honorius عام ٤١٢ نشاط الدوناتية ، وفرض الغرامات والعقوبات المالية علي من استمر دوناتياً في عبادته . وقد تم نفي رجال الإكليروس الدوناتيين وصودرت أملاك الدوناتيين . وهكذا بانقلاب قوة الدولة ضدهم ، ضعفت الكنيسة الدوناتية ضعفا شديدا . إلا أن الدوناتية لم تمت وبقيت حتي القرن السادس وكانت من القوة حتي أنها سببت المتاعب للبابا أغريغوريوس في عام ٥٩٠ م لكنها صارت في حالة متهالكة متداعية بحيث إختفت أخيرا بجملتها مع مجيء الإسلام . ولم تقدر حتي الكنيسة الكاثوليكية في شمال أفريقيا علي الإستمرار عند مجيء الإسلام .

### **أغسطينوس وإستخدام القوة**

ظل تشجيع أغسطينوس لإستخدام القوة موضع شك . وكانت حجته غريبة لكن متفق مع فكره المتطور عن الكنيسة . فكان يعتقد أن الآدميين يخطئون بالضرورة لو تركوا و شأنهم . فبدون عقاب وتهديد الكنيسة وإجبار الدولة ، يستخدم الناس " حريتهم " في إختيارات خاطئة . وكان هذا المذهب الجبري عن الكنيسة إعدادا لظهور المذهب الجبري عن النعمة .

### **٣ - الفكر اللاهوتي لدي أغسطينوس**

#### **تقييم الفكر اللاهوتي لدي أغسطينوس**

مع أن أغسطينوس واجه نقدا قاسيا لموقفه المتشدد المؤيد للمذهب الجبرية ، فإنه



أيضا نال الإعجاب والاستحسان باعتباره أعظم اللاهوتيين أثرا في الكنيسة الغربية فلم يكن لعمق واتساع تفكيره نظير في عالم الفكر اللاهوتي .

فيما يلي تقييم غير إنتقادي عن أغسطينوس كتبه أحد مؤرخي القرن التاسع عشر. "كان كاثوليكيًا بدرجة كافية لقبوله مبدأ السلطة الحرة ومع ذلك كان في نفس الوقت حراً إنجيلياً لدرجة أنه أجري تعديلاً في سمة السلطان والمقدسات وسماتها الخاصة بالأسرار المقدسة ، وقاوم إتجاهاتها نحو نظام عبادة الطقوس الميكانيكية الآلية .

وحافظ علي إبقاء الوعي العميق بالخطية والنعمة وعلي روح الحماس للتقوي المسيحية الحقيقية إلي أن إزدادت هذه الروح في القوة لتكسر القشرة التي غلفت وصاية سلطان الكهنوت ، وتدخل مرحلة جديدة في تطورها . لا يوجد بين الآباء أكثر من أغسطينوس من استطاع أن يعمل ويأتي بكل هذه الفوائد الكاثوليكية في العصور الوسطي ، وأعد للإصلاح الإنجيلي بنجاح كبير ليس من قام بهذا أكثر من القديس أغسطينوس ، خليفة بولس بجدارة والبشير الذي مهد الطريق قدام لوثر وكلفن (

( Schaff , Philip , History of the Christian Church Vol . III , p . 1026 .

## علاقته الشخصية مع الله

كان أغسطينوس مملوءاً بروح التوسل في تعبيره عن علاقته الشخصية بالله .

فيوجد دفء وعاطفة في كل سطر من وصفه كيف يمكن للإنسان أن يكتشف الله في الطبيعة " . "بعض الناس يقرأون الكتب كي يكتشفوا الله . لكن هناك كتاب عظيم ، هو المظهر الحق لكل المخلوقات . أنظر فوقك ! . أنظر تحتك ! . لاحظته وإقرأه . الله الذي تريد اكتشافه لم يكتب أبداً ذلك الكتاب بالخبر ، بدلاً من ذلك رتب أمام عينيك الأشياء التي صنعها . هل يمكن أن تبحث عن صوت أعلي من ذلك ، لماذا ، فالسموات والأرض تصرخ في أذنك : " الله سوانا ! وصنعنا ! " ( Mal CXXXVI : 6 )

## بحث الإنسان عن الله

لأغسطينوس أوصاف بليغة عن روح الإنسان ، ودقله ، وإرادته ، وقلبه ، التي تناضل جميعها دائما من أجل أن تجد طريقها إلى الله . المحبة للعقل هي كما الثقل للجسد - فالجسد بثقله يكافح متجها نحو مكانه - النار تتجه إلى أعلي ، والحجر إلى أسفل - كلها تساق بدافع من ثقلها سعيا وراء أماكنها ومواقعها الخاصة بها - الزيت إذا صب تحت الماء يرتفع فوق الماء ، والماء إذا صب علي الزيت هبط إلى أسفل تحت الزيت - إنها مدفوعة بأوزانها للبحث عن أماكنها - فإذا خرجت عن النظام إنتابها القلق ، فإذا ما استعادت النظام إستراحت وسكنت - وزني هو محبتي ، بذلك أنقل إلي حيث يحملوني مهما يكن المكان " ( Confessions XIII : 9 : 10 ) .

## الإتحاد مع الله

هذا المسعي الحماسي نحو الإتحاد مع الله يعبر عنه أغسطينوس المرة بعد المرة ليس فقط في " الإعتراقات " بل في مواعظ ورسائل عديدة .

" كل رجائي في عظيم رحمتك الفائقة الحدود . هبني ما تأمر به ومرني بما تريد " ( Confessions x : 29 ) " الإرادة موجودة بالتأكيد لدي كل الناس نعم ، فنحن جميعا لا شيء آخر سوي الإرادات " . " لكن " الإنسان " الذي يعرف الصواب ويفشل في فعله ، يفقد القوة لمعرفة ما هو صواب ، و ( الإنسان ) الذي لديه القوة أن يعمل الصواب ، يمتنع ، يفقد القوة لإتمام ما يريد ( De Vera Religione xx ) الأرادة الصالحة يُنادي بها كأعظم عطية من الله للإنسان . النعمة تكون المصدر لإمداد الإرادة بالطاقة والقوة ، التي هي صالحة ( De - Spiritu El Littera v ) - " محبة الذات تتحول بالنعمة إلى محبة الله " . " كمال النعمة كمال الحرية . " Contra Duas Epist . Pelag II : 9 .

12. ,

## الشخصية الإنسانية والله

لا يوجد كاتب آخر قبل أغسطينوس إهتم بعناية ، بكل جوانب شخصية الإنسان وعلاقة هذه الشخصية بالله الحي " من الروح والجسد عنصري الإنسان، نصل إلي الوحدة الكاملة التي هي الإنسان . بناء عليه ليست حياة الروح شيئاً وحياة الجسد شيئاً آخر ، لكن كليهما واحد ونفس الشيء ، أي ، حياة الإنسان كإنسان ( De Civitatis - Dei XIV : 4 ) إشتاق أغسطينوس أن يتشارك مع الآخرين في عجائب حياته مع المسيح . وقال في إحدى عظاته ، " لماذا أحيأ ؟ ما لم يكن في الإمكان أن نحيأ سويًا مع المسيح . هذه رغبتني ، شرفي ، ومجدي . هذه فرحتني ، هذه ثروتني . إن كنت أتكلم - ولو أنك لا تصغي - فلقد أدبت واجبي لكنني لا أرغب في نوال الخلاص بدونك " .

## الثالث

كانت معالجة أغسطينوس للأوجه الرسمية الخاصة بالفكر اللاهوتي متأثرة بخلفيته عن الأفلاطونية الحديثة . وقد ركز علي وحدة اللاهوت في الثالث . ويقول في كتابه " الثالث " : De Trinitatis " الآب و الإبن والروح القدس ، إله واحد ، وحده مفرد ، عظيم ، كلي القدرة ، صالح ، عادل ، رحيم ، خالق كل الأشياء . ما يري وما لا يري ( VII : 6 : 12 ) الآب والإبن والروح القدس من نفس الجوهر الواحد ، الله الخالق ، الثالث كلي القدرة يعمل وهو غير قابل للإنتقسام ودون أن يتجزأ ( IV : 21 ) " ليسوا ثلاثة آلهة ولا ثلاثة صالحين ، بل إله واحد ، صالح كلي القدرة ، الثالث نفسه ( Preface 8 ) . إن إدراك أغسطينوس لوحدة ومساواة الأقانيم الثلاثة قاده إلي إدراك أن الروح القدس ينبثق من الآب والإبن . هذا هو مفهوم ال "فيليوخ" Filioque \*

---

\* " فيليوك " هي التعبير اللاتيني الذي يعني أن الروح القدس ينبثق من الآب والإبن .

(والإبن أيضا ) الذي أدرج في الترجمة اللاحقة للعقيدة النيقوية التي وافق عليها مجمع توليدو " Toledo " الثالث عام ٥٨٩ م . وأصبحت دستورا نهائيا وحاسما للكنيسة الغربية لكنها ظلت حتي اليوم موضع نقاش بين الأرثوذكس، والكاثوليك الذين كانت اللاتينية لغتهم في القداس .

## التعاليم المتعلقة بلاهوت المسيح

في شرحه اللاهوتي لشخص المسيح أكد أغسطينوس الناسوت كما أكد اللاهوت " يسوع المسيح ، إبن الله ، هو الله والإنسان ، الإله قبل كل الأكوان ، الإنسان في عالمنا .. ومن ثم ، طالما أنه هو الله ، فهو والآب واحد ، وطالما أنه إنسان ، فالآب أعظم منه " ( Enchiridion 35 ) لا يمكن لخطية آدم أن تغتفر وتمحي إلا بالوسيط الوحيد بين الله والإنسان ، يسوع المسيح الإنسان ( Enchiridion 48 ) . ( وقد أكد أغسطينوس بشدة علي إتضاع المسيح الوسيط الحق ، الذي في رحمتك الخفية أظهرته للمتضعين وأرسلته حتي يتعلموا بمثاله نفس التواضع " ( Confessions x: 43 )

## الخطية والخلاص

إن أعظم العقائد المثيرة للجدل التي تحدث عنها أغسطينوس هي ما يتعلق بالخطية والخلاص . فطبقا لرأي أغسطينوس ، وأن الإنسان خلق في الأصل بلا خطية . لكن حينما قام آدم في كبريائه بمعصية الله ، صار سقوطه من النعمة أمراً موروثاً لكل الجنس البشري من بعده وقد بني أغسطينوس عقيدته علي كلمات بولس ، " بإنسان واحد (آدم) دخلت الخطية إلي العالم .. إذ أخطأ الجميع " ( رو ٥ : ١٢ ) ، علاوة علي ذلك فإن خطية الإنسان صارت أخط وأردأ لأن الجميع يولدون نتيجة إتصال جنسي بين الرجال والنساء . والنتيجة أن كل الجنس البشري من الكبير حتي أصغر رضيع أو وليد ، جميعهم . كتلة من الهلاك الأبدي" ، وبهذه الحالة يستحقون غضب

الله . ومن هذه الحالة الميثوس منها للخطية الأصلية ، ليس هناك ولا واحد ، كلا ، ولا واحد حصل علي الخلاص أو يكون مخلصاً أو سوف يخلص علي الإطلاق ، إلا بنعمة الفادي ( Original sin 34 ) .

## التعيين السابق

عقب ذلك كان منطقياً جداً في رأي أغسطينوس حيث أنه ليس في الإنسان شيء يستحق الخلاص ولا لديه القوة للحصول عليه ، فإن هذا الخلاص يمكن أن يأتي فقط عن طريق عمل نعمة الله ، أي إرسال ابنه ليحيا ، ويموت ، ويقوم ثانية. لكن هذا العمل الخلاصي ، فعال ونافذ المفعول فقط لمن يختارهم الله . لذلك فإن الله يعين سابقا البعض للخلاص والبعض للهلاك وأكثر من ذلك إن النعمة التي يخلص الله بها الإنسان لا تقاوم . فلا يقدر المختار أن يرفضها كما لا يقدر أن ينالها المحكوم عليه بالهلاك الأبدي . حينئذ تعمل النعمة داخل المؤمن لتقديسه ويقول أغسطينوس " النعمة دواء الروح تعمل من الداخل ، كما يعمل الدواء من الخارج علي الجسد " De Civitatis (6 : Dei XV) إن النعمة تحرر الإرادة لتختار ما يرضي الله ، " ليس فقط لكي يعرفوا من ظهور هذه النعمة ، ما ينبغي أن يفعلوه ، لكن أكثر من ذلك لكي بقدرتها يمكن أن يتمموا بالمحبة ما يعرفونه التبويخ والنعمة " . ( Rebuke and Grace 3 )

## تأليه المسيحي

فوق ذلك فإن من نال الخلاص سيتمتع بنوع من التأليه . " الله يريد أن يجعل منك إلهاً ، ليس بالطبيعة مثل ابنه الوحيد الذي له ، لكن بالعطية والتبني ، لأنه كما بالناسوت صار مشاركا في موتك وفنائك كذلك بالإرتفاع يجعلك شريكا في خلوده " ذاك الذي هو إله صار إنسانا " لاهوت الإبن صار شريكا في موتنا حتي نكون نحن شركاء له . في الخلود والحياة الأبدية " .



## تأثير أغسطينوس علي الآخرين

سادت آراء أغسطينوس عن الخطية والخلاص علي فكر الكنيسة وسيطرت عليه لعدة قرون من الزمن ، حتي أنه يمكن بسهولة التعرف عليها في الفكر اللاهوتي لدي كالفن والمصلحين الذين إتبعوا تلك المدرسة بعينها . أما كيف هاجمها الراهب الأيرلندي " بلاجيوس " في نفس عصر أغسطينوس ، فستدارسه معا في فصل لاحق.

## التعليم المتعلق بالكنيسة

أما من جهة عقيدة أغسطينوس عن الكنيسة فقد إعتبرها أغسطينوس أساساً الجسد السري للمسيح . " رأس الكنيسة هو المسيح . والكنيسة جسد المسيح " لكن أيضا " الرأس والجسد مسيح واحد ، ليس لأنه غير كامل بدون الجسد ، لكن لأنه أيضا تنازل ليكون كاملا بنا ومعنا ، و هو الذي بدوننا كامل وتام " Homilies on I John VI. 10. إن الكنيسة أيضا هي شركة المحبة ، وشركة من يحبون معا الله وأبناء الله في المسيح ، وكما سبق القول ، كان لأغسطينوس إهتماما عظيما وتقديرا كبيرا لوحدة الكنيسة . فقد اغتم وتألم كثيرا بسبب الانقسام الذي سببه الدوناتيون ، ومع ذلك كان مستعدا أن يعترف بصلاحيه أسرارهم المقدسة ، ولذلك فإنه إلي حد ما بمعنى آخر ، لم يزل معترفا بهم كجزء من جسد المسيح . وكما قال أغسطينوس " كل الأشياء ( أي المقدسات والأسرار المقدسة ) كانت في الحقيقة لهم من قبل ، لكنها لم تنفعهم بشيء ، لأنهم كانوا مجردين من المحبة . فأني حقيقة توجد في الإعتراف بالمحبة المسيحية عند ذاك الذي لا يعتنق وحدة الكنيسة ؟ لذلك عندما يرجعون إلي الكنيسة الكاثوليكية ، يريحون بذلك ، ليس ما كانوا يمتلكونه بالفعل ، بل يريحون شيئا لم يكن عندهم من قبل وهو أن تلك الأمور التي امتلكوها ، تصبح حينئذ نافعة لهم ومفيدة . لأنهم في الكنيسة الكاثوليكية ينالون جذور المحبة في رباط السلام وفي شركة الوحدة " . ( Letters XXI : 2 )

## لا خلاص خارج الكنيسة

يتفق أغسطينوس مع " كبريانوس " ( المجلد الثاني صفحة ٨ . ) علي الاعتقاد بأنه لا خلاص خارج الكنيسة . لكنه إعتقد أن أعضاء الكنيسة الحقيقيين هم عدد ثابت محدد من القديسين المعينين قبل تأسيس العالم ، والمعروفين لدي الله وحده . " ويقول أغسطينوس ، : " هناك البعض من الذين يعيشون حتي الآن في الشر ، أو حتي ينغمسون في الهرطقات ، أو في خرافات الأمم ، وحتى ذلك الوقت فإن الرب يعرف أنهم خاصته لأنه ، في علم الله المسبق ، ذلك العلم الذي لا يوصف ، كثيرون ممن يبدو كأنهم من داخل ، إلا أنهم في الحقيقة من خارج " ( On Baptism V . 2 ) . وبالعكس ، كثيرون ممن نحكم أنهم من خارج ، يأتون إلي الداخل من خلال مشيئة الله البعيدة عن الفهم .

## مدينة الله

إن أشهر أعمال أغسطينوس كلها هو كتابه التذكاري " مدينة الله " ، في إثنين وعشرين مجلدا ، وقد كتبه في مدة ثلاث عشرة سنة ويعبر الكتاب عن فلسفته للتاريخ الذي حدد علاقة الكنيسة بالدولة . ففي " مدينة الله " يمكن أن تجد فكرة الدولة الشيوقراطية ( التي يديرها الكهنة ) ، وهي التي سادت أوروبا في العصور الوسطي . وقد بدأ أغسطينوس هذا العمل الضخم العظيم جوابا علي الإتهام القائل بأن روما سقطت في أيدي القوطيين عام ٤١٠ م بسبب إهمال عبادة آلهة الأوثان ، وبعبارة أخرى كانوا يحاولون وضع اللوم علي المسيحيين . بدأ أغسطينوس إجاباته بأن من طبيعة هذا العالم أن يوجد فيه الشر والألم والعذاب والضياع . لم تكن روما لتنجو من ذلك أكثر من أي مدينة أخرى . علاوة علي ذلك ، كان في روما مسيحيون فعلوا الكثير لإنقاذ الشعب من الأذى . و لم تكن الكنيسة هي التي رغبت في سقوط المدينة . كما كان أغسطينوس يعتقد أيضا أن التخلص من الآلهة القديمة وفقدانها قد

مهد الطريق لمجيء المسيح الله الحق . وقال في إجابته : " إنه هنا يستقر الأمان لدولة باهرة ، لأنه لا يمكن تأسيس أي مجتمع بطريقة مثالية ولا استمراره إلا علي أساس ورياط الإيمان والتناسق القوي ، حين يكون هدف المحبة وموضوعها هو الصلاح الشامل الذي في ذروته وأصدق سماته هو الله نفسه ، وحينما يحب الناس بعضهم البعض بكل الإخلاص في الله ، والأساس لمحبتهم الواحد للآخر هو محبة الله الذي لا يمكن أن يحجبوا روح محبتهم عن عينيه " . ( Epistle and Volusianum 137 : 17 ) .

### نظرة أغسطينوس إلي التاريخ

ثم ينتقل أغسطينوس إلي نظريته في التاريخ ، مدينتان تكونهما محبتان. المحبة التي تنشط المجتمع الدنيوي هي محبة الذات لدرجة الاستخفاف بالله ، وتلك التي تنعش المجتمع الإلهي هي محبة الله لدرجة إزدراء الذات . الواحدة تفتخر بنفسها علي نفسها ، أما الأخرى ففخرها بالرب . الواحدة تنشد المجد من الناس ، الأخرى تحسب وجدانها ووعيها بالله كأعظم أمجادها ( De Civitatis Dei XIV : 28 ) ، إن المدينة الأرضية بإلهها - متحدية الروح - شر لا بد منه للزمن الحاضر. فهي تحفظ السلام والنظام المدني، لكن يجب أن تفسح المجال في النهاية وأخيرا لمدينة الله النامية .إن من تتكون منهم مدينة الله هم المختارون الذين اختارهم للخلاص . الكنيسة المنظورة المنظمة الرئاسة والإدارة هي مدينة الله التي يجب أن تحكم العالم أكثر فأكثر. وستوجد الدولة الدنيوية بجانبها لكنها تزداد إندماجا في الكنيسة وتتخللها وتصبح تحت سيطرة وسيادة الكنيسة التي بقيادة المختارين كان واجبها أن تحوّل ، وتمتص وتكمل كل ارتباطات العلاقات الإنسانية القائمة، وكل الأنشطة الإنسانية والمؤسسات وداياتير البشر ، وأن تنظم وتقن وتعلي كل أوجه الحياة . ( Johnson , Paul , A ) History of Christianity , P . 115 . وأخيرا فإن الكنيسة نفسها هي المجتمع المسيحي ، المؤلف من كل الأمم والحضارات والثقافات ، وكلها علي مستوي واحد ، لأن الجميع خطاة ، والجميع عليهم نفس الواجبات والإلتزامات محصورون بناموس

المحبة . إذا كانت هناك قيادة ، فلتكن " أسقفية " وهو الإسم ليس للتمييز لكنه إلتزام . هذا المجتمع الكامل " يحسم جوهر السلام الذي يعرض أكمل مقياس للنظام والارتباط سلام الرابطة التي يتمتع أعضاؤها بالله ويتمتع الواحد بالآخر في الله " . De ( Cevitatis Dei XIX : 13 ) .

## ٤ - النزاع والجدل والمناظرات مع بلاجيوس

### بلاجيوس وحرية الإنسان

كان بلاجيوس راهباً أيرلندياً ظهر في روما حوالي عام ٤٠٠ م . وكان رجلاً وافر التعليم وعظيم الإهتمام بالأخلاقيات . فلما صدمته المستويات الأدبية والأخلاقية الدنيئة التي شاهدها في المدينة الخالدة ، روما ، بدأ حملة للإصلاح . وكان يؤمن أنه في إمكان قوة وطاقة الطبيعة البشرية أن تنصلح وتتحسن وأن إرادة الإنسان حرة في صنع الإختيارات الأخلاقية الأدبية . ومن وجهة النظر اللاهوتية ، أنكر أن الخطية الأصلية موروثه عن آدم . فخطية كل إنسان تخصه وحده وتقع عليه وحده . فإن آدم أعطي مثالا سيئاً ، لكن خطأه لم ينتقل للجنس البشري من بعده . لكنها أضلته فقط . لما قرأ بلاجيوس جملة أغسطينوس القائلة : " هبني ما تأمر به ، ومرني بما تريد " رفضها معتبراً أنه إنكار لحرية الإنسان ومسئوليته . إن إتكال كل الناس علي النعمة - في نظر بلاجيوس - خفض من قيمة النعمة ، وثبط همة الإنسان للسعي الأخلاقي الأدبي .

### أغسطينوس يهاجم بلاجيوس

لم يدخل أغسطينوس في نقاش وجدل مع بلاجيوس حتي وصل رفيق لبلاجيوس يدعي سيلستيوس إلي قرطاجنة سعياً وراء الرسامة . وقد إتهم سيلستيوس



بالبيلاجيوسية ووجه إليه اللوم رسميا من سنودس إنعقد في قرطاجنة عام ٤١٢ م . وعندئذ رافق بيلاجيوس شرقا في اورشليم حيث وجدا معارضة أقل لآرائهما . حينئذ بدأ أغسطينوس يهاجم أفكار بيلاجيوس . فكتب كتابا عنوانه " عن الحرف والروح " On The Letter and the Spirit بين فيه " أن الحرف الذي يقتل هو الناموس الموسوي الذي وضع ما يجب علي المرء أن يفعله لكن لم يمنحه القوة لإتمامه ، والروح الذي يحيي هو الروح القدس الذي به ارتفعت الإرادة وجعل في الإمكان طاعة ناموس الله " . وقد اعتبر أغسطينوس أن بيلاجيوس أخطأ بإنكاره الخطية الأصلية ورفضه الخلاص بالنعمة المسكوبة ، ويتأكده علي قوة الإنسان في أن يحيا بدون خطية . واشتبك جيروم في النقاش ، وكان في نقده قاسيا جدا علي بيلاجيوس ، ودعاه " كلبا بدين الجسم يزداد وزنا يأكل الشريد الأسكتلندي . علي أن بيلاجيوس وجد في فلسطين كثيرين آخرين يتعاطفون معه . وفي عام ٤١٥ م في " مجمع اللد " أعلنوا أنه مستقيم العقيدة .

### إدانة البيلاجيوسية

قام أغسطينوس عندئذ بحملة أشد عنفا ضد بيلاجيوس . فأقنع أعضاء مجلسين في شمال أفريقيا بإعلان أن بيلاجيوس مهرطق لأنه أنكر الصلاة ومعمودية الأطفال (وهي إتهامات أنكرها بيلاجيوس) وأيد البابا " إنوسينت " الأول Innocent 1 القرار. لكن البابا زوسيموس Zosimus الذي خلف إنوسينت الأول بعد بضعة شهور، إقتنع برأي سيلستيوس بأن يقلب القرار . لكن في عام ٤١٨ م كان أغسطينوس قد اتصل بالإمبراطور هونوريوس Honorius في بيزنطة الذي أصدر مرسوما إمبراطوريا يدين البيلاجيوسية وأمر بنفي من ينادون ويعلمون بها . عندئذ غير البابا زوسيموس قراره ليتفق مع مرسوم الإمبراطور . ولا نسمع شيئا بعد ذلك عن بيلاجيوس . لكن أحد تلاميذ أغسطينوس السابقين ، جوليان أسقف إيكلاثم ، في جنوب إيطاليا دافع عن القضية البيلاجيوسية واحتج بأن أغسطينوس جعل اعتقاده السابق بالمانوية يؤثر علي فكره اللاهوتي المسيحي وأن صلابته في تعليم " سبق التعيين " هو إساءة إلي



الحرية المسيحية . لم يكن مصير جوليان أفضل من بيلاجيوس وأرغم علي الرحيل إلي المنفي في الشرق . ومع أن الكنائس الشرقية بدت أكثر قبولا للبيلاجيوسية ، إلا أن البيلاجيوسية إديننت في المجمع المسكوني الثالث في أفسس عام ٤٣١ م .

## كاسيانوس ( كاسيان ) والبلاجيوسية

كان هناك عدد من القادة الذين واصلوا النقاش حول هذا الموضوع ، أخذ بعضهم جانب بيلاجيوس ، والبعض الآخر جانب أغسطينوس لكن الكل يحاول إيجاد حل وسط. كان يوحنا كاسيان John Cassianus أحد هؤلاء ، وقد سافر بكثرة إلي الشرق و أصبح ملماً بحركة الرهبنة في مصر، وقد أسس كاسيان ديرا للرهبان وآخر للراهبات في مرسيليا حوالي عام ٤١٥ م . وإذا كان علي علم بسير المناقشة بين أغسطينوس وبيلاجيوس كتب إنطباعه واستجابته للجدل في صورة حوار ومناظرات مع الرهبان المصريين وفي رأيه ، " تبقى الإرادة حرة دائما في الإنسان . فيمكنها إما أن تهمل نعمة الله أو تبتهج بها " مناظرات يوحنا كاسيان Cassianus Conversation 12 وقد إتفق كاسيان مع أغسطينوس علي أن الإنسان يحتاج في كل نقطة وفي كل أمر إلي النعمة الإلهية . وكما شرحها كاسيان ، فإن قلب الإنسان مثل حجر الصوان أو حجر القداحة الذي يقده الله ، لكن عندما يري الله شرارة الإستجابة الأولي ، يصب نعمته في الإنسان . إن المقدرة علي صنع أول تحول للإرادة تجاه الله هي عطية النعمة . لكن التحول الفعلي هو تعاون الإرادة الطبيعية مع معونة الله الرحيمة . وقد رفض كاسيان رفضا باتا فكرة أن النعمة قوة لا يمكن مقاومتها أو ضياعها أو فقدانها .

## إستمرار الحوار

الواقع أن المناظرة حول العلاقة بين إرادة الإنسان الحرة وقوة نعمة الله لم تتوقف

البتة في الكنيسة . فإلي يومنا هذا يمكن أن نراها في عقيدة سبق التعيين التي ينادي بها أتباع كالفن المدققون ، والإرادة الحرة التي يقول بها الوسليون الميثودست أتباع وسلي Wesleyan Methodists .

## التأثير المستمر لأغسطينوس

مهما يكن شعور الإنسان نحو أغسطينوس ، فلا شك أن أعماله وشخصيته ألقت ظلها علي تاريخ الكنيسة الغربية . لقد تأثرت الكنيسة في عقيدتها وفي بنائها وتركيبها وتشكيلها وتاريخها بأغسطينوس كما لم تتأثر بأي شخص آخر. ويقدم له مؤرخ حديث هذه التحية ، " إن حضارة مدينة العالم المسيحي في العصور الوسطي تدين له (أغسطينوس) أكثر من أي شخص آخر بين آباء الكنيسة. فلقد إتجه إليه كل من غريغوريوس الكبير(بابا روما. ٥٤ - ٦٠٤ م) بخصوص التفسير الكتابي والفكر اللاهوتي ، وشارلمان ( أول إمبراطور للإمبراطورية الرومانية المقدسة بشأن النظرية السياسية ، ويونا فينيتورا أول لاهوتي فرنسيسكاني ) بشأن الصوفية ، وأكويناس ( العالم اللاهوتي الدومنيكاني في العصر الوسيط عام ١٢٥٠ ) عن عناصر الفلسفة المدرسية للقرون الوسطي . وفي وقت لاحق ومع مجيء الإصلاح أصبح لوثر وكالفن من تلاميذه ، ومن بعدهما باسكال (الفيلسوف الفرنسي عام ٦٥٠ م ) . وكان كل منهم يأخذ من أسقف هيبو، محركاً قويا يبعث به حياة التقوي المسيحية من جديد .

Bottenhouse R.W - A Companion of the Study of ST . Augustine New York,  
Oxford (1945, p 54)

## **Recommended English Readings**

- 1 - Boer , H.R.A **Short History of the Early Church** , pp . 158 - 163 .
- 2 - Bruce , F.F.**The Spreading Flame** , pp . 333 - 339
- 3 - Chadwick , Henry -**The Early Church** , pp . 216 - 236 .
- 4 - Foster , John -**Church History 1 , The First Advance** , pp . 126 -129
- 5 - Frend , W.H.C.-**The Early Church** , pp . 210 - 220 .
- 6 - Latourette , K.C. A -**History of Christianity** , pp . 96 , 97 , 173 - 181 .
- 7 - Schaff , Philip -**History of the Christian Church** , vol . 111 , pp . 785 - 870 .
- 8 - Walker , Williston -**A History of the Christian Church** , pp . 160 - 172.
- 9 - Wand , J.W.C . -**A History of the Early Church to A . D . 500** , pp 224 - 233 .

For a Catholic appreciation of Augustine see : Pope , Hugh , O.P. , **ST . Augustine of Hippo** , Image Books , New York ,1961 .

# ٨ - المنازعات حول " العقيدة في المسيح "

## ناسوت المسيح ولاهوته

كان الموضوع اللاهوتي الذي استغرق مفكري القرن الرابع يختص بعلاقة الأقانيم الثلاثة لله - الآب والإبن والروح القدس . هل هم متساوون ؟ أو هل الإبن والروح القدس أدنى مرتبة من الآب ؟ أو هل هما صورتان أو شكلان لأقنوم الآب ؟ هذه هي الأسئلة التي حاولت الكنيسة أن تجيب عليها في الفترة التي تميزت بانعقاد المجامع في نيقية عام ٣٢٥ م والقسطنطينية عام ٣٨١ م . وبنهاية القرن الرابع تحولت الأنظار إلي موضوع آخر وثيق الصلة - كيف يمكن منطقياً أن يتحد الناسوت واللاهوت في شخص المسيح ؟ كان هذا الموضوع سبباً في انعقاد مجمعين مسكونيين ، مجمع أفسس عام ٤٣١ م . ومجمع خلقيدونية عام ٤٥١ م كما سبب انقساماً في الكنيسة ظل باقياً حتي يومنا هذا .

### أ - أحداث وشخصيات مجمع أفسس عام ٤٣١ م

#### ١ - أبوليناريوس Apollinarius

في الواقع كانت قضية ناسوت المسيح وألهيته جزءاً من الحوار والجدل في نيقية . فقد تساءل الأريوسيون : " كيف يمكن للمسيح أن يكون إلهاً كاملاً إذا جاع أو عطش أو تعب أو بكى عند قبر لعازر واهتز لتوقع موته ؟ هذه " الإنسانية " في رأيهم ، أنقصت وحطت من قدر صلاح المسيح وهكذا جعلته غير مساو لله الآب . وكان أبوليناريوس من أوائل المفكرين الذين اجتهدوا في هذه المسألة . كان أبوليناريوس أسقف لاودكية ( ٣١٠ - ٣٩٠ م ) مؤيداً لقرار نيقية وصديقاً لأثناسيوس أسقف الإسكندرية . وكان جيروم أحد تلاميذه . وقد حاول أبوليناريوس صياغة تفسير لطبيعة المسيح الإلهية البشرية علي أن الجسد البشري بطبيعته خاطيء . ولكي يكون المسيح بلا خطية وجب أن يأتي إليه روح أو عقل إلهي ليرشد الجسد ويسيطر عليه . لقد أخذ " اللوجوس " الإلهي مكان الروح البشري أو العقل الإنساني في المسيح . وظل الجسم فقط بشرياً . وتمسك أبوليناريوس بأن الإلهي هكذا جعل الإنساني واحداً معه حتي أن



الله تحمّل أوجاعنا في جسده هو . وقد كتب أبوليناريوس جملة كثيرا ما ذكرت في المناقشات اللاحقة " إن طبيعة الكلمة الإلهية الذي تجسد ، طبيعة متميزة فريدة لا نظير لها " . وقد وجّه الآباء الكابادوكيون النقد إلي أبوليناريوس في زمانه ، فقالوا إنه قد " ضحي بكمال ناسوت المسيح " كذلك فإن مجامع روما عام ٣٧٧ م والإسكندرية عام ٣٧٨ م وأنطاكية عام ٣٧٩ م ، ومجمع القسطنطينية المسكوني عام ٣٨١ م ، كلها استنكرت رأيه وأدانته .

## ٢ - المدرسة الأنطاكية

تركزت مقاومة آراء أبوليناريوس في أنطاكية في ثلاث شخصيات هي " ديودورس الطرسوسي (٣٩٤ م) وثيودور الموسوستي (٣٥٠ - ٤٢٨ م) ونسطور (٣٨٠ - ٤٥١ م) . والكثير من آرائهم تشبه آراء بولس السمسطائي أسقف أنطاكية في القرن الثالث " (أنظر صفحة ١٠١ في المجلد الثاني)

### ديودورس الطرسوسي

كان ديودورس قسا في أنطاكية ثم أصبح أسقفا علي أنطاكية ، وكان عالما ومدافعا قويا عن الإيمان . وبفضل جهوده جاءت المدرسة التفسيرية الأنطاكية إلي الوجود . وكانت هذه المدرسة تتميز بتركيزها علي المعني الحرفي للأسفار المقدسة ، مقابل للطريقة المجازية المفضلة في مدارس أخرى . لقد دافع ديودورس دفاعاً قوياً ضد الأريوسيين عن ألوهية المسيح وبنفس القوة عن ناسوت المسيح ضد أبوليناريوس ، وفي محاولته إعطاء القيمة الكاملة لناسوت المسيح قدم فكرة وجود شخصين في المسيح ، في شكل إتحاد أدبي معنوي . فالذي ولد من مريم هو الإنسان فقط . وكان التجسد هو سكني اللوجوس في إنسان كامل ، كسكني الله في الهيكل . إن إتحاد الناسوت واللاهوت في المسيح يشبه اتحاد الجسد والروح في أي شخص .

## ثيودورس أسقف موبسوستيا

كان ثيودورس صديقاً وزميل الدراسة ليوحنا فم الذهب تحت إرشاد المعلم ليبيانوس وكان من أهل أنطاكية ، وأصبح أقدر عالم كتابي في تلك المدرسة الأنطاكية. وخدم أسقفاً لموبساويستا لمدة ست وثلاثين سنة . وكان الفكر اللاهوتي لدي ثيودورس عن شخص المسيح إمتداداً لفكر " ديودورس الطرسوسي " وكان مهتماً بالمحافظة علي التمييز بين الطبيعتين ، البشرية والإلهية . وقد أطلق ثيودورس علي إتحاد الطبيعتين في المسيح ما أسماه إتحاد أو إقتران أو "إندماج الإرادة " بين اللوجوس الإلهي ويسوع الإنسان . ومع أن ثيودورس كان حريصاً علي التأكيد علي أنه هناك شخص واحد فقط في المسيح إلا أنه ، بسبب إهتمامه بأن يؤكد علي كمال ناسوت المسيح ، أتهم بأنه يعلم بشخصين، أحدهما إنساني والآخر إلهي . قال عنه مؤرخ حديث " وضع ثيودورس تأكيداً هائلاً علي حقيقة الطبيعة الإنسانية لدينا . ويحتمل أن الجدل النسطوري كان بسببه أكثر من أي معلم آخر، وكثيراً ما يشك فيما إذا كان نسطور نفسه نسطوريا ، لكن لا يمكن الشك في أن ثيودورس كان نسطوريا قبل نسطور " ( Wand , J.W.C. . A History of the Early Church to A . D 500 P. 219 )

## نسطور

كان المسرح وقتئذ معداً لنسطور الذي اشتهر كراهب، بمواعظه في أنطاكية، وصار أسقفاً للقسطنطينية في عام ٤٢٨ م ، وسرعان ما انهمك في جدل العقيدة عن المسيح. تمسك جوهرياً بنفس وجهات النظر التي تبناها ثيودورس الطرسوسي وثيودوريوس الموبسيوستي لكنه مثل ثيودورس لم يعترف قط أنه اعتقد بوجود شخصين في المسيح. وعلي حد قوله " بالإسم الواحد ، إسم المسيح ، نشير في نفس الوقت إلي طبيعتين . فمن المستحيل أن يفعل الله الكلمة ( شيئاً بدون الناسوت " .

كانت النقطة التي وصل فيها نسطور إلى أحد صراع وأعنف صدام مع مدرسة الإسكندرية مع معظم باقي الكنيسة في الحقيقة هي إطلاق تعبير " ثيوتوكوس Theotokos = أم الله علي مريم العذراء . في رأي نسطور إن كلمة " ثيوتوكوس " لم تميز بدرجة كافية بين الناسوت واللاهوت في المسيح . وكان يفضل أن يطلق علي مريم اللقب "كريستوكوس Christokos " أم المسيح ، ويتعبيره هو " ما يولد من الجسد فهو جسد " وهذه هي نفس كلمات نسطوريوس من عظة ألقاها عن ذات الموضوع، " تسألون عما إذا كان يمكن أن تدعي مريم " أم الله " . إذن هل لله أم ؟ إذا صح هذا فالوثنية نفسها معذورة في أن تنسب أمهات لآلهتها . لكن حينئذ يكون بولس الرسول كاذبا لأنه قال عن لاهوت المسيح أنه كان " بلا أب ، بلا أم ، بلا نسب" (عب ٣:٧) \* لا ياسيدي ، مريم لم تحمل في بطنها الله ، فإن المخلوق لم يحمل الخالق غير المخلوق لكن مريم حملت الإنسان الذي هو أداة الله . لم تحبل مريم من الروح القدس في اللوجوس لكن الروح القدس صاغ وكون من العذراء هيكلًا يسكنه اللوجوس (يوحنا ٢ : ٢١) . الله المتجسد لم يمت ، لكنه أحيا ذاك الذي فيه صار جسدا. إني أكرم الثوب الذي استخدمه الله بسبب الله الذي كان ملتحقا به في داخله وغير منفصل عنه إني أفصل الطبيعة لكن أوحده العبادة . لاحظ ما تعنيه هذه العبارة، " ذاك الذي تكون في أحشاء مريم لم يكن الله نفسه لكن الله إتخذة لنفسه (أي كسا نفسه بالناسوت) وبسبب الذي إتخذة ، فإن ذاك الذي قد أخذ يدعي أيضا الله " . Quoted by Schaff ,

( Philip , History of the Christian Church, vol . 111 , pp . 717 - 718 ).

\* يمكن إلتماس العذر لنسطوريوس لإتباعه الفكرة السائدة في زمانه بأن بولس هو كاتب الرسالة إلي العبرانيين . ولا يمكننا التأكد بأن الفقرة المشار إليها شاهد صحيح علي الوهية المسيح .

### ٣- كيرلس الأول أسقف الإسكندرية (٤٤٤-٤٤٩ م)

#### شهرة كيرلس

في عام ٤١٢ م أصبح كيرلس الأول البطريرك الرابع والعشرين لكرسي الإسكندرية ، خلفا لعمه ثيوفيلس . ويلقي كيرلس تقديرا عظيما من الكنيسة الأرثوذكسية كضليع في تفسير الكتاب المقدس ، وكلاهوتي وواعظ ، ومدافع عن الإيمان . كما تذكره الكنيسة أيضا من أجل خدمة الليتورجية الخاصة بالقدّيس كيرلس ( القدّاس الكيرلسي ) المأخوذة عن خدمة ليتورجية القدّيس مرقس وهي أقدم خدمة ليتورجية في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، ويقال إن الشعب كان معجبا بصفة خاصة بجمال صوته في إنشاد تسابيح ليتورجية القدّاس . وترجع شهرته العظيمة في الكنيسة أساساً من حججه دفاعاً عن لاهوت المسيح في مقابل رأي نسطور الأنطاكي . وبفضل جهوده أكثر من أي شخص آخر انعقد مجمع أفسس المسكوني الثالث في عام ٤٣١ م.

#### عقيدة كيرلس عن المسيح :

عندما سمع كيرلس برأي نسطور عن الثيوتوكوس كان رد فعله قوياً وعنيفاً ، وقال " إن كان ربنا يسوع المسيح هو الله ، فكيف يمكن للقديسة العذراء التي ولدته أن لا تكون أم الله (ثيوتوكوس) ( Epistle ad Monachos Aegypti , 4 ) كانت الحقيقة الأساسية لدى كيرلس هي لاهوت المسيح ، وكثيرا ما اعتبرته الكنيسة أقدر وأكفاً أستاذ في موضوع التجسد . وقد حمل رأي كيرلس بعض الشبه لرأي أبوليناريوس ، فيما عدا أن كيرلس تمسك بأن ناسوت المسيح كامل حيث كان للمسيح كإنسان - جسد وعقل وروح . وكان يؤمن أن المسيح كيان واحد موحد، متحدًا لكنه ذو طبيعتين - بشرية وإلهية - كاملتين في الكيان الواحد . وقد لوحظ أنه خلال كل الجدل والحوار كان هناك غموض حول كلمة " طبيعة " . فقد كانت الكلمتان اليونانيتان ( Physis طبيعة ) و ( Hypostasis أقنوم ) مستخدمتين بالتبادل وكانتا تفهمان بطريقة مختلفة في أنطاكية والإسكندرية وكان الدافع وراء تأكيد كيرلس علي عدم إنقسام الوحدة بين



الله والإنسان في التجسد ، هو رغبة كيرلس ألا يمس لاهوت المسيح ، بينما كان الإهتمام في أنطاكية هو عدم المساس بناسوت المسيح .

## كيرلس ضد نسطور

عندما واصل كيرلس الجدل والحوار مع نسطور بالمراسلة كان كيرلس في أول الأمر مجاملاً ومحاذراً لكن المنافسة التقليدية بين الإسكندرية والقسطنطينية بدأت تظهر تأثيرها علي الموقف . علاوة علي ذلك كانت هناك شكوي من أربعة مواطنين من الإسكندرية مقدمة إلي الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (في القسطنطينية) عن معاملة كيرلس لهم . فأحال ثيودوسيوس القضية إلي نسطور أسقف القسطنطينية . إلا أن إقامة أسقفية القسطنطينية في مكان القاضي بالنسبة إلي أسقفية الإسكندرية كان أمراً غير مقبول بالكلية من كيرلس ، فكتب رسائل إلي ثيودوسيوس محاولاً التأثير عليه ضد نسطور . كما كتب أيضاً إلي البابا " سيليستن " في روما ( كانت روما والإسكندرية في تلك الأيام في تعاون تام . فدعا سيليستن إلي عقد مجمع في روما عام ٤٣٠ م أدان فيه نسطور مهدداً بعزله ومنتدباً كيرلس لتنفيذ الحكم \* وقد وضع كيرلس إثني عشر "حرماً" "أنائيماً" متهماً نسطور بتقسيم كلمات وأعمال المسيح بين الطبيعتين الإلهية والبشرية (مثال ذلك فإن الناسوت لا اللاهوت هو الذي بكى ومات ، كما أن اللاهوت لا الناسوت هو الذي أسكت العاصفة ) . حينئذ جري تبادل الرسائل بكثافة وسرعة بين روما والإسكندرية والقسطنطينية ، وبحلول نوفمبر عام ٤٣٠ م كان واضحاً لكل الأطراف أن مجعاً عاماً كان ضرورياً للنظر في القضية . وقد دعا الإمبراطور ثيودوسيوس إلي انعقاد هذا المجمع في السنة التالية عام ٤٣٠ م في أفسس .

---

\* من العسير أن نفهم مقدار قسوة البابا سيليستن حيث أن نسطور كتب مخففاً من رأيه ليكون مقارباً لرأي كيرلس . أعلن نسطور إيمانه " بكلا الطبيعتين اللتين باتحادهما الأسمي والوصافي بغير إمتزاج لهما الإكرام في الشخص الواحد - الإبن الوحيد " .



## ٤ - مجمع أفسس

### مجمع مضطرب

مع أن مجمع أفسس إنتهي بإدانة النسطورية والبلاجيوسية إلا أنه كان أكثر المجمع اضطراباً في تاريخ الكنيسة . فقد تميز بالنزاعات المريرة اللاهوتية والكنسية بين الأحزاب المتنازعة المتصارعة .

### إدانة نسطور

وصل نسطور أولاً إلى أفسس ومعه ستة عشر أسقفا وحرسا مسلحا . ثم ظهر كيرلس الأول مع خمسين أسقفا مصرياً بخلاف الرهبان ، والخدم والبحارة . وقد وجد كيرلس حليفاً في ميمنون أسقف أفسس الذي كان معارضاً لنسطور . أما الأسقف يوحنا الأنطاكي الذي كان يساند نسطور فقد تعطل في الطريق مع أساقفته . قرر كيرلس طلب عقد الإجتماع في كنيسة الأسقف ميمنون وهي كنيسة القديسة مريم ، وقد رفض نسطور الحضور حتي تصل جميع الوفود (تعطل وفد روما أيضا فتأخر عن الوصول) وقد قام المجمع بحضور مائة وستين أسقف بالإستماع إلي رأي نسطور ودراسته واتفقوا علي إدانة نسطور بهذه الكلمات " الرب يسوع المسيح الذي جدف عليه نسطور يحكم بواسطة هذا المجمع المقدس بأن يستبعد نسطور من وظيفة الأسقفية وكل شركة كهنوتية " . وأرسلوا إلي نسطور الرسالة التالية " إلي نسطور- يهوذا الجديد - إعلم أنه بسبب تعاليمك المتمردة وعصيانك لقوانين الكنيسة ، فإنه في اليوم الثاني والعشرين من شهر يونية الجاري عام ٤٣١ م وعملا بلوائح وبقوانين الكنيسة ، قرر المجمع المقدس عزلك كما قرر أنه لم يعد لك أي رتبة في الكنيسة " . إستقبل شعب أفسس القرار بالهتاف والفرح ورافقوا كيرلس إلي بيته في موكب بالمشاعل .

## الإمبراطور يدين كلا الحزبين لكن كيرلس ينتصر أخيراً

بعد أيام قليلة وصل يوحنا أسقف أنطاكية مع وفده وعقد مجمعا مضادا تم فيه التصويت علي إعلان أن كيرلس وممنون هرطوقيان ، وعلي عزلهما من وظائفهما . فلما وصل أعضاء وفد بابا روما أخيراً جمعهم كيرلس مع الوفود المؤيدة له وأصدر المزيد من الإدانات علي يوحنا ونسطور عندئذ رفع كلا الحزبين إستئنافا إلي الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني . ولأن الأمر اختلط عليه، صدّق أولا علي قرارات كلا الطرفين ، بعزل كيرلس وممنون ونسطور . ثم أمر بسجنهم. تلا ذلك مزيد من الإستئنافات والمداوالات وانفض مجمع أفسس في أكتوبر عام ٤٣١م . وأطلق سراح كيرلس وممنون ، وصدر الأمر بإعادة جميع الأساقفة إلي أسقفياتهم . أما نسطور فكان أقل حظا . فبناء علي طلبه أعيد إلي ديريه السابق في أنطاكية ، متخليا عن أسقفية القسطنطينية.

## إتفاق كيرلس والأنطاكيين علي صيغة جديدة بعد أفسس

في السنتين التاليتين بذلت المساعي مجددة لرأب الصدع بين أنطاكية والإسكندرية . وفي الواقع ، فإنه طوال هذه المناقشات الخاصة بالعقيدة في المسيح لم تكن الأفكار اللاهوتية للكنيستين بعيدة تماما . فقد أرسل يوحنا وثيودورت الأنطاكي صياغة جديدة للعقيدة إلي كيرلس ، هذا نصها ، " لذلك نحن نعترف برينا يسوع المسيح إلها كاملاً وإنساناً كاملاً .. وبأنه تم إتحاد بين الطبيعتين ، لذلك نقر بالمسيح الواحد .. وأن القديسة العذراء هي أم الله (ثيوتوكوس) لأن الله ( الكلمة ) تجسد وصار إنسانا ، وفي حبلها إتحد هو نفسه مع الهيكل الذي أخذه منها ،وقد وجد كيرلس أن هذا البيان مقبول ولو أنه انتقد من بعض زملائه من أجل هذا العمل . وعلي أي حال فإنه أصر علي حرمان وعزل نسطور . وكان الأنطاكيون مستعدين أن يضحوا بشخص نسطور في سبيل الوحدة ، بل إن كنيسة حرمة (جعلته أنائما) بسبب البدع الشريرة والذنسنة لكن بغير توضيح لطبيعة هرطقته .

## نسطور والكنيسة النسطورية

إن بقية تاريخ نسطور كما سجله بنفسه في ترجمته لسيرة حياته تحت عنوان "المأساة" تاريخ محزن يحرك العواطف . فقد أخرجوه من الدير وطرده إلى المنفى ، أولا في جزيرة العرب " ، وأخيرا في " واحة الخارجة " في الوجه القبلي في مصر حيث مات حوالي عام ٤٥ م \* . وكثيرون من أصدقائه طردوا وصودرت أملاكهم. مؤلفات نسطوريوس صودرت وحظرت وحرمت قراءتها أو نسخها أو حفظها وصدر مرسوم امبراطوري يمنع المنتمين إلى الكنيسة النسطورية أن يسموا أنفسهم مسيحيين ، فأطلق عليهم اسم "السمعانيون" (علي اسم سمعان الساحر) واجتماعاتهم محظورة .

## التاريخ المتأخر للنسطوريين

بالرغم من الإجراءات القاسية التي أُنْذِتْ ضدهم ، وبالرغم من غياب قائدهم ، فلقد ثبت النساطرة واستمروا ككنيسة في سوريا وبلاد فارس (إيران). وأنشأوا فيما بعد نشاطاً إرسالياً تبشيريةً واسعاً. وأقاموا جماعات لهم في الجزيرة العربية والهند (مالابور) وتركستان والصين. وما يزال لهم وجود في العراق وإيران لكنهم يُعرفون بالكنيسة الأشورية أو " كنيسة الشرق " ويعتبر " الكلدانيون " فرعا من الكنيسة النسطورية التي تعترف بسلطة بابا روما .

---

\* أحد الأشياء الأخيرة التي قيل إن نسطور كتبها بعد سماعه عن استمرار المشادات حول العقيدة عن المسيح كانت كما يلي " أعز أمنية لي أن يتبارك الله في السماء وعلي الأرض . أما عن نسطور فليبق محروما . أرجو من الله أنه حينما يصب الناس لعناتهم عليّ ، يتصالحون معه " .

From The " Tragedy "

## **Recommended English Readings**

- 1 - Atiya , Aziz S -**A History of Eastern Christianity** , pp . 45 - 48
- 2 - Boer , Harry R . -**A Short History of the Early Church** , pp . 165 -171.
- 3 - Bruce , F.F.,**The Spreading Flame** , pp , 311 - 312 .
- 4 - Chadwick , Henry ,**The Early Church** , pp . 192 - 200 .
- 5 - Danielou , Marrou ,**The Christian Centuries** , vol . 1 , pp . 335 - 347
- 6 - Duchesne , Louis ,**The Early History of the Church** , vol . 111 , pp.219 - 270 .
- 7 -Foster , John ,**The First Advance** , pp . 140 - 141 .
- 8 - Frend , W.H.C.**The Early Church** , pp . 224 - 230 .
- 9 - Latourette , K.S.**A History of Christianity** , pp . 164 - 170
- 10 - El Masry , Iris H **The Story of the Copts** , pp . 192 - 207 .
- 11 - Schaff , Philip -**History of the Christian Church** , vol . 111 , pp .705 - 733 .
- 12 - Walker , Williston -**A History of the Christian Church** , pp . 131 -137.
- 13 - Wand , J.W.C -**A History of the Early Church to A .D 500** , pp .218 - 224 .

## ب - أحداث وشخصيات مجمع خلقيدونية ( ٤٥١ م )

### إستمرار الحوار حول العقيدة في المسيح

مع أن عقداً من الزمن مرّ في سلام نسبي بعد مجمع أفسس في سنة ٤٣١ م ، بقي الموضوع الأساسي بدون تسوية . فكانت الأحزاب المختلفة ما تزال متنازعة . لكن الشخصيات الآن تغيرت . فقد صار فلافيانوس ( ليس الأنطاكي ) أسقفاً للقسطنطينية ومات كيرلس الأول في سنة ٤٤٤ م ليخلفه "ديوسقورس" \* ( ٤٤٤ - ٤٥٤ م ) بطريركا للإسكندرية . ومع أن ديوسقورس لم يكن بمثل علم كيرلس ، إلا أنه كان مصمماً علي المضي في النضال ضد المدرسة الأنطاكية . وكان ثيودوروس ( ٣٩٣ - ٤٥٨ م ) علي رأس المدرسة الأنطاكية ، وكان يدعي أوغسطينوس الشرق . وقد إشتهر بكونه لاهوتياً وراعياً وكارزاً ربح عشرة آلاف مارسيوني للكنيسة الأرثوذكسية . أما رابع شخصية هامة فكانت أوطاخي (أفتيخوس) ( ٣٧٨ - ٤٥٤ م ) الأب المشرف علي دير قريب من القسطنطينية .

### العقيدة عن المسيح - لدي أوطاخي

قام أوطاخي - الذي لم يكن راضياً عن المصالحة والحل الوسط بين كيرلس الأول ويوحنا الأنطاكي ، بوضع صياغته الخاصة عن موضوع " العقيدة في المسيح " فقال إنه كانت هناك طبيعتان قبل التجسد طبيعة إلهية وطبيعة بشرية ، لكن بعد التجسد

---

\* لاحظ قضية ديوسقورس كمثل للحرب المكبوتة علي الشخصيات في الكنائس المختلفة . فقد كان ديوسقورس بالنسبة للفلسطينيين والمصريين وغيرهم " مبشراً رسولياً وشهيداً حقيقياً " الرجل الذي رفض أن يركع للبعل في مجمع الإنشقاق " ( أي مجمع خلقيدونية ) لكنه عند " ليو " ، بابا روما " كان المصري الأفاق والمحتال ، والمبشر بأخطاء الشيطان " .



إمتزجت الطبيعتان هكذا معا حتي أصبحت هناك طبيعة واحدة فقط ، وهذه كانت طبيعة إلهية تماما . ولم يكن يؤمن أن يسوع كان من نفس جوهر الإنسان - أي أنه لم يكن يؤمن أن بشرية المسيح مثل بشرتنا . وقد عُرف هذا الرأي فيما بعد بـ " خلط الطبيعتين " ولم يعد تتمسك به أي جماعة مسيحية كبرى .

## مجمع ثان في أفسس

أجاب ثيودوريت علي أوطاخي في محاوراة طويلة تسمى " إيرانستيس Eranistes (ومعناها الشحاذا أو الشخص الذي يصنع ثوبا من الأسمال). واقتنع الأسقف فلاقيانوس بأن يدعو أوطاخي للمثول أمام مجمع في القسطنطينية في عام ٤٤٨ م ، وقد حوكم أوطاخي وأدين بأنه اعتنق مباديء أبوليناريوس . وقد رفع ديوسقورس الذي دافع عن أوطاخي - إستئنافا لدي الإمبرطور ثيودوسيوس الذي قرر بأن القضية يجب أن تسوي في مجمع عام . وهكذا أقيمت الدعوة إلي عقد مجمع أفسس الثاني في عام ٤٤٩ م .

## البابا ليو الأول وكتابه المسمي " طومس "

نحن الآن أمام ظهور شخصية قوية من الكنيسة الغربية ، هو " ليو " الأول (بابا روما) الذي تابع الإجتماعات السابقة بإهتمام عظيم مع أنه لم يحضرها قط . وأعد وثيقته الخاصة لهذه المناسبة ، وهي كتابه المسمي (طوم) إلي فلاقيانوس " إن في المسيح طبيعتين كاملتين تماما مجتمعتين معا في شخص واحد .. وقد ظلت الخاصية أو الصفة المميزة لكل طبيعة ومادة وجوهر تامة ومندمجة في شخص واحد ، الجلال إتخذ لنفسه الإلتضاع ، الجبروت لبس الضعف ، الخلود إرتدي جسد الموت . كل طبيعة في إتحادها مع الأخرى أدت العمليات المناسبة لها .. في يسوع لم يكن الناسوت الحقيقي ، ولا اللاهوت الحقيقي يوجد بدون الآخر " ، لأول مرة غامر أسقف من روما ،

لم يكن يعرف إلا اللاتينية ، غامر بالدخول في حلبة النزاع اللاهوتي . إقتصرت مصطلحاته الفنية علي اليونانية .

## ديوسقورس في مجمع أفسس الثاني

ظهر المندوبون من روما في أفسس (لكن بدون ليو) حاملين معهم وثيقة الطوم، ووثائق أخرى. لكن الاجتماع كان تحت سيطرة ديوسقورس الذي حرص علي أن تُقرأ فقط الوثائق التي في صالح الفكر الإسكندري فلم تُقرأ الوثيقة " طوم " مطلقاً . وبناء علي طلب البلاط الإمبراطوري ، أعيد أوطاخي إلي منصبه . أما ثيودوريت وكل الآخرين المشتبه في إنتمائهم إلي النسطورية فقد عُزلوا . كما عزل فلاقيانوس ومات متأثراً بإصابات قيل إنه عاني منها علي أيدي بعض المندوبين. لقد كان اجتماعاً هائجاً - حتي " ليو " عُزل وعينوا بدلامنه كاهناً إسكندرانياً . لفترة وجيزة كانت القوانين والمعتقدات التي أعلنها أوطاخي تتصاعد قيمتها. وقد أيد الإمبراطور ثيودوسيوس قرارات المجمع وكان ليو عاجزاً عن أن يفعل شيئاً أكثر من التشهير بالمجمع بأنه " مجمع لصوص " \* .

---

\* عن وجهة نظر كاتب قبطني أرثوذكسي بخصوص مجمع أفسس في عام ٤٤٩ نحيل القاريء إلي " قصة الأقباط " للكاتبة إيريس حبيب المصري " الصفحات ٢١٥ - ٢٢٣ . هذا الكتاب يقدم أوطاخي علي أنه نقض رأيه وقبل الرأي المستقيم عن المسيح ، مبرراً بذلك إعادته إلي مركزه . بناء عليه فإن قرارات المجمع لم تتضمن تأييد الفكر اللاهوتي الهرطقي لأوطاخي . إن إختلاف الإتجاه في الروايتين المتعلقتين بمجمع أفسس عام ٤٤٩ م وأيضاً مجمع خلقيدون عام ٤٥١ م إختلاف عظيم، لدرجة أن محاولة التسوية عند هذه النقطة كانت مستحيلة . إنها حقيقة محزنة في تاريخ الكنيسة أن الأفكار بقيت علي ما هي عليه لا تقبل التوفيق لأكثر من ١٥٠٠ سنة. البيان المسجل في متن النص أعلاه يبدو للكاتب أنه يمثل إجماع معظم المؤرخين الكبار الثقة .

## الموقف يتغير لصالح ليو

جرت الآن عدة أحداث غير متوقعة غيرت تماما من المنظر السياسي في الإمبراطورية والكنيسة . إذ قتل الإمبراطور ثيودوسيوس عندما سقط من فوق حصانه، وخلفته أخته بولشريا Pulcheria " التي ، بعكس ثيودوسيوس ، لم تكن متعاطفة مع الإسكندرلين بل مع ليو . وقد أمنت بولشريا مركزها السياسي بزواجها من الجنرال (مارسيان) الذي كان يسيطر علي الجيش . كذلك فإن الأسقف " أناتاليوس Anatolius " الذي خلف فلافيانوس في القسطنطينية كان مصمماً علي تأكيد إدعاءات القسطنطينية بأنها تلي روما فقط مكانة . حينئذ رأي ليو الفرصة سانحة لهدم القرارات التي صدرت في أفسس سنة ٤٤٩ م ، وهكذا بأمر من مارسيان التأم مجمع عام آخر في ٨ أكتوبر- إلي أول نوفمبر سنة ٤٥١ م في خلقيدون ، الذي صار يعرف بالمجمع المسكوني الرابع .

## الحكم علي ديوسقورس في خلقيدون

يقدر عدد المندوبين الذين حضروا مجمع خلقيدون ما بين خمسمائة إلي ستمائة مندوب . وكان كل المندوبين من الكنائس الشرقية فيما عدا أربعة من روما . لكن بمساندة وتأييد بولشريا والإمبراطور الجديد، مارسيان ، سيطر هؤلاء الأربعة علي المجمع . فأجلسوا ديوسقورس في وسط الاجتماع كشخص متهم . وروجعت القرارات التي أتخذت في أفسس في سنة ٤٤٩ م ورُفضت . وقد أخذ المندوبون واحدا فواحدا - ينحازون إلي جانب مندوبي البابا وأقرّوا الوضع الجديد، لكن ديوسقورس لم يذعن قط

لأي نقطة ، حتي بعد أن تخلي عنه بعض أعضاء وفده \* وحكم عليه وعلي خمسة أساقفة آخرين بالعزل وأعيد تيودوريت وإيباس أسقف أديسًا إلي مركزيهما وإسترد فلاقيانوس إعتباره بعد وفاته ، وأدين أوطاخي مرة ثانية .

## العقيدة الخلقيدونية في المسيح

وجه المجمع الآن إنتباهه إلي كتاب ليو" الطوم " The Tome " وركز علي وضع بيان منقح" للعقيدة في المسيح".وأخذ المجمع أربع جلسات في تفسير المعني الدقيق باليونانية واللاتينية.وكتب النص الأساسي باليونانية .عمليا، مع أن قوام قانون الإيمان الخلقيدوني مشتق من "الطوم" فإن بعض مادته جمعت من رسالة كيرلس الثانية إلي نسطور وخطاب كيرلس إلي يوحنا الأنطاكي في عام ٤٣٣ م ( بعد مجمع أفسس الأول).وكانت النقطة الهامة الرئيسية البارزة تدور حول الطبيعة الواحدة" Monophysite والطبيعتين " diophysite " وقد حرص علي شجب تطرف نسطور (أقنومين) وتطرف أوطاخي (خلط الطبيعتين) ، وإتفقوا علي الإقرار بأنه بعد التجسد كان المسيح شخصاً واحداً ذا طبيعتين بدون إختلاط أو تغيير أو تقسيم أو انفصال . وجدير بالملاحظة أن ثلاثمائة وخمسين مندوب فقط وقعوا علي الإقرار الأخير ، وأن

---

\* عندما سئل ديوسقورس أن يوضح إيمانه في طبيعة المسيح قال : " إذا وضعت قطعة من الحديد في النار حتي تلتهب إحمرارا ثم ضربتها بالمطرقة علي السندان ، فإن الحديد هو الذي يتلقي الضربات وليست الحرارة المتوهجة أي الإحمرار ، حتي ولو أن الحديد والحرارة المتوهجة هما وحدة واحدة لا يتجزأ . ومع أنه لا يتجزأ فإن الحرارة لا تختلط بالحديد مطلقا ولا تندمج فيه ولا تتغير به . نفس الشيء يصدق علي الحديد ، وبدرجة ما يرمز إلي تجسد ربنا حيث إتحدت فيه الطبيعتان ، الألوهية والناسوت بلا إختلاط ولا إمتزاج ، ولا تغيير، مع أنهما لم يفترقا قط حتي ولا للحظة أو طرفة عين ". هذا الإتحاد يعرفه ويحدده آباء كنيسة الإسكندرية بأنه "طبيعة الله الواحدة الكلمة صار جسدا " وهو قول مرادف لقول البشير يوحنا الكلمة صار جسدا " .



الكثيرين تغيّبوا عن عمد. إن الإصرار علي " الطبيعتين " بعد التجسد أمر غير مقبول لدي الإسكندريين ، علاوة علي ذلك فإن إستعادة النسطوريين وثيودوريت وإيباس لمراكزهم كانت بصفة خاصة إجراء هجوميا . وكضربة أخيرة أعلنت إبرشية القسطنطينية أنها التالية لروما فقط ، مزينة الإسكندرية من مكانها . من أجل هذا الأمر لم يخضع الإسكندريون قط لرئاسة أسقفية روما . وهذه ملاحظة واحد منهم " أي شيء أوضح من هذا ؟ ها إن نسطور أخذ بثأره . والأساقفة في خلقيدون ومحرضهم البابا " ليو " كانوا شلة نسطوريين . أية كوميديا هذه ! كانوا يحرمون نسطور ويقننون عقيدته . ( Quoted Louis Duchesne , The Early History of the Church , vol . III , p 310.

فيما يلي الجزء الرئيسي من قانون الإيمان الخلقيدوني .

### قانون الإيمان الخلقيدوني \*

" فلهذا ونحن تابعون الآباء القديسين . كلنا بصوت واحد نعلم البشر أن يقرّوا بالإبن الوحيد ربنا يسوع المسيح الكامل في اللاهوت والكامل أيضا في الناسوت ، إله حق وإنسان حق ذو نفس ناطقة وجسد ، جوهر واحد (هوموأوسيون) مع الآب بحسب اللاهوت ومن نفس الجوهر معنا بحسب الناسوت وهو مثلنا في كل شيء ماعدا الخطية وحدها ، مولود من الآب قبل كل الدهور بحسب اللاهوت ، وفي هذه الأيام الأخيرة ومن أجلنا ومن أجل خلاصنا وكّد من مريم العذراء (الثيوتوكوس) والدة الإله Theotokos بحسب الناسوت . هو مسيح واحد وإبن واحد ورب واحد المولود الوحيد بطبيعتين غير ممتزجتين ولا متغيرتين ولا منقسمتين ولا منفصلتين . والفرق بين الطبيعتين لم يتلاش بإتحادهما بل بالحري إن خواص كل طبيعة منهما الخاصة باقية ومحفوظة ومجمعة في شخص واحد ( prosopon ) وأقنوم واحد hypostasis غير منفصل ولا منقسم إلي شخصين ، بل الإبن الوحيد والمولود الوحيد ، الله الكلمة

---

\* أنظر أيضاً النص في كتاب " علم اللاهوت النظامي " صفحة ١٧٦ ، ١٧٧ .



Theon Logon الرب يسوع المسيح . كما أعلن عنه الأنبياء منذ البدء . وكما علمنا الرب يسوع المسيح نفسه وكما تسلمنا قانون إيمان الآباء القديسين .

## تأثير خلقيدون علي قانون الإيمان المشيخي الوستمنستري\* Westminster Confession

يمكن أن نجد تأثير خلقيدون في قوانين الإيمان لدي اليونانية واللاتينية ومعظم الطوائف البروتستانتية . وهكذا يمضي نص قانون الإيمان الوستمنستري (١٦٤٣ - ١٦٤٦ م ) المعتمد لدي المشيخين قائلاً : " إن ابن الله الأقنوم الثاني في الثالوث وهو الله الحق الأزلي من جوهر الآب ومعادل له ، لما جاء ملء الزمان أخذ لنفسه طبيعة الإنسان مع كل خواصها الجوهرية وكل ضعفاتها العامة ولكن ما خلا الخطية وحدها فحمل به بقوة الروح القدس في بطن العذراء مريم ومن جوهر جسدها وبذلك إتحدت طبيعتان صحيحتان كاملتان متميزتان - هما اللاهوت والانسوت - إتحادا غير منفصل في شخص واحد بدون تحويل ولا تركيب ولا إختلاط . وذلك الشخص إله حق وإنسان حق بل مسيح واحد والوسيط الوحيد بين الله والإنسان . Westminster Confession ch . VIII see . 21)

### الكنائس غير الخلقيدونية

إنه لشيء مؤسف أن نعترف بأن قانون الإيمان الخلقيدوني يرفض الكنائس المدعوة كنائس "الطبيعة الواحدة" (أو اللاخلقيدونية) الموجودة في زماننا الحاضر - وهي كنائس الأقباط الأرثوذكس ، والسريان الأرثوذكس (اليعاقبة) ، والأرمن الأرثوذكس والأحباش الأرثوذكس. هذه الكنائس تري أن القانون الخلقيدوني قريب جدا من النسطورية ، ويبدو لكاتب هذا الكتاب أن موضوع "العقيدة في المسيح" ، الذي

---

\* أنظر أيضاً النص في كتاب " علم اللاهوت النظامي " صفحة ٧٨٩ ، ٧٩٠ .

نسيه الغرب تقريبا مازال له أهميته في الشرق . ولكي نقدر قيمة رأي الكنائس غير الخلقيدونية ، ننقل مقتطفات من إيضاح الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ورأيها في موضوع العقيدة عن المسيح الذي أدلي به أسقف الدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي بالقاهرة نيافة الأنبا غريغوريوس فقد قال :

### المقتطفات المنقولة من خطابه

في إجتماع ممثلي الكنيسة في أورشليم ١٩٥٩ م

(١) - بيان الأنبا غريغوريوس

" إنني أتمجسر وأقرر أن كل الجدال الدائر بين الكنائس الكاثوليكية الرومانية ، والبروتستانتية والخلقيدونية من جانب ، وكنائس " الطبيعة الواحدة " أو الأرثوذكسية اللاخلقيدونية من الجانب الآخر ، إنما هو في جملته جدال فلسفي ، أثير بسبب الإصطلاح الصحيح الذي يجب أن يستخدمه المسيحيون للتعبير عن إيمانهم بنوع الإتحاد الموجود بين لاهوت وناسوت ربنا ومخلصنا .

### ( ب ) - طبيعة واحدة

نحن شعوب الشرق نخاف جدا من إستخدام الاصطلاحات الفلسفية في تعريف المعاني . إن الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية تؤمن بلاهوت المسيح كما تؤمن بناسوته . لكن المسيح بالنسبة لنا هو " طبيعة واحدة " . وقد يبدو هذا متناقضا . ومهما تكن التناقضات العقلانية المنطقية فإن كنيستنا لا تري أي تناقض في إعترافها ، وإقرارها بخصوص طبيعة المسيح . فهناك دائما حل سري روحي غير مدرك بالعقل يذيب ويحل ويتغلب علي كل التناقضات . بسبب هذه الخبرة السرية الروحية فنحن لا نسأل دائما لماذا وكيف .

## (ج) - الألوهية والبشرية متحدتان في المسيح

"الإيمان الأرثوذكسي طبقاً لإقرارنا هو أن ربنا كامل في ألوهيته وكامل في بشريته . علي أننا لا نجرؤ علي القول بأنه هو الله وإنسان معاً لأن هذا التعبير يتضمن الانفصال . بل بالأحرى هو الله المتجسد . فاللاهوت والناسوت متحدان فيه إتحاداً تاماً أي في الجوهر ، والأقنوم ، والطبيعة . لا انفصال أو إنقسام بين لاهوت وناسوت ربنا . فمنذ نفس لحظة حلول " الكلمة " الإلهية في أحشاء مريم ، فإن الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس ، إتخذ لنفسه من دم القديسة مريم جسداً بشرياً كاملاً وروحاً إنسانياً عاقلاً وجعل نفسه واحداً مع الناسوت الذي تسلمه من العذراء مريم . لذلك فإن " الواحد " المولود من القديسة مريم هو الله المتجسد : جوهر واحد ، شخص واحد ، أقنوم واحد ، طبيعة واحدة ، أو يمكن القول أنه طبيعة " واحدة " من بين طبيعتين . وبعبارة أخرى فنحن نتكلم عن طبيعتين قبل حدوث الإتحاد ، لكن بعد الإتحاد فلا شيء سوي طبيعة " واحدة " طبيعة واحدة لها صفات الطبيعتين .

## (د) - لا أوطاخية

"ومن ثم فإن الإتحاد الذي تؤمن به الكنائس الأرثوذكسية اللاخليدونية يختلف جوهرياً عن نوع الإتحاد الذي أعلنه أوطاخي . قال أوطاخي أن ربنا طبيعة واحدة ، لكن هذا الإتحاد مبني علي فكرة أن ناسوت المسيح تم إمتصاصه وذوبانه تماماً في لاهوته وتلاشي تماماً مثل نقطة خل في المحيط . إن أوطاخي في حقيقة الأمر ، ينكر الوجود الحقيقي لناسوت المسيح .

إن الكنائس الأرثوذكسية اللاخليدونية - علي عكس أوطاخي - تعترف بأن المسيح طبيعة " واحدة " محفوظ فيها تماماً كل الصفات البشرية وكل الصفات الإلهية حفظاً تاماً بلا إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير ، إنه إعتراف يصرخ به الكاهن القبطي

الأرثوذكسي في خدمة ليتورجية القديس رافعا بيديه صينية القربان المقدس .

## هـ - إتحاد حقيقي لكن لا إختلاط بين الطبيعتين

" آمين ، آمين ، آمين ، أو من وأعترف للنفس الأخير أن هذا هو الجسد المحيي واهب الحياة، الذي أخذه إبنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، من سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله ، القديسة مريم . وجعله واحدا مع لاهوته بلا إختلاط ولا امتزاج ولا تغيير . أو من أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين" . إذن اللاهوت باق محفوظ والناسوت باق محفوظ ومع أن المسيح ذو طبيعتين ، فإنه ليس ذا طبيعتين بعد الإتحاد ، كما قال ديوسقورس بابا الإسكندرية، أن اللاهوت لم يختلط بالناسوت ولم يمتزجا معا ولا تبديلا ، كل منهما إلي الآخر. أن اللاهوت والناسوت متحدان ليس بمعنى مجرد الضم أو الارتباط أو الإتصال، لكنهما متحدان بالمعني الحقيقي لكلمة إتحاد . لكن كيف يحدث هذا ؟ كيف إتحدت معا الخصائص والناسوت في طبيعة واحدة بلا إختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، هذا ما لا نعرفه ، وكيف يمكن أن يكون للمسيح صفات وخصائص كلا الطبيعتين لكن ليس له طبيعتان ، فإن هذا ما لا نعرفه أيضا. وقد يبدو هذا غير منطقي ومتناقضا . شيء واحد نحن متأكدون منه ، أن هناك نوعا من الإتحاد الذي يفوق كل إدراك المفاهيم البشرية والمتناقضات الإنسانية . إنه إتحاد حقيقي . وقد نتكلم أحيانا عن طبيعة إلهية وطبيعة بشرية لكن هذا الانفصال موجود في عقولنا فقط . وفي الحقيقة ليس هناك طبيعتان بعد الإتحاد . ولم يحدث أن الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية انفصلتا الواحدة عن الأخرى ، ثم اجتمعتا معا في إتحاد . وأما ما حدث فهو هذا ، أن الأقبوس الثاني للثالوث المقدس المبارك قد نزل وحل وسكن في بطن العذراء واتخذ لنفسه جسدا بشريا وروحا إنسانيا ، طبقا لما يعلنه القديس يوحنا " والكلمة صار جسدا " (يو ١ : ١٤) . ولا توجد كلمة غير كلمة " صار " أقوى دلالة علي الإتحاد التام الذي حدث . كان يمكن للكتاب المقدس أن يستخدم تعبيرا آخر لكنه لم يفعل ولا يوجد إزدواج هنا بين الطبيعتين . فلا توجد إلا

طبيعة " واحدة " فقط . هذا برهان حقيقي علي الإتحاد بالمعني الذي تقره وتعترف به الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية .

### (و) - مثل إتحاد الروح والجسد

" إن الإتحاد بين اللاهوت والناسوت يشبه بالإتحاد بين الروح والجسد في الإنسان. فمع أن الروح والجسد يختلفان الواحد عن الآخر في الجوهر ، فإن الإتحاد بينهما جعل منهما طبيعة واحدة فقط وهي التي نشير إليها بالتعبير " الطبيعة الإنسانية " . هناك تشبيه آخر قد يكون أوضح ، هو الإتحاد الموجود بين الفحم والنار في جمرة أو فحم متقد ، ومهما يكن فإن الإتحاد في المسيح لا يمكن أن يشبه أو يقارن بأي نوع من الإتحاد الذي نعرفه في خبراتنا الإنسانية . " إنه إتحاد لا نظير له " .

" مرة أخرى أكرر أننا نؤمن بطبيعة " واحدة " . هذه الطبيعة ليست هي اللاهوت وحده ولا الناسوت وحده . إنها طبيعة " واحدة " لها صفات وخصائص الطبيعتين بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير .

### (ز) - الإختلاف حول خلقيدون إختلاف ضئيل

"والآن يبدو لي أن الإختلاف بين إقرارنا الذي نعترف به وبين الإقرار الذي تعترف به الكنائس الخلقيدونية إختلاف تافه ضئيل . إنها مسألة تعبير عن نفس المعني ونفس الحقيقة اللاهوتية . إنني أعتقد أن هذا صحيح إلي حد كبير ، ما زلنا نحفظ بأسبابنا للتمسك بتعبيرنا التقليدي " طبيعة واحدة للكلمة المتجسد " . طبيعة واحدة لها خصائص وصفات الطبيعتين بلا إختلاط ، ولا إمتزاج ، ولا تغيير . هذه الأسباب يمكن إجمالها في النقاط التالية :



## أولا : لا يوجد نص كتابي واحد يبرهن بصورة قاطعة حاسمة علي أن المسيح طبيعتان بعد الإتحاد

" وعلي العكس فإن كل النصوص الكتابية في جانبنا ، ونذكر فقط فقرات قليلة  
كأمثلة:

يقول القديس يوحنا بكل صراحة ووضوح " والكلمة صار جسدا وحل بيننا "  
( يوحنا ١ : ١٤ ) .

وفي سفر الرؤيا يعلن ربنا ، " أنا هو الأول والآخر ، والحي وكنت ميتا وها أنا  
حي إلي أبد الأبدين آمين . ولي مفاتيح الهاوية والموت " ( رؤيا ١ : ١٧ ، ١٨ ) .  
الضمير " أنا " في هذه الفقرة لا يبين الإزدواج أو الثنائية . إنه هو الأول والآخر وهو  
الذي كان ميتا .

نفس المعني واضح في فقرات أخرى ، " وليس أحد صعد إلي السماء إلا الذي  
نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء " ( يوحنا ٣ : ١٣ ) . إذن هو "  
الواحد " الذي في السماء وهو ابن الإنسان علي الأرض ، دائما نفس الأمر ، جوهر  
واحد ، أقنوم واحد ، طبيعة واحدة .

والقديس بولس في حديثه إلي أساقفة أفسس ، ينادي بنفس الإتحاد " إحترزوا  
إذا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله  
التي إقتناها بدمه " ( أع ٢٠ : ٢٨ ) " فكيف أمكن للرسول القول بأن الدم المسفوك  
هو دم الله لو كان هناك إزدواج في المسيح بأي معني ؟

كما أن نفس الرسول يقرر في رسالته الأولى إلي أهل كورنثوس " لأن لوعرفوا  
لما صلبوا رب المجد ، ( ١ كو ٢ : ٨ )

إذن " فالواحد " المصلوب هو رب المجد نفسه . مرة أخرى لا إزدواج .

نفس الحقيقة واضحة جدا من فقرات مثل " عظيم هو سر التقوي الله ظهر في  
الجسد " ( ١ تي ٣ : ١٦ ) - " الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلصة أن

يكون معادلاً لله . لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس ، وإذا وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب " ( في ٢ : ٦ - ٨ ) .

" فقرات أخرى من إنجيل متي ٣ : ١٧ ، لوقا ١ : ٤٣ ، يوحنا ١ : ١٨ ، ٣ : ١٦ ، ٨ : ٥٨ ، ١ كو ٨ : ٦ ، ١ : ٤ و ٩ ، غل ٤ : ٤ ، أف ٤ : ٨ - ١١ ، كو ١ : ١٥ و ١٦ ، ٢ : ٩ ، تيطس ٢ : ١٣ ، عب ١ : ١ - ٣ ، ٢ : ٩ و ١٣ ، ١٣ : ٨ " .

## ثانياً : عبارة " طبيعتين متحدتين معا " هي عبارة في غاية الخطورة

- ١ - إنها تتضمن الإزدواج ، وحتى نوعاً من الفصل بين اللاهوت والناسوت ، وإلا فلا معني للإصرار علي عبارة " طبيعتين " مادام هناك إتحاد .
- ٢ - إنها لا تدل علي إتحاد حقيقي - إنها بالأحرى تعبر عن وجود طبيعتين منفصلتين تقتربان أو تنضمان معا . وبناء عليه فمثل هذا التعبير يفتح طريقاً إلي النسطورية التي بالتأكيد تدينها الكنائس الخلقيدونية كهرطقة ضد الإيمان المسيحي .
- ٣ - " عبارة طبيعتين متحدتين معا عبارة خطيرة ضد خلاصنا ، فلو أن هناك طبيعتين في المسيح بعد الإتحاد ، إذن ففداء المسيح كان عمل ناسوته لأن الجسد هو الذي صلب . وبالتالي فلا يكون لفداء المسيح قوة لخلاص الجنس البشري . والواقع أن قيمته تكمن في حقيقة أن " الواحد " الذي صلب هو " الكلمة " المتجسد . بالتأكيد لم يكابد اللاهوت عذاب الصلب ، إلا أن اللاهوت أعطي الصلب قيمته اللانهائية وقدرته المتناهية علي خلاص كل الجنس البشري ، إن عبارة " طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين " تنقذ إيماننا بفداء ربنا . وتتضمن عبارة " طبيعتين " احتمال صلب جسد المسيح لا المسيح نفسه . وكل فقرات الأسفار المقدسة ضد هذا المفهوم .

فالدم هو دم الله ، كما قال القديس بولس " كنيسة الله التي إقتناها بدمه " ( أ.ع ٢ : ٢٨ ).

٤ - عبارة " طبيعتين " في المسيح لا يمكن أن توضح العقيدة التي تعترف فيها الكنائس الرومانية الكاثوليكية والخلقيدونية بأن القديسة مريم هي والدة الإله . وعلي العكس يتضمن التعبير الخلقيدوني احتمال الهرطقة النسطورية التي يقبلها كل البروتستانت علي إختلاف طوائفهم ، وهي أن القديسة مريم ليست أم الله ، والدة الإله . إنها فقط أم يسوع الإنسان ولا أدري كيف يمكن للكنائس الخلقيدونية أن تستمر في إعتقادها أن القديسة مريم أم الله . وعبارة أن المسيح طبيعة " واحدة " ، يمكن أن توضح هذه الحقيقة بسهولة لأن " الواحد " المولود من القديسة مريم ليس هو يسوع الإنسان بل " الكلمة " المتجسد .

### (ح) - الأرثوذكس الشرقيون يرفضون عقيدة خلقيدون

" هذه هي الأسباب التي من أجلها ترفض الكنائس الأرثوذكسية الشرقية عبارة " طبيعتين " وتتمسك بتعبيرها التقليدي القديم " طبيعة واحدة " التي أقرها القديس أثناسيوس العظيم والقديس كيرلس بطريرك الإسكندرية . وبالمثل هي الأسباب التي من أجلها ترفض الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية الإعتراف بوثيقة " ليو " بابا روما والتعريف الخلقيدوني ، لأنها تقر بوضوح بوجود طبيعتين بعد الإتحاد .

### (ط) - الحاجة إلي الإتفاق و الإتحاد

هذا هو رأينا وموقفنا اليوم . إنني شديد الإقتناع جدا بأن الإيمان الخلقيدوني بعيد عن كونه نسطوريا ، وأن الإيمان اللاخلقيدوني بعيد عن كونه أوطاخيا ، ولذلك فنحن لا نتخلي عن الأمل بأن يوما ما لن يكون لجميع الكنائس نفس الإيمان ، ولكن أيضا نفس الإعتراف بالإيمان ونفس الإصطلاحات والتعبيرات اللاهوتية . يجب أن

يأخذ مجمع مسكوني المبادرة . إن المؤتمرات المشابهة لمؤتمرنا هذا قد تمهد الطريق .  
إنني واثق أن مثل هذه الاجتماعات سوف تؤدي إلي مفهوم أفضل وتساعد علي دفع  
الحركة المسكونية إلي الأمام . دعونا نصلي من كل القلب من أجل وحدة كنيسة  
المسيح، حتي تستطيع أن تمسك معتصمة بمشعل النور ، كارزة بالإنجيل ، ومقاومة  
شُرور العالم ، ومصارعة الإلحاد والمادية . إن إتحاد الكنيسة ليس فقط هو إرادة الله  
، إنه أيضا الشرط الذي بدونه تنتهي إرسالية الكنيسة والمسيح . " ولست أسأل من  
أجل هؤلاء فقط بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم .. ليكونوا هم أيضا  
واحد فينا ، ليؤمن العالم أنك أرسلتني" . ( يو ١٧ : ٢٠ ، ٢١ ) ( From an adress  
presented to a meeting of Church Representatives in Jerusalem . Quoted by Iris  
Habib Al Masry , The Story of the copts , pp. 536 - 542 )

## Recommended English Readings

- 1 - Atiya , A.S.A **History of Eastern Christianity** , pp. 69 - 71 .
- 2 - Boer , Harry R A **Short History of the Early Church** , pp , 171 - 176 .
- 3 - Bruce , F.F.**The Spreading Flame** , pp . 312 - 315
- 4 - Chadwick , Henry . **The Early Church** , pp . 200 - 205 .
- 5 - Danielou - Marrou -**The Christian Centuries** , vol . 1, pp . 348 - 358 .
- 6 - Duchesne , Louis -**The Early History of the Church** , vol .111, p . 271 -289 .
- 7 - Foster , John **Church History 1, The First Advance** , pp .141 -143 .
- 8 - Friends . W.H.C.**The Early Church** , pp . 237 - 246 .
- 9 - Latourette , K.S . **A History of Christianity** , pp . 170 - 172
- 10 - El Masry ,I.H. - **The Story of the Copts** , pp. 215 - 238 .
- 11 - Schaff , Philip **History of the Christian Church** , vol . III , pp. 137 - 139
- 12 - Walker , Williston **A History of the Christian Church** , pp . 137 - 139 ,734 - 762
- 13 - Wand , J.W.C.**A History of the Early Church to AD 500** , pp . 234 - 243
- 14 - Especially recommended is **The Christological Controversies** By Richard . A. Norris , JR , in the series **Sources of Early Christian Thought** , editor - William G . Rusch . This book gives an excellent summary of Christology from the arliest days through Chalcedon including extensive quotes from the leading thinkers onthe subject.
- 15 - Also recommended for readings in Christology :  
Seeberg ,Reinhold ,**Text Book of the History of Doctrines** , pp . 243 -271.



## (ج) - نتائج مجمع خليقدون

### إستمرار الجدل حول العقيدة في المسيح

علي العموم لقد حسم إقرار الإيمان الخلقيدوني ، الخلاف من جميع الوجوه حول لاهوت المسيح وناسوته ، بالنسبة للكنيسة الغربية ( اللاتينية ) ، لكن ليس بالنسبة للكنيسة الشرقية . فقد استمر الصراع بين الخلقيدونيين ( اليونانيين أوالبيزنطيين ) واللاخلقيدونيين . وكان اللاخلقيدونيين هم الأقوي في الإسكندرية ، لكن كان لهم مراكز قوية أيضا في أورشليم ، وأنطاكية ، نصيبين ، وأديسّا . وقد حاول الخلقيدونيون في الشرق بدورهم إما أن يقنعوا أو يرغموا غير الخلقيدونيين علي أن يغيروا من موقفهم ومن رأيهم .

### الإضطهاد البيزنطي في مصر

مع عزل ديوسقورس ونفيه ، تم تعيين بروتيريوس Proterius صديق البيزنطيين بطريركا للإسكندرية بمرسوم إمبراطوري ( تذكر أن عاصمة الإمبراطورية البيزنطية كانت القسطنطينية ) . كان هذا الإجراء مرفوضاً بجملته تماما من شعب مصر الذين انتخب من ناحيته تيموثاوس إيلوروس أسقفا له . وحين سنحت الفرصة هب عامة الشعب في الإسكندرية واغتالوا بروتيريوس . وتلا ذلك عندئذ محاولات أخرى من القسطنطينية لتنصيب بطاركة بيزنطيين في الإسكندرية ، ومجهودات أخرى بنفس التصميم من المصريين ، علي إختيار قادتهم بأنفسهم . وفي أنطاكية انتخب السوريون بطرس الفولر The Fuller بطريركا لهم في عام ٤٦٤ م خلقيدونيا قويا ، وهو الذي أدخل في تسبحة " الثلاث تقديسات ( قدوس قدوس قدوس ) في ليتورجية القداس ، جملة جديدة هي " قدوس الله ، قدوس القوي ، قدوس الحي الذي لا يموت ، الذي

صلب من أجلنا " . وهي كلمات مقبولة لدى اللاخقليدونيين لكنها مرفوضة لدى الخقليدونيين ، وخلال هذه الفترة إتخذت مقاومة البيزنطيين نغمة وطنية عالية ، ففي سنة ٤٨١ إختار الشعب بطرس مونجو Peter Mongo بطريركاً للإسكندرية وقد استطاع بطرس أن يحتفظ بمركزه بالرغم من التدخل البيزنطي . و لأن الخقليدونيين كانوا مؤيدين من الإمبراطور أصبح اسمهم " الملكانيين Melchite " أو الإمبراطوريين \* . وكان الملكانيون يتحدثون اليونانية بينما كان غير اللاخقليدونيين يستخدمون في ليتورجياتهم اللغة القومية الوطنية ، السريانية في سوريا والقبطية في مصر . هذا الإحساس بالعزلة والتباعد الثقافي والسياسي بين الخقليدونيين واللاخقليدونيين تسبب في الانفصال بينهم بنفس القدر الذي سببته المناظرات والجدل حول " العقيدة في المسيح " .

#### زينون Zeno وآل هينوتيكون Henoticon

لفترة ما ، كانت هناك تسوية للخلافات بين الإسكندرية والقسطنطينية عندما تقابل بطرس مانجو ، الذي انتخبه الأهالي بطريركاً للإسكندرية ، مع أكايوس " Acacius بطريك القسطنطينية . في ذلك الوقت كان الإمبراطور زينون قد اقتنع بأن استخدام القوة ضد مؤيدي مبدأ " الطبيعة الواحدة " لا جدوي منه . وقد أصدر الإمبراطور زينون بمساعدة بطرس أسقف الإسكندرية وكايوس أسقف القسطنطينية في سنة ٤٨٢ م منشور الإتحاد وإسمه هينوتيكون Henoticon " . وقد إعترف هذا " الهينوتيكون " بقرارات المجامع المسكونية الثلاثة الأولى ( نيقية والقسطنطينية وأفسس ) . وحرّم ثانية ( أناثيما ) كل من نسطور وأوطاخي وأتباعهما . وكرّم المنشور ذكرى كيرلس وإقتراحاته الإثني عشر . ووافق رسمياً

---

\* لسنوات عديدة كان يوجد بطريك ملكاني بيزنطي في الإسكندرية وفي أيام الإمبراطورية البيزنطية كانت تحميه فرقة من الجيش الإمبراطوري .

علي تعبير ثيوتوكوس . وأعلن أن المسيح واحد في الجوهر في ناسوته وفي لاهوته ، ولكن المنشور كان حريصا علي تجنب ذكر "طبيعة واحدة أم طبيعتين " . وقد جاء ذكر خلقيدونية كما هي لكن بطريقة غير مباشرة ، واختتم المنشور بهذه الكلمات . " أو من فكر بخلاف ذلك سواء في خلقيدون أو في أي مجمع أو سنودس آخر من أي نوع ، فهو محروم " أناثيما " ، وقد كانت للشعب الحرية في قبول مجمع خلقيدونية . لقد كان منشور الإتحاد الهينوتيكون - كمحاولة لإيجاد حل وسط - مقبولا لدى البعض ، لكنه كان بصفة عامة غير ناجح . فقد بدا الهينوتيكون بالنسبة للخلقيدونيين كأنه إنكار لقانون مجمع خلقيدونية . أما لدى اللاخلقيدونيين فكان غير واف لأنه لم ينكر خلقيدون بصفة خاصة . لقد وسّع هذا المنشور عموما الهوة بين روما والقسطنطينية بدرجة كبيرة . وقد أصدر " فيلكس Felix " بابا روما قرارا بحرم أكايوس ، وأكايوس بدوره حذف إسم الأسقف الروماني من ليتورجية الأفخارستيا . إن إصرار وإستمرار زينون وخليفته أنستاسيوس لمدة ستة وثلاثين عاما ( ٤٨٢ - ٥١٨ م ) علي محاولة فرض الهينوتيكون بالقوة علي الخلقيدونيين واللاخلقيدونيين علي السواء ، لم ينفع في حل المشاكل .

## إحترام اللاخلقيدونيين

من المفيد أن نلاحظ سمو الإحترام لزعماء أنصار " الطبيعة الواحدة " الذي تمسك به كاتب كاثوليكي روماني معاصر هو ، هنري مارو في كتاب ( Henri Marrou ) In The Christian Centuries , vol . 1 . p. 356 . يتأسف لمرور العصر الذهبي لأباء الكنيسة - جيروم ، يوحنا فم الذهب ، ثيودوريت ، كيرلس وغيرهم ، ويذكر أنه في القرنين الخامس والسادس كانت الشخصيات القوية في الكنيسة موجودة بين معتنقي " الطبيعة الواحدة " . لم يكن بين الخلقيدونيين واحد يتساوي معهم في المقام " . ثم يشير إلي تقواهم " ونشاطهم الروحي والليتورجي " ، وجهودهم التبشيرية وسط قبائل العرب في سوريا . وكان يمكنه أن يذكر أيضا توسع الكنيسة القبطية وسط القبائل

النوبية في أعالي النيل . ( For Which , see al Masry , Iris Habib , The Story of the Copts . p . 259 , in Arabic vol , 11 , p. 169 )  
القبطية " للكاتبه إيريس حبيب المصري ، المجلد الثاني صفحة ١٦٩ ) ، وفي المقابل كانت الأقاليم الغربية تدخل عصورها المظلمة . وقد سقطت بلاد شمال أفريقيا ، وأسبانيا وبريطانيا ، وبلاد الغال في أيدي القبائل الوثنية . أما عن الكنيسة فباستثناء روما ، كانت الأريوسية حية ونشيطة للغاية ، وكان أساقفة أرليز ورافينا وقرطاجنة - أريوسيين .

### ساويرس الأنطاكي Severus of Antioch

كان ساويرس الأنطاكي شخصية هامة من جماعة اللاخليدونيين ( ٤٦٠ - ٥٣٨ م ) . كان ساويرس كاتباً خصيب الإنتاج أدي الكثير في تعريف فكر ورأي " الطبيعة الواحدة " . نفاه الإمبراطور الخلقيدوني جوستين ، وقضى عشر سنوات في مصر ( ٥١٨ - ٥٢٧ م ) . ونجده مرة أخرى في القسطنطينية في سنة ٥٣١ م . حيث كانت تحميه تيودورا زوجة الإمبراطور جوستينيان والتي كانت متعاطفة مع غير الخلقيدونيين ، لكنه نفي مرة أخرى إلى مصر في سنة ٥٣٦ م . رفض ساويرس محاولات فصل طبيعتي المسيح كما رفض أن يفسر ناسوت المسيح تفسيراً خاطئاً . وربما كان ساويرس أقرب لقانون خلقيدون من كثيرين من زملائه . في الواقع يقول هنري مارو عنه " يمكننا القول إن عقيدة الطبيعة الواحدة تاريخياً ، وهي المبدأ الذي دام إلى العصور الحديثة ، هي عقيدة الطبيعة الواحدة التي نادي بها ساويرس ، وقد رفض ساويرس خلقيدونية ووثيقة " طومس ليو " مخلصاً تماماً لتعليم كيرلس الذي يمجّد إتحاد اللاهوت والناسوت في المسيح فوق كل شيء آخر . فلو أن الطبيعتين تميزتا الواحدة عن الأخرى ، فلقد كان ذلك تمييزاً منطقياً فقط وليس تمييزاً حقيقياً .



## إنقسامات أصحاب الطبيعة الواحدة

لسوء الحظ تجزأ حزب اللاخلقيدونيين إلي طوائف أخرى لأسباب سياسية ولاهوتية متنوعة . فهناك فريق لا يغفر أبدا لبطرس مونجو موافقته علي الهينوتيكون . وهناك جماعة تؤمن بعقيدة أوطاخي إيمانا كاملا ، وكانوا يؤمنون بأن اللاهوت ابتلع واستوعب الناسوت تماما في المسيح . وهناك مدرسة تتبع جوليان إلهاليكارناسوسي Halicarnassus الذي كان يؤمن بأن جسد الرب غير قابل " للفساد " متضمنا بذلك أنه لم يكن متأثرا بالحواس والأحاسيس الإنسانية الأصلية النمطية ( مثل الجوع والعطش والألم .. إلخ ) .

## الإمبراطور جوستينيان

ظهر آنذاك شخص أثر تأثيرا عظيما في مستقبل الكنائس وإمبراطورية الشرق- هو جوستينيان الأول ( ٤٨٣ - ٥٦٥ م ) أعظم أباطرة البيزنطيين الذي حكم من سنة ٥٢٧ م حتي موته سنة ٥٦٥ م . وإذا نترك جانبا نجاحه الكبير سياسيا وعسكريا ، نتجه إلي علاقاته بالكنيسة . كان جوستينيان لاهوتيا مقتدرا شرع في تسوية الفروق بين الفروع الخلقيدونية وغير الخلقيدونية للكنيسة . وقد سعي نحو أساس وسط يمكن أن يعيد التأكيد الكيرلسي للإقرار الخلقيدوني بدون الإساءة إلي البيزنطيين " الأرثوذكس " . ونجح جوستينيان إلي حد كبير مع البيزنطيين لكن النجاح لم يحالفه مع الإسكندرانيين . كان جوستينيان يتلقي المساعدة من اللاهوتي " ليونيتوس " Leontius " ( ٤٨٥ - ٥٤٣ م ) الذي طبق منطق أرسطو علي مشكلة " الطبيعة الواحدة ؛ الطبيعتين " ، فتمسك بأن طبيعة المسيح البشرية كانت متحدة مع " اللوجوس " منذ الأزل ولم توجد قط بصورة مستقلة عنه . الإنسان في المسيح ، حقيقي ، لكن مركزه اللوجوس . كانت وجهة نظر ليونينوس فعليا وعمليا قريبة جدا من فكر ساويرس الأنطاكي ( أنظر أعلاه ) لكن الغالبية من طوائف الطبيعة الواحدة في سوريا ومصر



لم يكن يرضيهم شيء أقل من الرفض التام الفوري لإقرار خلقيدون .

لذلك فإن الكنائس الشرقية الأرثوذكسية في صلوات الليتورجية تحيي فقط ذكرى المجمع المسكونية الثلاثة الأولى فقط ، نيقية ، القسطنطينية ، أفسس . أما الكنائس الخلقيدونية فتعترف بسلطة سبعة مجامع مسكونية - هي نيقية - ٣٢٥ م القسطنطينية ( الأول ) سنة ٣٨١ م ، أفسس سنة ٤٣١ م ، خلقيدونية سنة ٤٥١ م القسطنطينية ( الثاني ) سنة ٥٥٣ م ، القسطنطينية ( الثالث ) سنة ٦٨٠ م ، نيقية ( الثاني ) سنة ٧٨٧ م .

## الفصول الثلاثة ومجمع القسطنطينية الثاني

مرة أخرى حاول جوستنيان الأول في ما يعرف بمناظرات " الفصول الثلاثة " التي أدت إلى إنعقاد المجمع الخامس العام في القسطنطينية . ففي سنة ٥٤٤ م أدان الإمبراطور بعض الكتابات التي اعتبرها نسطورية . (١) شخصية وكتابات ثيودور أسقف مابسوستا ( ٣٥٠ - ٤٢٨ م ) . (٢) كتابات ثيودوريت ( ٣٩٣ - ٤٥٨ م ) في نقد كيرلس بطريرك الإسكندرية . (٣) خطاب إيباس السوري - كان الغرض من هذه الخطة هو السماح فقط لتفسير كيرلس لإقرار الخلقيدوني وتنقيته من أي ارتباطات نسطورية ( ملاحظة : ثيودوريت وإيباس أعيدا إلى مراكزهما في خلقيدون ) . لم يكن بابا روما فيجيليوس Vigilius ، سعيدا حيث أنهم الآن حقروا مجمع خلقيدونية لكنه لم يستطع أن يفعل إلا القليل لأن جوستنيان كان قد هزم إيطاليا للمرة الثانية وسيطر سيطرة تامة على الإمبراطورية شرقها وغربها . لذلك استطاع جوستنيان أن يدعو إلى إنعقاد مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني في سنة ٥٥٣ م . ثم قبول إدانة " الفصول الثلاثة " في القسطنطينية ( بيزنطة ) وقبلها فيجيليوس والغرب تحت الضغط . كان الغرض الرئيسي لجوستنيان من تمسكه بالمجمع هو المصالحة مع أصحاب مبدأ " الطبيعة الواحدة " من سوريا ومصر ، لكن مجهوداته

كانت بدون فائدة .

يعقوب بارادايوس ( يعقوب البرادعي ) Jacob Bardaeus

بسبب الإجراءات التي إتخذها الإمبراطور إنقسمت جماعة اللاخليدونيين إنقاسما خطيرا . وكان الشخص الذي بذل مجهودا كبيرا لإنقاذ هذه الجماعة من الإنقراض هو يعقوب البرادعي أسقف سوريا ( ٥٤٢ م - ٥٧٨ م ) . كان يعقوب قد أقيم أسقفا سنة ٥٤٢ م علي يد ثيودوسيوس أسقف الإسكندرية وبتشجيع من الإمبراطورة " ثيودورا " التي كانت تميل جزئيا إلي أصحاب مبدأ الطبيعة الواحدة. وكان البرادعي ( الإسم يعني الأسمال ) يسافر متنقلا في كل الشرق الأوسط متنكرا في زي شحاذ ليهرب من القبض عليه ، مشجعا قادة الكنيسة ، وكان يقوم برسامة الكهنة ، ناهضا باجتماعات المصلين . وقد نظم مجمعا للأساقفة في الإسكندرية . أما هو نفسه فلم يحظ بالإرتقاء إلي عرش البطركية ، لكنه في سنة ٥٦٠ م نجح في تنصيب كاهن غير خلقيدوني بطركا لأنطاكية إذ لم يكن هناك أي بطرك علي أنطاكية منذ عزل ساويرس سنة ٥١٨ م . يقول تقليد الكنيسة السريانية أن يعقوب البرادعي كرس ما لا يقل عن سبعة وعشرين أسقفا، إثنا عشر أسقفا منهم في مصر . وكان يعمل بلا كلل أو ملل ليجمع ويوحد الكنيستين الأرثوذكسيتين المصرية والسريانية . وما تزال الكنيسة الأرثوذكسية السريانية تُعرف لهذا اليوم بالكنيسة اليعقوبية . ومع أن الكنيستين الأرثوذكسيتين القبطية والسريانية لم تتحدا قط ، فقد كانت بينهما دائما علاقة أخوية وثيقة .

هرقليوس Heraclius وعقيدة المشيئة الواحدة " Monothelism "

إلا أن الهوة اتسعت بين الخلقيدونيين واللاخليدونيين في السنوات التالية ، عندما حاول الأباطرة من بعد جوستنيان - إما بالقهر أو بالإقناع - أن يعيدوا توحيد

الكنيسة . وفيما يختص المصريين فإنهم إعتبروا هذه المحاولات علي أنها ليست سوي احتلال واستغلال من أجنبي معتد ظالم . وفي خلال القرن السابع قامت جيوش الفرس تحت قيادة خسرو Chosroes بغزو سوريا وفلسطين واحتلال مصر لمدة عشر سنوات . وكانت الإمبراطورية كلها معرضة للضياع لولا الإمبراطور هرقل الذي تمكن من أن يرد الفرس علي أعقابهم . إلا أن هرقل إتبع السياسة البيزنطية الأصلية النمطية ضد مصر، فأقام بطريركا ملكانياً في الإسكندرية وخوّلهُ سلطات مدنية ، وكنسية . كما ابتكر هرقل أيضا نظرية لاهوتية جديدة كان يرجو بمقتضاها أن يجذب أصحاب مبدأ الطبيعة الواحدة . كانت هذه النظرية تسمى " Monotheletism " ( أي المشيئة الواحدة ) أو وحدانية وتناسق الإرادتين الإنسانية والإلهية في المسيح . وقد لقيت هذه النظرية بعض الإهتمام في روما وأنطاكية لكنها قوبلت بالرفض القاطع الفوري في الإسكندرية. في سنة ٦٣٨ م حاول هرقل بمرسوم إمبراطوري أن يجبر كل الكنائس علي قبول مبدأ عقيدة " الإرادة الواحدة " ، الأمر الذي أدى إلي المزيد من سخط وهياج الإسكندريين . لقد كان أقباط مصر ملتزمين برفض أي حل يوناني من خليقدونية إلي هينوتيكون " Henoticon " إلي عقيدة الإرادة الواحدة " Monotheletism " فإذا أخذنا في الإعتبار معاملة البيزنطيين لهم لعرفنا أنه كان لديهم سبب وجيه جدا لذلك .

### كورش المقوقس الملكاني، بطريركا

كجزء من جهوده لإخضاع مصر ، قام هيرقليوس بتعيين ساويرس " كورش " بطريركا ملكانيا وواليا إمبراطوريا في نفس الوقت ، وبولاية ساويرس " كورش" (المعروف عند العرب بإسم " المقوقس " ) ، بدأت حقبة من الظلم فاقت الكل في قسوتها ، فاضطر البطريرك القبطي بنيامين إلي أن يعيش لاجئا في الأديرة حتي وضع غزو العرب حدا للحكم البيزنطي . كانت مصر ، لبضعة قرون ، مطمعا للإمبراطوريات المختلفة بسبب وفرة محصولها من القمح . لكن المصريين لم يذوقوا

مرارة الإضطهاد تحت نير أي ظالم بقدر ما ذاقوه تحت حكم البيزنطيين الذين إستغلوهم إقتصاديا ، وسياسيا ، ودينيا . لقد وفر عليهم الغزو العربي المزيد من العقوبات من البيزنطيين ، لكن الغزوة أيضا غيرت الوضع تغييرا جوهريا بالنسبة لهم ولكل الطوائف الدينية في الشرق الأوسط .

## اليونان الأرثوذكس والأقباط الأرثوذكس

لقد تناست كنيسة الغرب الحديثة كل شيء عدا قضايا ألوهية المسيح ، التي كانت النقطة المركزية لذلك الصراع الميرفي القرون الرابع والخامس والسادس والسابع ، بل وحتى الكنائس الشرقية التي تحتفظ في ذاكرتها بتلك القضايا ، تتكلم في الموضوع بتحفظ ورفق وبدون تعصب ( كما في شهادة الأنبا أغيرغوريوس السابق ذكرها ) . وجدير بالملاحظة أنه فيما عدا تعريف الناسوت واللاهوت في المسيح ( لم تكن القضية مطلقا هل هناك ؟ بل كيف ؟ ) . فإن اللغات وبعض جوانب التقليد والليتورجية ، فيها مشابهاة عديدة بين الأرثوذكس اليونان والأرثوذكس الأقباط. فالكنيسة تتفقان علي ذبيحة الأفخارستيا في الليتورجية المقدسة ، وعلي الأسرار المقدسة السبعة ، والنظام الأسقي ، ومبدأ الرهبنة ، والحج والصوم ، وزواج الكهنة وعدم زواج الأساقفة ، ورفات القديسين ، والأيقونات ( لكن ليس التماثيل ) . والكتاب المقدس والتقليد لهما السلطان بالتساوي ، في تعريف الإيمان .

ولا شك إن تاريخ العزلة المبكرة بين الكنيستين ، ثم القرون التي حدث فيها انفصال بينهما بسبب إختلاف السلالات والحضارات ، كل هذا زاد من صعوبة الإتحاد بينهما ، وهو إتحاد يبدو أمام المراقبين الخارجيين ممكنا ومحملا من الخارج .

## **Recommended English Readings**

- 1 - Atiya , A.S. **A History of Eastern Christianity** , pp . 71 - 78.
- 2 - Danielou , Jean , **The Christian Centuries** , vol . 1 , pp. 353 - 368 .  
Marrou , Henri .
- 3 - Duchesne , Louis , **The Early History of the Church** , vol . 111 , pp.-  
359
- 4 - Al Masry , I, H, **The Story of the Copts** , pp . 241 - 268 .
- 5 - Schaff , Philip , **History of the Christian Church** , vol . 111 , pp .762 -
- 6 - Seeberg , Reinhold , **Textbook of the History of Doctrines** , vol . 1,pp.  
272 - 288 .
- 7 - Walker , Williston ,**A History of the Christian Church** , pp . 140 - 148.



# ٩ - التطورات داخل الكنيسة في القرون - الرابع والخامس والسادس

## أ - الإدارة والنظام

### مركز وحياة الأساقفة

لقد ناقشنا فيما مضى تطور سلطة وقوة الإكليروس في العصر القسطنطيني (القرن الرابع) . ووجدنا في القرنين الخامس والسادس مزيدا من التأكيد علي هذا الاتجاه . فقد أصبح الأساقفة فعليا وعمليا موظفين كبارا للدولة . ( ويبدو أنه لم يكن هناك ثمة تناقض في أن يقوم الإمبراطور هرقل ( القرن السابع ) بتعيين سايرس (المقوس ) أسقفا علي الإسكندرية وأن يده بالسلطين الدينية الكنسية ، والمدنية . وكان المتوقع منهم أن يتنافسوا مع نظرائهم السياسيين في ممارسة سلطتهم وفي أسلوب معيشتهم في حياتهم . وكانوا منهمكين في العمل . فكانوا يعمدون ، ويحلون ، ويكرزون ، ويحرمون . كانوا إداريين ، وقضاة ، ومجادلين، ومدافعين عن الإيمان ، ومستشارين للإمبراطور . وكان الأمر يتطلب من الشخص رحلة طويلة من التلمذة والتدريب ، قبل أن يصل إلي مركز الأسقفية . وقد وضع البابا سيريشيوس \* سنة ٣٩٠ م برنامجاً لرجال الإكليروس المنتظرين . فيبدأ الشخص في سن السادسة كقاريء للإنجيل . ثم يتقدم إلي رتبة مساعد شماس ، وبعد ثلاث سنوات إلي شماس وأخيرا إلي القسوسية ( أي الكهنوت ) . وعند بلوغ الأربعين يتوقع المرء أن يصبح أسقفا . )

( 10 - 9 : 1 Siricuis letter )

---

\* تذكر الكنيسة البابا سيريشيوس لأنه اتخذ خطوات لمنع بعض دوائره من الوقوع تحت السلطة القضائية للقسطنطينية .

## إستبعاد الأثرياء من الإكليروس

منذ أيام قسطنطين كانت السلطات تثبّط همّة الأثرياء عن الدخول في خدمة الكهنوت. ففي سنة ٣٢٦ م أمر الإمبراطور بأن " أصحاب الثروات الصغيرة" متوسطي الدخل هم فقط الذين يرسمون . فقد كانت الحكومة شغوفة ألا تفقد إيراداتها. وكانت هناك إستثناءات بالطبع، مثل أمبروسيوس، لكن لسوء الحظ فإن أمر الإمبراطور كان معناه أيضا، أنه في أوقات كثيرة دخل الخدمة أناس قلت موهبتهم أو هزل تعليمهم .

## تأثير العلمانيين

مع إزدياد قوة الإكليروس كان تأثير العلمانيين يتضاءل بالتناسب . علي أية حال يمكن أن نلاحظ أن العلمانيين إستمروا يلعبون دورا هاما في حياة الكنيسة وتطورها ونموها . فكان كل واحد مهتما بالفكر اللاهوتي . وكانت الهرطقة الأريوسية والمنازعات حول العقيدة في المسيح ، هي موضوع الساعة . وكان الناس علي إختلاف مراكزهم من المتعلم إلي الأمي يتابعون الصراع داخل الجامع بنفس الولع والشوق الذي يتابع به الإنسان الحديث في الشارع مبارياته في كرة القدم . ويسبب القرارات غير المرضية كان العامة يخرجون في مظاهرات صاخبة إلي الشوارع، وكان الأباطرة يعقدون الجامع كما كان كبار رجال البلاط يشاركون فيها مشاركة فعالة، وكان العلمانيون المثقفون مستشارين للاهوتيين . وكان إثنان من أهم مؤرخي هذه الحقبة وهما سقراط وسوزومين خادمين مدنيين في القسطنطينية . وأخيرا لقد أسهم العلمانيون في الجهد التبشيري للكنيسة إسهاما عظيما . فالتجار المسافرون إلي خارج حدود الإمبراطورية كانوا يحملون معهم الإنجيل . وقد تم تحويل أيرلندا إلي المسيحية بفضل صبي مسيحي صغير اسمه ( باتريك ) Patrick . كان البربر قد أسروه ، وبفضله أيضا تجدد من أسروه . وتكررت القصة أيضا في إثيوبيا بأسر فرومينيتوس Frumentius وأوديسيوس Aedisius .

## تدهور وضعف تأثير العلمانيين

وبحلول القرن الخامس يلاحظ المؤرخون تدهورا واضحا ظاهرا في تأثير العلمانيين . " فالخوف المتزايد من اقتراب النهاية ( نهاية الإمبراطورية ) قتل الفكر اللاهوتي المستقل لدي العلمانيين . وأصبح المستقبل للكاهن والراهب ورجال الإكليروس . ففي كل مجال .. كان العالم القديم يسير في ظل عتمة الخوف إلي عصور الظلمة . وخلال سنوات قليلة بعد موت البابا " ليو " سنة ٤٦١ م واجهت الكنيسة والشعب في الغرب عالما بربريا خالصا ( Frend , W.H.C." The Early Church" , p . 252 )

## ب - العبادة

### تطورات في العبادة

بدأت بعض التطورات الجديدة وقتئذ في الظهور . وصار استخدام كتاب القراءات اليومية أمرا شائعا ، وتم تحديد فقرات من العهد القديم ، ومن الرسائل ، ومن الأناجيل لتقرأ كل يوم أحد من كل أسبوع . وقد وصلت الكرازة والوعظ إلي القمة في القرنين الرابع والخامس برجال مثل أمبروسيوس ، ويوحنا ذهبي الفم ، وكيرلس ، الذين اجتذبوا حشودا من جماعات المصلين . وكانت الخدمات في أماكن خاصة ومناسبات خاصة ذات مغزي عظيم وأهمية كبرى . وقد كتب أحد الحجاج الذين زاروا أورشليم في سنة ٣٩٠ م تقريرا عن خدمة يوم الأحد : " في يوم الرب يجتمع جمهور الشعب قبل صباح الديك بأعداد ضخمة علي قدر ما يتسع المكان ... ( وأيضا ) خارج الأبواب حيث تعلق المصابيح لهذا الغرض . وخوفا من أن لا يكونوا حاضرين ( في الوقت المحدد ) يأتون قبل الموعد ويجلسون هناك ، ينشدون

التسابيح وكذلك الترانيم بالتناوب ( المرات ) وقيمون الصلاة بين التسابيح  
والترانيم العديدة .. وعندما يخرج الأسقف يقترب الجميع لتقبيل يده . ( Quoted by  
Frend oP , cit . p . 250

## معني "عشاء الرب " في الشرق والغرب

كان سر الأفخارستيا - عشاء الرب - بوضوح هو الجزء المركزي في العبادة لكل  
من الكنائس الشرقية والغربية . كان الإعتقاد الراسخ أنه بقوة الله يصبح المسيح  
حاضراً وموجوداً في الخبز والخمر . علي أية حال كان هناك فرق في التأكيد بين الشرق  
والغرب . ففي الغرب خاصة بعد أوغسطينوس ، صارت الفكرة عن سر الأفخارستيا  
أنه وسيلة للغفران والتطهير من الخطية ، وأنه ميل من الله ليكون رحيمًا بالخطائي ،  
وأنه إستعادة للشركة المتهمة . أما في الشرق فكانت الفكرة عن العشاء - وما تزال  
إلي اليوم - أنه أساساً سر عظيم ، محيي ، واهب الحياة ، فيه يتلقي المتناول الجسد  
المتحول ، والدم المتحول - للرب . وبهما يصير شريكاً للطبيعة الإلهية . وفيما يلي  
نورد المفهوم الشرقي كما شرحه كيرلس الأول بطريرك الإسكندرية :

" الإبن الوحيد ، بالحكمة التي هي حكمته ، وبمشورة الآب ، وجد ومهد السبيل  
الذي نأتي به إلي الإتحاد بالله ، و ببعضنا البعض - نحن أنفسنا برغم أننا باختلافاتنا  
أفراد منفصلون في الروح والجسد . لأنه بالجسد الواحد ، جسده هو ، يبارك من  
يؤمنون به بواسطة سر العشاء المقدس ويجعلهم جسداً واحداً مع نفسه ومع بعضهم  
البعض .. لأنه إن كنا جميعنا نشترك في الخبز الواحد ، فكلنا نصير جسداً واحداً ،  
لأنه لا يمكن أن يتجزأ المسيح ، لذلك تدعي الكنيسة " جسد المسيح " الذي نحن  
الأفراد أعضاء فيه ، طبقاً لمفهوم بولس . لأننا كلنا متحدون مع المسيح الواحد من  
خلال جسده المقدس بقدر ما نأخذه ونتناوله ، الذي هو واحد غير منقسم في أجسادنا " .

( Comm . in Joanmem XI : 10 )



## ج - الرفات والذخائر والقديسون والملائكة

### تكريم القديسين

هاقد لاحظنا بالفعل الإتجاه المتزايد نحو تكريم القديسين وشهداء الكنيسة . وقد أصبح هذا الإتجاه الآن جانباً ثابتاً ومقدساً من جوانب حياة الكنيسة . وتعتبر القوي التشفعية للقديسين والشهداء أكثر فعالية فهم الأقرب إلي الله . وكان أوريجانوس و ذهبي الفم ، وكيرلس الأورشليمي ، من ضمن الذين أعطوا للطقس الديني الخاص بالقديسين والشهداء أساساً لاهوتياً خطيراً . فالقديسون أصبحوا الحراس علي المدن ، والمعضدين للتجارة ، والشافين للأمراض . فهم حاضرون في كل مكان ، ويتعبير جيروم : " إنهم ( أي القديسين ) يتبعون الحمل حيثما يذهب . فإن كان الحمل كائن في كل مكان ، فلا بد أن نؤمن بنفس الأمر بالنسبة لمن هم مع الحمل " . ( Against Vigilantius , 7 ) كما كانت رفات و ذخائر وأجزاء أجساد القديسين والشهداء جزءاً متما لتشييد كل كنيسة . وطبقا لمرسوم المجمع السابع العام ( نيقية الثاني سنة ٧٨٧م ) قال : " إذا وجد أي أسقف من الآن فصاعدا يدشن هيكلأ بدون رفات أو ذخائر القديسين ، يعزل بوصفه متعدياً علي التقاليد الكنسية " .

### العذراء مريم

مع أن العذراء مريم حظيت دائما بمكانة خاصة من إحترام وتقدير المسيحيين ، فإنها لم تصل إلي أعظم مراتب السمو والرفعة حتي القرن الرابع . فكانت في نظر الناس كمال المثل الأعلىي للبتولية ( للرهبانية ) في خضوعها لإرادة الله . إن السمو والإعلاء الكامل لمريم كالأولي والعظمي بين كل المخلوقات جاء أثناء المنازعات حول

العقيدة في المسيح " عندما وصفت رسمياً بأنها " والدة الإله " ثيوتوكوس . وقد مدحها الآباء الشرقيون ( ديديموس وأفرايم ويوستين وغيرهم ) بأفخم عبارات التمجيد. بعد ذلك صارت مريم الأولى بين كل القديسين في التقدير والإحترام الشعبي والرسمي علي السواء . وقد قورنت مريم التي جاء الخلاص عن طريقها بحواء التي دخلت الخطية عن طريقها . ومن المحتمل - ربما بدون قصد - وكنتيجة للمنازعات حول العقيدة في المسيح ، وتأكيدهم علي ألوهية الابن ، أن العذراء ، الأم الحنون ، إتخذت علي الفور سريعاً الدور الأكثر إنسانية كشفيفة لدي الآب . فهي الأكثر قرباً .

## الملائكة

في القرن الخامس ظهر مؤلف مكتوب بإسم ديونيسيوس الأريوباغي Dionysius the Areopagite ( أع ١٧ - ٣٤ ) يحث علي تبجيل الملائكة . وكان أعظمها كرامة هو رئيس الملائكة ميخائيل الذي يحتفل بعيده في الكنيسة الغربية . وقد بنيت في القرن الخامس كنيسة علي إسمه بالقرب من القسطنطينية ، وأخري في روما . وصار الإحتفال بعيد الملاك ميخائيل ( ٢٩ سبتمبر - لدي الغرب ) أعظم الأعياد شعبية في القرون الوسطي .

## **Recommended English Readings**

- 1 - Frend , W.H.C . **The Early Church** , pp. 247 - 252 .
- 2 - Jay , E.G. **The Church** , pp. 75 - 83 .
- 3 - Walker , Williston . **A History of the Christian Church** , pp . 150 - 158.

## نهاية عصر

بالطبع لا يمكن إيجاد تعريف دقيق للعصور التاريخية . فالتاريخ سلسلة متصلة تنطوي أجزاؤها المستمرة علي حقب زمنية مختلفة ممتزجة ومتداخلة الواحدة في الأخرى. علي أي حال فنحن نحذو حذو كبار المؤرخين في إنهاء هذا الوصف الخاص بالكنيسة الأولى في القرن السادس . وقد تميز خط النهاية - إن صح وجود مثل هذا الخط - بسقوط الإمبراطورية الغربية ، والانزلاق الطويلة نحو العصور الوسطي ، ويزوغ الكنيسة الإمبراطورية ، والإمبراطورية الرومانية المقدسة ، وحكم بيزنطة في الشرق ، وتنافر الشرق والغرب فيما بعد خلقيدونية . وقد عجل من هذه النهاية أيضا الغزوات العربية وسيطرة الإسلام علي بلاد الشرق الأوسط .